



جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

## الأدب الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي

إعداد الطالب

نضال سالم النوافعة

إشراف

الأستاذ الدكتور سمير الدروبي

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا  
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه  
في الدراسات الأدبية قسم اللغة العربية وآدابها  
جامعة مؤتة، 2008

## الإهداء

إلى من كان سبب وجودي في هذه الحياة، ورحل عنِي دون أن يعطيني درساً في الفراق، إلى اليدين اللتين طالما حلمت أن تكونا أول يدين تصفقان لي عند تقديم هذا العمل ، إلى الحضن الذي حلمت أن أسقط فيه كما يسجد القائد المنتصر في ساحة المعركة بعد الانتهاء، إلى العينين اللتين كنت أتمنى أن تكونا أول عينين تريان هذا العمل ، إلى صاحبة الوجه الوردي، بحثت عنك في كل مكان لكي تشاركيني هذه اللحظة الجميلة، ولكني لم أجده ...

..... أمي

نضال النوافعة

## الشكر والتقدير

إن من مقتضيات الواجب أن يسند الفضل إلى أهله ؛ لهذا أجد تقديراً مني أن أقدم باقة من الشكر لأستاذي الجليل الأستاذ الدكتور سمير الدروبي مدّ الله في عمره ومتعبه بالصحة والعافية ؛ لتكريمه بالإشراف على هذه الدراسة وحسن رعايته ودوام متابعته فهو لم يدخل عليّ بتوجيهاته وآرائه السديدة ، ولم يأل جهداً من مدّ يد العون والمساعدة إلى حتى كان هذا العمل المتواضع فجزاه الله عنى الجزاء الأولي .  
كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور فايز القيسي، على موافقته قراءة هذا العمل وإبداء ملاحظاته القيمة ، فلهُ مني جزيل الشكر والعرفان .

الصفحة	المحتوى
أ	الإهداء
ب	الشكر والتقدير
ج	فهرس المحتويات
و	الملخص باللغة العربية
ح	الملخص باللغة الإنجليزية
3-1	المقدمة
15-4	<b>الفصل الأول : مصادر الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي ، ومنهج مؤلفيها</b> <ul style="list-style-type: none"> <li>4                    1. 1 مصادر نهاية الأرب</li> <li>7                    2. 1 منهج النويري</li> <li>8                    3. 1 مصادر صبح الأعشى</li> <li>12                  4. 1 منهج القلقشندى</li> <li>12                  5. 1 مصادر مسالك الأ بصار</li> <li>15                  6. 1 منهج العمري</li> </ul>
39-16	<b>الفصل الثاني : الشعر الاندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي</b> <ul style="list-style-type: none"> <li>16                  1 وصف المدن الاندلسية           <ul style="list-style-type: none"> <li>16                  1 قرطبة</li> <li>20                  2 غرناطة</li> <li>21                  3 إشبيلية</li> <li>23                  4 بلنسية</li> <li>24                  5 طليطلة</li> <li>25                  6 بطليوس</li> <li>26                  7 طرطوشة</li> <li>26                  8 جيان</li> <li>27                  9 سرقسطة</li> <li>28                  10 مرسيية</li> </ul> </li> <li>29                  2 وصف المعارك والحروب "معركة الزلاقة"</li> </ul>
88-40	<b>الفصل الثالث: شخصيات أندلسية في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي</b>

40	1. 3 عبد الرحمن الداخل
41	1.1. 3 اسمه ولقبه
42	2. 1. 3 معركة المصارة
43	3. 1. 3 أدب عبد الرحمن الداخل
46	2. 3 عبد الرحمن بن الحكم
47	3. 2. 3 الحروب والغزوات
49	3. 2. 3 أدب عبد الرحمن الأوسط
51	3. 3 المعتمد بن عبّاد
54	3. 3. 3 منزلته الأدبية
56	4. 3 ابن زيدون وشعره
61	5. 3 ابن أبي الخصال وأدبها
71	6. 3 لسان الدين ابن الخطيب وأدبها
83	7. 3 ابن عربي وأدبها
139-89	<b>الفصل الرابع : النثر الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي</b>
90	1. 4 فنون النثر الأندلسي
91	1.1. 4 الرسائل
93	2. 1. 4 الرسائل الرسمية
94	2. 4 مجالات الرسائل الرسمية
108	3. 4 الرسائل الإخوانية
124	4. 4 خصائص الرسائل
132	5. 4 العهود
132	1. 5. 4 عهد الولاية
135	2. 5. 4 عهد الأمان
136	3. 5. 4 عهد الصلح والدعوة إليه
140	الخاتمة
142	المراجع

## الملخص

الأدب الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي

نضال النوافعية

جامعة مؤتة 2008

تناولت هذه الدراسة " الأدب الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي " وكان الهدف منها بيان الدور الذي نهضت به الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي في حفظ الأدب الأندلسي ، وبناء على ذلك قسمت الدراسة إلى أربعة فصول :

خصص الفصل الأول للحديث عن مصادر الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي ، ومناهج مؤلفيها ، وقسم إلى ثلاثة أقسام ، القسم الأول : مصادر صبح الأعشى ومنهج القلقشني ، والقسم الثاني : مصادر نهاية الأربع ومنهج النويري،والقسم الثالث:مصادر مسالك الأبصار ومنهج العمري .

عقد الفصل الثاني للحديث عن " الشعر الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي " وقسم إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول : وصف المدن الأندلسية ،والقسم الثاني : وصف المعارك والحروب، والقسم الثالث : وصف الطبيعة الأندلسية.

وخصص الفصل الثالث للحديث عن "شخصيات أندلسية في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي " وقسم إلى سبعة أقسام ، القسم الأول : عبد الرحمن الداخل وشعره ، والقسم الثاني : عبد الرحمن بن الحكم وشعره ، والقسم الثالث : المعتمد بن عبّاد وشعره،والقسم الرابع:ابن زيدون وشعره،والقسم الخامس ابن أبي الخصال وأدبه،و القسم السادس ابن الخطيب وأدبه،والقسم السابع ابن عربي وأدبه .

تناول الفصل الرابع الحديث عن " النثر الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي " وقسم إلى قسمين ، القسم الأول : الرسائل ، والقسم الثاني : العهود .

وقد اقتضت الدراسة أن استفيد من المنهج التاريخي ، والمنهج الفني .

## Abstract

Andalusian literature in the literary encyclopedias of the mamlukian age.

Nidal AL Nawafa'ah

Mu'tah university 2008

This study discusses the Andalusian literature in the literary encyclopedias of the mamlukian age. The aim of the study is to explain the role of the literary ency – cledopias in the mamlukian age in preserving Andalusian literature . Therefore, the study has been divided into four chapters.

The first chapter discusses the literary encyclopedias resoarces in the mamlukian age ,and author's methods and it has been divided into three parts. The first one (( So- poh Al – Asha)) . Qalaqshendi Method . The second part : (( Nehayet –Arab ))- and Anweree Method. The third part: Masalek Al-Albsar Resources, and Al- Omary method.

The second chapter discusses the Andalusian poetry in the literary encyclopedias in the mamlukian age . This chapter has been divided into three sections . The first : description of the Andalusian cities .The second : description of battles and wars. The third: description of the Andalusian nature.

The third chapter discusses Andalusian figures in the literary encyclopedias of the mamlukian age . This chapter has been divided into seven sections : the first : Abdrfrahmon ALdalhif's poetry . The second : Abd-Rahman bin AL Hakam's poetry. The third section : AL Muatamid bin Abbads poetry . The forth part: Ibn-Zedon poetry.

The fifth: discusses Ibn – Al- Qissal prose . The sixth part: discusses Ibn - Al – Khatib prose. The seventh part: discusses Ibn-Arabi prose.

The fourth chapter discusses the Andalusian prose in the literary encyclopedias in the mamlukian age . This chapter has been into divided two sections. The first : the letters . The second : The pacts

So the study need to benefit from historical method . Artificial method .

## المقدمة :-

ثمة علاقة و ثيقة بين الأدب الأندلسي والموسوعات الأدبية في العصر المملوكي ، فقد صورت الموسوعات الأدبية جوانب شتى من مظاهر الأدب الأندلسي، إذ تعد هذه الموسوعات مصدراً من مصادر الأدب الأندلسي بما حوت بين طياتها من أشعار ونصوص أدبية أندلسية.

لذا وقع اختياري على دراسة الأدب الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي لما لها من أهمية في الدراسات الأدبية . وتقصر هذه الدراسة على الموسوعات الأدبية التالية ( صبح الأعشى في صناعة الانشا ، للفقشندي ، ونهاية الأربع في فنون الأدب ، للنويري ، ومسالك الأبصرار ، للعمري ) .

كما أنه في حدود اطلاعه لم اعثر على دراسات سابقة تخص موضوع الأدب الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي .

وتتمثل أهمية البحث في دراسة الأدب الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي ، وهو أدب لم يحظ باهتمام كبير لدى دارسي الأدب الأندلسي ، ولم تتناوله دراسة مستقلة على الرغم من غزارة المادة الأدبية والتاريخية ، من حيث دراسة المادة الأدبية والتاريخية والجغرافية ... الأندلسية في هذه الموسوعات ، وبيان أهمية الأدب الأندلسي الذي لا يقل أهميةً عن أدب المشرق ، كما تتمثل أهمية البحث في التركيز على بعض الشخصيات الأندلسية من أصحاب الموهبة في الشعر والنشر الفني ودراسة نتاجهم ، كما تركز على أهمية النثر الأندلسي ، فقد جمعت الموسوعات المملوكية العيد من الرسائل السلطانية والإخوانية .

إن طبيعة الموضوع تقتضي أن أستفيد من منهجين في الدراسة هما : المنهج التاريخي في الكشف عن العوامل التي أثرت في الأدب الأندلسي ، وتتبع الشعراء والكتاب الأندلسيين في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي والأحداث التاريخية الأندلسية التي جاء ذكرها في هذه الموسوعات . والمنهج الفني في دراسة الخصائص الفنية لهذا الأدب من حيث توضيح الأشعار الأندلسية ، وبيان موضوعاتها الرئيسية ، بالإضافة لبيان أهم مواضع الكتابة النثرية في هذه الموسوعات من رسائل وعهود ، وبيان خصائصها الفنية.

وكان لابد من خطة يساق بها الأدب، وخطوط أساسية ترسم للبحث جوانبه ، فجعلت المادة في أربعة فصول ، وخصص الفصل الأول للحديث عن مصادر الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي ، ومنهاج مؤلفيها ، وقسمته إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول : مصادر صبح الأعشى ، ومنهج القلقشندى ، فتحدثت فيه عن أهم المصادر التي أفاد منها صبح الأعشى في إيراد المادة الأندلسية ، وتحدثت عن منهج القلقشندى في كتابه صبح الأعشى . والقسم الثاني : مصادر نهاية الأربع ، ومنهج النويري ، وتحدثت فيه عن مصادر نهاية الأربع في إيراد المادة الأندلسية ، كما تحدثت فيه عن المنهج الذي اتبعه النويري في كتابه : نهاية الأربع،والقسم الثالث:مصادر مسالك الأبصار ومنهج العمري، وتحدثت فيه عن مصادر مسالك الأبصار في إيراد المادة الأندلسية،كما تحدثت فيه عن المنهج الذي اتبعه العمري في كتابه .

وخصص الفصل الثاني لـ " موضوعات الشعر الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي " وجعلته في ثلاثة أقسام ، تناولت في القسم الأول " شعر وصف المدن الأندلسية " وتحدثت فيه عن عشر مدن أندلسية ورد ذكرها في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي ، وتم استثناء ثلاث مدن أندلسية هي (برشلونة، وبنبلونه، وذلك لأنهما لم تخضعا للحكم الإسلامي في الأندلس ، ومدينة (أشبونة ) لعدم العثور على شعر لوصف هذه المدينة الأندلسية ، أما القسم الثاني " وصف المعارك والحروب " وتحدثت فيه عن أهم معركة في الأندلس (معركة الزلاقة) التي تعد معركة فاصلة في تاريخ الأندلس. أما القسم الثالث " وصف الطبيعة الأندلسية " فتحدثت فيه عن وصف الأنهر الأندلسية التي ورد ذكرها في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي .

وتناول الفصل الثالث " شخصيات أندلسية في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي " وقسمته إلى سبعة أقسام ، خصصت القسم الأول للحديث عن " عبد الرحمن الداخل " و أهم موضوعات شعره ، أما القسم الثاني فتناول " عبد الرحمن بن الحكم " و أهم موضوعات شعره، والقسم الثالث تناول المعتمد بن عبّاد وأهم موضوعات شعره، وتحدث القسم الرابع عن " ابن زيدون" و أهم موضوعات شعره، وأما القسم الخامس فتناول ابن أبي الخصال ونشره الفني، وتحدث القسم السادس عن ابن الخطيب وأدبه ، و جاء القسم السابع عن " ابن عربي" وأدبه.

أما الفصل الرابع فتناول " النثر الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي " وقسمته إلى قسمين ، القسم الأول : " الرسائل الأندلسية في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي " تحدثت فيه عن الرسائل الرسمية والإخوانية ، وأهم خصائص الرسائل الرسمية والأخوية في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي ، أما القسم الثاني : " العهود " فتحدثت فيه عن تعريف العهود ومشروعاتها، وأقسامها " عهد الأمان ، وعهد الصلح ، والدعوة إليه ، وعهد الولاية".

وأخيراً فأنا لا أدعى شمولية البحث ، ولكنني جهدت فيه ما وسعني الجهد ، حتى استقام وفق المخطط الذي رسمته بما أسعفتني به المصادر والمراجع ، وكان لمشرف الكريم دوره الفعال في التوجيه والإرشاد ، فأسهم في بناء هذا العمل المتواضع الذي أرجو أن يكون لبنة متواضعة في صرح الدراسات الأندلسية .

## الفصل الأول

### مصادر الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي

#### ومنهج مؤلفيها

لقد امتاز القرن الثامن الهجري في مصر خصوصاً، بظاهرة ثقافية مميزة، وهي أنه عصر الموسوعات العلمية والأدبية الكبرى؛ فقد ظهرت فيه طائفة من العلماء الذين توفروا على جمع أشئرات العلوم والفنون المعروفة في هذا العصر، في مؤلفات جامعة لم تعرفها الآداب العربية من قبل، وكتب فيه عدة موسوعات جليلة ما زالت تتبوأً مقامها الفذ في تراث الأدب العربي<sup>(1)</sup>.

وأقطاب هذه الحركة ثلاثة من أكابر العلماء والكتاب المصريين، هم: أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى سنة "733هـ" ، صاحب كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" ، وأحمد بن فضل الله العمري، المتوفى سنة "749هـ" صاحب كتاب "مسالك الأ بصار في ممالك الأمصار" ، وأحمد بن علي الفقشندى، المتوفى سنة "821هـ" صاحب كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا".<sup>(2)</sup>

والقارئ لهذه الموسوعات يجدها تجمع بين الأدب والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والاجتماع والعلوم الدينية ونظم الحكم والترجم وفنون العلوم<sup>(3)</sup>.

#### 1-1 مصادر نهاية الأرب، ومنهج النويري . ت 733هـ

لقد بدأ النويري العمل على تأليف هذه الموسوعة التي تجمع بين طياتها كل فنون العلم والمعرفة ، حيث لم تختصر على فن بعينه ، بل جاءت جامعة لكل فنون العلم

(1) النويري ، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب النويري (677-733هـ) ، نهاية الأرب ، في فنون الأدب ، تحقيق احمد كمال زكي ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (1980م) ، ص 3

(2) المصدر نفسه ، ص 3

(3) المصدر نفسه ، ص 3

والمعرفة كما مرّ سابقاً، بعدها خلا إلى نفسه بعد خروجه من حياة السلطان ودخوله حياته الخاصة؛ لذلك لم يرفع موسوعته إلى الناصر ولم يهديها إليه<sup>(1)</sup>.

كان النويري إذا جاء المساء يأخذ في القراءة والجمع يعد لوضع تاريخه الكبير الذي نحن في صدد دراسة الأدب الأندلسي الذي جمعه وضعه في طياته ، وقد أخذ النويري في كتابة موسوعته الكبيرة في أوائل العقد الثالث من القرن السابع الهجري، إذ تراه يكتب بخطه في نهاية السفر الأول : (نجز السفر الأول من كتاب نهاية الأربع في فنون الأدب على يد مؤلفه يوم السبت المبارك لعشرين بقين من ذي العدة عام واحد وعشرين وسبعين). وذلك بالقاهرة المصرية عمرها الله تعالى يتلوه إن شاء الله تعالى السفر الثاني<sup>(2)</sup> . وقد أجمع المؤرخون على أن الكتاب جاء في ثلاثة أجزاء أو مجلداً، وهذا التقسيم لم يشر إليه النويري ، بل قال أنه قسم الكتاب إلى فنون، وجعل كل فن سفراً، والفنون إلى أقسام والأقسام إلى أبواب<sup>(3)</sup> .

اعتمد النويري في كتابه "نهاية الأربع" على نوعين من المصادر هما: المخطوطات من وثائق ومراسلات توفرت له من تقبيله في الدواوين، حين كان إليه نظر الجيش بطرابلس ، وحين كان إليه نظر الديوان بالدقهلية، وكانت لها أثر قوي في هذا العمل الديواني الضخم<sup>(4)</sup> ، والثاني: أمهات الكتب والمصنفات في مختلف ميادين العلم والأدب التي توفرت له من إقباله على النسخ فمكنه من تقليل كتب زودته بالكثير مما يحب<sup>(5)</sup>.

وفي دراستنا لمصادر كتاب "نهاية الأربع" سنختصر الحديث على مصادر الكتاب الخاصة بالأدب الأندلسي فقط، دون التعرض لمصادر الكتاب الأخرى؛ لأن طبيعة الدراسة تقتضي ذلك.

---

(1) النويري ، مقدمة نهاية الأربع، ص 11

(2) المصدر نفسه ، ص 12

(3) المصدر نفسه ، ص 12

(4) المصدر نفسه ، ص 4

(5) المصدر نفسه، ص 11

وقد استعان النويري بالمكتبة الأندلسية عند حديثه عن الأدب الأندلسي، هذا الأدب الذي جاء منوعاً بين الشعر والنشر، لذا لا بد من الحديث عن أهم المصادر الأندلسية التي استعان بها النويري، وبيان مدى الفائدة التي جناها منها.

ومن أهم مصادر النويري في كتابه "نهاية الأرب" كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" ، لأبن بسام، وهو من المصادر الأندلسية الأساسية التي اعتمد عليها النويري في المادة الأدبية الأندلسية ، فجمع منه مادة عظيمة من الرسائل السلطانية والأخوية ، والعهود ، ويرى الباحث أنه المصدر الأساسي من مصادر النويري الأندلسية ، والأكثر فائدة له في المادة الأدبية الأندلسية ، حيث كان ينقل أغلب النثر الأندلسي منه، فكان "الذخيرة" رافداً أساسياً من روافد "نهاية الأرب" ، ومن الأمثلة على ذلك ما نقله من كلام أبي حفص عمر بن برد الأصغر ، من عهد أمان كتبه لمن عصى وعاود الطاعة" أما بعد، فإن الغلة لنا والظهور عليك جلباك إلينا على قدمك، ودون عهد ولا عقد يمنعان من إراقة دمك، ولكننا بما وهب الله لنا من الإشراف على سرائر الرياسة".<sup>(1)</sup>

ومن مصادر النويري كتاب الروض المعطار، لعبد المنعم الحميري، فكانت الفائدة الحاصلة من هذا الكتاب التي حصل عليها النويري في الحديث عن سير وتراثي الأمراء الأندلسيين، وفي التعريف ببعض المدن الأندلسية وأهم الأمراء الذين حكموها التي كان يشار إليها في ذيل الكتاب، ومن الأمثلة على ذلك ما نقله عن الأمراء الذين حكموا مدينة بلنسية يقول: "أما بلنسية فكان بها المنصور أبو الحسن عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن المنصور بن أبي عامر، ثم أضاف إليه المرية، وما كان إليها. وبعده ابنه محمد، ودام فيها إلى أن غدر به صهره المأمون بن إسماعيل بن ذي النون في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وأربعين".<sup>(2)</sup>

ومن مصادر النويري أيضاً ، كتاب "المعجب" للمراكشي ، الذي لم تقل أهميته عن باقي المصادر الأندلسية التي أفاد منها النويري، بل كان من المصادر المهمة التي اعتمد عليها نهاية الأرب في الإفادة من المادة النثرية الأندلسية ، ومن المراجع الأساسية ، في إيراد بعض الرسائل الفنية وتصحيح بعض الأخطاء التي تقع في بعض المصادر الأخرى

---

(1) النويري ، نهاية الأرب ، ج7، ص306

(2) المصدر نفسه ، ج23، ص466

ومن مصادر النويري أيضاً كتاب "معجم البلدان" لـ "ياقوت الحموي" وهو معجم جغرافي أفاد منه النويري في التعريف بأغلب البلدان التي أوردها في كتابه، ومن الأمثلة على ذلك ما أورده عن التعريف بمدينة بطليوس حيث جاء فيه " وكان صاحبها إدراك ابن الأفطس، وهي مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال مارده على نهر آنة غربي قرطبة".<sup>(2)</sup>

## ٢-١ منهج النويرى:

اتصف منهج النويري في "نهاية الأرب" بالأمانة العلمية فهو كاتب أمين، ينسب كل منقولاته إلى أصحابها ، ولا يدعى منها شيئاً لنفسه، إلى جانب أمانته في النقل. والأمثلة التي أوردتها تدل على أنه ينسب كل مقوله إلى أصحابها من المصادر الأندلسية التي أشرت إليها. ومن الأمثلة على ذلك ما نقله من كلام أبي حفص عمر بن برد الأصغر الأندلسي، من عهد أمان كتبه لمن عصى وعاود الطاعة" أما بعد، فإن الغلبة لنا والظهور عليك جلباك إلينا على قدمك، دون عهد ولا عقد يمنعان من إراقة دمك، ولكننا بما وهب الله لنا من الإشراف على سرائر الرياسة".<sup>(3)</sup>

وكان منهجه يعتمد علىوعي وحفظ شديدين ، بالإضافة إلى اعتماده على التلخيص ، لذا هو خلاصة كتب كثيرة ومراجع مختلفة تكاد تجد في شایاه كتبها بجملتها بعد أن لخصت تلخيصاً ، ومنها على سبيل المثال: "إحياء علوم الدين للغزالى" و "الملل والنحل للشهرستانى" ، و "فقه اللغة للتعالبى" و "الأمثال للميدانى" ... ثم بعد هذا تجد فيه

(1) النويري، نهاية الأرب، ج 7، ص 303.

. المصدر نفسه، ص 457 (2)

(3) . المصدر نفسه، ص 306

تلخيصاً وافياً لكتاب "مباحث الفكر ومناهج العبر" للوطواط ، وكذلك "نزة المشتاق واخترق الآفاق للإدريسي"<sup>(1)</sup>. فهو ذو موهبة عظيمة في التلخيص؛ حتى استطاع تلخيص معظم هذه الكتب وإدراجها في كتابه ، فهو يحسن الاختيار ويجيد الاختصار ، ويعرف من أين يستقي المعلومة ، وأي المراجع والمصادر أوفى ، وأيها أغنى ، وأيها أصدق ، وأي هذا أحب للقارئ ، وأنفع للمفید ، وهو يقول في منهجه: "وما أوردت إلا ما غالب على ظني أن النفوس تميل إليه ، أو أن الخواطر تشمل عليه ، ولو علمت أن فيه خطأ لقبضت بناني وغضبت طرفي" . ومنهجه يعتمد على تحري الحقيقة والسعى إلى تحقيق حاجة الناس جهده<sup>(2)</sup>.

### 1-3 مصادر "صبح الأعشى" ومنهج القلقشندی "821هـ"

اعتمد القلقشندی في جمع مادة موسوعته وتأليفها على نوعين أساسين من المصادر هما: محفوظات ديوان الإنشاء من الوثائق والمراسلات السلطانية ، والثاني: أمهات الكتب والصنفات في مختلف ميادين العلم والأدب التي طرق أبوابها في كتابه<sup>(3)</sup>. وقد اجتمعت للقلقشندی مادة غزيرة من الكتب والمراسلات السلطانية وغيرها من مختلف أصناف المكاتبات التي تكدرست في ديوان الإنشاء خلال العصور المتعاقبة<sup>(4)</sup>.

يُعد كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنسا من الكتب الجليلة القدر ، العظيمة النفع الكبيرة الفائدة ، لم ينسج على منواله في عالم التأليف في فنون الأدب والكتابة ، فهو أنفس كتاب ألف في اللغة العربية وتاريخ أدابها . وقد جمع فيها المؤلف كل أنواع العلم والمعرفة ؛ لذا فهو كتاب جامع .

وهو كتاب بين فيه القلقشندی حالة اللغة العربية وكيف كانت في العصور الأولى ، وكيف أصبحت لغة القرآن الكريم ، وبين فيه الكتابة العربية في البلاد والممالك الإسلامية

(1) النويري، نهاية الأربع ، ج 7، ص 12.

(2) المصدر نفسه ، ص 12.

(3) القلقشندی أبو العباس احمد بن علي القلقشندی (1418 - 821هـ) ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ومذيلة بتصويبات وفهارس تفصيلية مع دراسة وافية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ص 12 ،

(4) المصدر نفسه ، ص 12

وما بلغته من درجات الرفعة والارتقاء ، وهو كتاب دوّن فيه مؤلفه عدة كتب أدبية نفسية بتمامها ، وجمع فيه كثيراً مما تفرق في غيره من المؤلفات . وقد رتبه على مقدمة وعشراً مقالات وخاتمة ، بناها بالإجمال على التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء ، وأصل وضعه في الإسلام ، وتفرقه بعد ذلك في الممالك ، وبيان كتاب الإنشاء وتقضيela على سائر أنواع الكتابة . ومعرفة ما يحتاجه كاتب الإنشاء في الأمور العلمية والعملية ، ومعرفة المسالك والممالك ومعرفة المكاتب العامة وأصولها ومقاصدها ومعرفة الوصايا الدينية ومعرفة عقود الأمان والصلح ... وقد ذكر فيه كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الكريمة ، وأتى فيه على كثير من أسماء الكتب والفنون ، وكثير من أسماء مشاهير المؤلفين والعلماء والأدباء والكتاب والشعراء . وضمنه شيئاً كثيراً من الرسائل البليغة لمشاهير الكتاب وأهل الأدب في الشرق والغرب والقديم والحديث . فصار كتاب صبح الأعشى ، كتاب تاريخ وسیر ، ولغة وأدب ، وفقه وتفسیر، وشرح للأمثال والحكم العربية، وبسط النظام والحكومات عامـة<sup>(1)</sup> ، وقد جاء كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشـا في أربـعة عشر مجلـداً .

وبعد أن قرأ الفلقشندـي كتاب "التعريف بالمصطلح الشريف" ، لابن فضل الله العمـري ، ظهرت لديه فكرة وضع كتاب يكون مفصلاً أكثر من "التعريف" الذي جاء مختصراً في موضوعاته. فبدأ يعمل على تحقيق هذه الفكرة بجهد كبير ، وإصرار عميق، وتركيز كبير، فأخذ بجمع المادة الأولـية للكتاب ، وبعد بذل الجهد ، أخرج لنا كتاب أسمـاه "صبح الأعشـى في صناعة الإنشـا". يقول في مقدمة كتابه صبح الأعشـى"فسـرعت في ذلك بعد أن استـخرت الله تعالى، وراجـعت أهل المشـورة ، مستـوعـبا من المصـطلـح وما اشـتمـل عليه التـعـريف والتـنـقـيف، موضـحا لما أبـهـماـه بتـبيـين الـأـمـثـلـةـ مع قـرـبـ المـأـخـذـ وـحـسـنـ التـأـلـيفـ. متـبرـعاـ بأـمـورـ زـائـدةـ عـلـىـ المصـطلـحـ الشـرـيفـ لاـ يـسـعـ الـكـتـابـ جـهـاـهـاـ. مـتـنـقـلاـ مـنـ توـجـيهـ المـقـاصـدـ، وـتـبـيـينـ الشـوـاهـدـ، بما يـعـرـفـ بهـ فـرعـ كلـ قـضـيـةـ وـاـصـلـهاـ<sup>(2)</sup>.

وكان لا بد من تركيز الضـوءـ عـلـىـ مـصـادـرـ الـكـتـابـ ، وـمـنهـجـ الـمـؤـلـفـ فـيـ كـتـابـهـ ، ولا بد هنا من التـوـيهـ إـلـىـ أـنـ الـبـاحـثـ سـيـسـلـطـ الضـوءـ عـلـىـ مـصـادـرـ الـكـتـابـ الـخـاصـةـ

(1) الفلقشندـيـ، صـبحـ الأـعشـىـ، جـ1ـ، صـ13ـ - 18ـ .

(2) المـصـدرـ نـفـسـهـ، صـ10ـ

بموضوع دراسته، ولن يتطرق للحديث عن مصادر الكتاب جميعها ، لأن طبيعة الموضوع تقتضي ذلك.

فالدارس لكتاب "صبح الأعشى" يجد أن المؤلف قد استعان بمجموعة من المصادر، لا بد من ذكرها هنا مع بيان مدى الاستفادة التي حصل عليها القلقشندى من هذه المصادر التي كان يشير إليها القلقشندى في متن الكتاب ، ولكن حجم المادة الأندلسية المستفاد منها تتفاوت من كتاب إلى آخر حسب أهمية الموضوعات التي تطرق إليها المؤلف .

ففي موضوع وصف المدن الأندلسية، نجد القلقشندى قد استعان بعدة مصادر أثرت كتابه ، وهي "تقويم البلدان" للمؤيد صاحب حماة، ويرى الباحث بأنه المصدر الرئيسي الذي استعان به القلقشندى في حديثه عن المدن الأندلسية، فكان يعود إليه في حديثه عن كل مدينة أندلسية فيأخذ المعلومة الأكيدة . ومن الأمثلة على ذلك قوله في سياق حديثه عن مدينة غرناطة ، قال في تقويم البلدان: "وملكتها في الجنوب والشرق من مملكة قرطبة، وبينها وبين قرطبة نحو خمسة أيام".<sup>(1)</sup> والمصدر الثاني "مسالك الأ بصار" للعمري، واعتمد القلقشندى على كلا المصدررين فيأخذ المعلومة الصحيحة ، ومن الأمثلة على ذلك قوله في سياق حديثه عن مدينة غرناطة: "بذيعة متعددة كثيرة المبني الضخمة والقصور ظريفة جدا، يجري بها الماء تحت بساط كما يجري في المدينة، فلا يخلو منه مسجد ولا بيت".<sup>(2)</sup> والمصدر الثالث "التعريف بالمصطلح الشريف" الذي لم تكن أهميته بقدر أهمية المصدررين السابقين في اعتماد القلقشندى عليه في هذا الموضوع. ومن الأمثلة على ذلك قوله في سياق حديثه عن مدينة غرناطة: "ومقر سلطانها منها القصبة الحمراء قال: "ومنها القصبة عندهم القلعة، وتسمى حمراء غرناطة".<sup>(3)</sup> والمصدر الرابع الذي استعان به القلقشندى في موضوعه هذا هو كتاب "المشتراك" لياقوت الحموي . ومن الأمثلة على ذلك قوله في سياق حديثه عن المرية : "وهي مدينة بين مملكتي مالقة ومرسية، موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة".<sup>(4)</sup> ويرى الباحث بأن المصدررين الرئيسيين عند القلقشندى

---

(1) القلقشندى، صبح الأعشى ، ج5، ص214

(2) المصدر نفسه، ص216

(3) المصدر نفسه ، ص206

(4) المصدر نفسه، ص 217

في حديثه عن المدن الأندلسية هما "تقويم البلدان ، ومسالك الأ بصار" أما "التعريف، والمشترك " فلم تكن الفائدة التي جناها القلقشendi منها تعادل الفائدة التي حصل عليها من المصادر الآخرين .

ويجد الناظر في موضوع "الأنهار الأندلسية" في صبح الأعشى ، أن القلقشendi قد اعتمد على مصدرين اثنين في الحصول على المعلومة أولهما: "تقويم البلدان" وقد أمد هذا المصدر القلقشendi بما أورده من معلومات عن الأنهر الأندلسية ، من حيث مخارج ومصب ، وطول ، وعرض هذه الأنهر . ومن الأمثلة على ذلك قوله في سياق حديثه عن نهر إشبيلية: "ومخرجه من جبال شقرة حيث الطول خمس عشرة درجة، والعرض ثمان وثلاثون وتلثان، ويجري في ابتدائه من الشرق إلى الغرب".<sup>(1)</sup> والمصدر الآخر الذي اعتمد عليه القلقشendi "المغرب" لابن سعيد الذي استقى منه المعلومة عن الأنهر الأندلسية . ومن الأمثلة على ذلك قوله في سياق حديثه عن نهر إشبيلية: "وهو في قدر دجلة، وهو أعظم نهر في الأندلس، ويسميه أهل الأندلس النهر الأعظم".<sup>(2)</sup>

أما مصادر "صبح الأعشى" الأخرى ، التي استعان بها القلقشendi في حديثه عن النثر الأندلسي ، فكانت على نوعين ، النوع الأول : المخطوطات والثاني الكتب والمصنفات . يرى الباحث بأن القلقشendi في هذا الموضوع كان تركيزه على المخطوطات التي حصل عليها من ديوان الإنشاء أكثر من المصادر الأخرى ، ويرى الباحث بأن القلقشendi قد اعتمد على مصدر واحد غير المخطوطات ، وهو كتاب "ريحانة الكتاب" لابن الخطيب؛ فقد أفاد منه في إيراد العديد من المكاتب الأندلسية "السلطانية، والإخوانية . ومن الأمثلة على ذلك قوله في سياق حديثه عن نشر ابن أبي الخطيب: "المقام الذي تحذّت بسعادته دولة أسلامه، واتفق به قوله من بعد أصلافه، وعاد العقد إلى انتظامه والشمل إلى ائتلافه".<sup>(3)</sup>

(1) القلقشendi، صبح الأعشى، ج5، ص 235

(2) المصدر نفسه، ص 234

(3) المصدر نفسه، ج7، ص 45

#### ٤-١ منهج القلقشندی في "صبح الأعشى":

القارئ لكتاب "صبح الأعشى" قراءة مدققة فاحصة ، يجد أن مؤلفه "القلقشندی" قد اتبع منهاجاً علمياً واضحاً يقوم على وحدة الفكرة من ناحية؛ وعلى أسلوب التفريغ داخل إطار محدد مرسوم، من ناحية أخرى<sup>(1)</sup>.

كما تظهر عنده صفة الأمانة العلمية بشكل واضح وصريح ، فهو ناقل أمين ، لا ينسب آراء غيره لنفسه، وإذا أراد أن يضيف شيئاً أو يدللي برأي خاص، فإنه يفعل ذلك مع التزام كامل باحترام آراء غيره ، خاصة الذين نقل عنهم، وهو إلى جانب ذلك ذو رأي سديد وفكرة صائبة دونما أدعا<sup>(2)</sup>. ومن الأمثلة على ذلك قوله في سياق حديثه عن مدينة غرناطة: "بديعة متسبعة كثيرة المباني الضخمة والقصور ظريفة جداً، يجري بها الماء تحت بلاط كما يجري في المدينة، فلا يخلو منه مسجد ولا بيت".<sup>(3)</sup>

لقد استطاع القلقشندی أن يضع كتاباً ضخماً في جميع جوانب العلم والمعرفة ، و التزم فيه بمنهج واضح ودقيق .

#### ٥-١ مصادر مسالك الأ بصار، ومنهج العمري. ت 749 هـ.

لقد بدأ العمري العمل على تأليف موسوعته الضخمة التي تجمع بين طياتها كل أنواع العلم والمعرفة، يقول العمري عن تأليفه هذا الكتاب "وقطعت فيه عمر الايام والليلي، واثبت فيه بالأقلام أخبار العوالى، وشغلت به الحين، واشتغلت ولم أسمع قول اللاحين، وحرست عليه حرص الصنفين، وخلصت اليه أن اجريت ورأي السنين".<sup>(4)</sup>

وهي الموسوعة الثالثة من بين أعظم الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي، بعد أن أطلع على أغلب الكتب الموضوعة في هذه المواضيع، فلم يجد فيها سوى الأخبار القديمة

(1) القلقشندی، صبح الأعشى ، ج 7، ص 15

(2) المصدر نفسه، ص 16

(3) المصدر نفسه، ص 216

(4) العمري ، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله العمري ، ت (749 هـ) ، مسالك الأ بصار في ممالك الأ مصار ، تحقيق عبدالله بن يحيى السريحي ، ج 1، ص 32.

من احوال الأقاليم، والأمم البايدة، وبعض المصطلحات التي ذهبت بذها بآهلها، ولم يثبت فيها عظيم الفائدة ولا كبير أمر. <sup>(1)</sup>

وبعد أن استخار الله، أراد إثبات نبذة دالة على المقصور في هذه الكتب من ذكر الأرض وما فيها ومن فيها، وكل مملكة وما هي عليه. <sup>(2)</sup>

اعتمد العمري في كتابه مسالك الأ بصار على نوعين من المصادر أولهما: ما شاهده وعاينه، وفيما لم يراه بالنقل من يعرف احوال المملكة المنقول عنه اخبارها، مما رأه بعينه أو سمعه من الثقات باذنه. <sup>(3)</sup> والثاني: أمهات الكتب المصنفة و الموثوق بها فيما لا بد منه: كتقسيم الأقاليم، وما فيها من أقوال القدماء، واختلاف آراء الحكماء، وذكر مشاهير الأعلام... ليتم به نقصه، ويتم به بهجة النظر، ورونق الصفحات. <sup>(4)</sup>

وقد شرع العمري في تأليف هذا العمل في عهد السلطان ولی أمیر المؤمنین متعهد بيت الله الحرام وزيارة سيد المرسلين، أبي المعالي محمد بن السلطان الكبير الشهيد ابی الا مظفر قلاوون، سيد ملوك الأرض على الاجماع، المخصوص بملك أشرف البقاع. <sup>(5)</sup>

لقد استعان العمري بالمكتبة الأندلسية عند حديثه عن الأدب الأندلسي؛ لذا لا بد من الحديث عن أهم المصادر الأندلسية التي استعان بها العمري، وبيان مدى الفائدة الحاصلة . ومن أهم مصادر العمري في كتابه مسالك الأ بصار كتاب قلائد العقيان، لفتح بن خاقان، والذي بعد من المصادر الأساسية التي اعتمد عليه العمري في ترجمة بعض الشعراء الذين أخذ عنهم، وإراد بعض الأشعار الأندلسية الواردة في موسوعته، ومن الأمثلة على ذلك ما نقله من ترجمة الفتح بن خاقان، وعبد الجليل بن وهبون، وغيرهم من الشعراء، بالإضافة إلى بعض الأشعار الأندلسية الخاصة بوصف الطبيعة وصف الرحلات النهرية" ومن هذه الأشعار قول عبد الجليل بن وهبون: <sup>(6)</sup>

كأنما الشمعتان إذ سمتا خدا غلام محسن الفيد

(1) العمري ، مسالك الأ بصار ، ج1، ص28.

(2) المصدر نفسه، ص28.

(3) المصدر نفسه، ص29.

(4) المصدر نفسه، ص29.

(5) المصدر نفسه، ص32-33.

(6) المصدر نفسه، ص108-109.

وفي حشا النهر من شعاعهما طريق نار الهوى إلى كبدي  
ومن مصادر العمري أيضا كتاب "البيان المغرب" للمراكشي، فقد استعان به العمري  
في حديثه أيضا عن بعض الأمراء الامويين الوارد ذكرهم في كتابه، ففي حديثه عن الأمير  
عبدالرحمن الاوسط : " بويغ بقرطبة سنة 206هـ "، بعد وفاة أبيه، وهو أول من جرى على  
سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة، فشيد القصور، وجلب الماء العذب إلى  
قرطبه...، وكان اديبا ينظم الشعر، مطلع على علوم الشريعة...".<sup>(1)</sup>

ومن مصادر العمري أيضا كتاب "الحلة السيراء" لابن الآبار، فكانت الفائدة الحاصلة  
منه في الحديث عن ترجمة بعض الشعراء والأمراء، الوارد ذكرهم في الكتاب، والذين  
تحدث عنهم العمري، مثل الأمراء الامويين، وأمراء الأندلس الذين كان لهم دور بارز في  
حديثه عن عبد الرحمن الداخل، ومن الأمثلة على ذلك ترجمته للصميل بن حاتم، قال عنه  
: " بأنه شيخ المضرية في الأندلس، وأحد الأمراء الدهاء الشجعان الاجواد، قدم الأندلس في  
امداد الشام أيامبني أمية، فرأس بها... ".<sup>(2)</sup>

ومن مصادر العمري أيضا ،كتاب "المغرب في حلى المغرب" لابن سعيد، فكانت الفائدة  
الحاصلة منه في نقله لترجمة الشعراء الأندلسيين الوارد ذكرهم في كتابه مسالك  
الابصار، وهو من المصادر الرئيسية عند العمري، ومن الأمثلة على ذلك ما أورده عن  
ترجمة عبد الرحمن الاوسط، والفتح بن خاقان.<sup>(3)</sup>

ومن مصادر العمري أيضا، كتاب "اللمحة البدريه" لابن الخطيب، ولم تكن الفائدة  
الحاصلة منه بقدر المصادر الأندلسية الأخرى، فقد استuan به العمري في حديثه عن مملكة  
الأندلس: "المملكة الإسلامية بالأندلس حماها الله تعالى طول مسافتها عشرة أيام، وعرضها  
ثلاثة أيام، وسلطانها الآن اعني عام ثمانية وثلاثين وسبعيناً هو يوسف بن اسماعيل بن  
فرج بن نصر، مستقره غرناطة".<sup>(4)</sup>

---

(1) العمري،مسالك الابصار ، ج 1 ، ص 466

(2) المصدر نفسه ، ص 454

(3) المصدر نفسه ، ص 466

(4) المصدر نفسه، ص 227

ومن مصادر العمري أيضا كتاب "الذخيرة في محسن أهل الجزيرة" لابن بسام ، فكانت الفائدة الحاصلة منه في حديثه عن ابن زيدون ، ومن الأمثلة على ذلك ما نقله من الذخيرة : " كان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة ، وضرع أدبه ، وجاد شعره ، وعلا شأنه ثم انتقل عن قرطبة إلى المعتصد صاحب إشبيلية سنة إحدى وأربعين وأربعين وأربعين فجعله من خواصه يجالسه في خلواته ، ويرت肯 إلى إشاراته ، وكان معه في صورة وزير ".<sup>(1)</sup>

## 6-1 منهج العمري

لقد اتبع العمري في "مسالك الابصار" منهاجا علميا واضحا، يقوم على الامانة العلمية في نقل المعلومة التي يستقيها من أعيان الثقات، ومن ذوي التدقير في النظر، والتحقيق للرواية، والاستكثار من السؤال عن كل مملكة، حتى يأمن تغفل الغلاء، وتخيل الجهات الضالة، وتحريف الافهام الفاسدة .<sup>(2)</sup> كما يعتمد منهجه علىوعي وتبصر شديدين ، فلم يذكر عجيبة حتى يفحصها، ولا غريبة حتى يذكر ناقلها، لتكون عهdtها عليه ، ويترأ منها<sup>(3)</sup>.

كما اعتمد منهجه على ذكر موجز أو نبذة عن حياة بعض الامراء من ترجم لهم، مستخدما اسلوب الإيجاز في حديثه ومن الأمثلة على ذلك حديثه عن الأمراء الأندلسين ، كما كان يعتمد على تعريف موجز للشعراء الذين يأخذ عنهم في ذيل الصفحات.<sup>(4)</sup>

كما كان يصح كل ما يكتبه حسب طاقته من غير اسهاب ولا تطويل، وفي هذا يقول : " ولا اسهرت في الظلمات عيني ولا تعبت في المحفورة يدي ، الا ما الممت منه المامت الطيف المنقر، ونجبت منه نغبة الطائر الحذر ، لأن غالب ما يقال، اسماء لا يعرف لها حقيقة، ومجاهل لا توصل اليها طريق".<sup>(5)</sup>

(1) العمري، مسالك الابصار ، ج1، ص261.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص29

(3) المصدر نفسه، ص31

(4) المصدر نفسه، ص31.

(5) المصدر نفسه، ص30.

## الفصل الثاني

### الشعر الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي

#### 1-2 وصف المدن الأندلسية :

عمد الشعراء الأندلسيون إلى وصف المدن الأندلسية، وتخليدها في الشعر ، فهي الوطن ، والأم ، والحبية، ولهذا لا نكاد نجد شاعراً منهم إلا ورددتها في شعره ، إما واصفاً ، أو مصوّراً لمعالمها وأثارها ، وصورها ، ومنتزهاتها ، وما حل بهذه المدن من خراب عند سقوطها بيد الأسبان ، والتحسر على هذه المدن الجميلة التي تمثل معالم الفكر والثقافة والحضارة الإنسانية ، وسندرس في هذا الجزء ثلات عشرة مدينة أندلسية ورد ذكرها في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي ، لما لها من أثر واضح ، ومكانة رفيعة في نفوس الشعراء .

#### 1-1-2 قرطبة<sup>(1)</sup>:

"هي مدينة غربي نهر إشبيلية ، وموقعها في أواخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة" ، دور قرطبة ثلاثون ألف ذراع ، وهي أعظم مدن الأندلس ، وعليها سور ضخم من الحجر ، ولها سبعة أبواب ، وبلغت عدة مساجدها "ألفا وستمائة مسجد ، وحماماتها تسعمائة حمام ، وهي مدينة خصبة<sup>(2)</sup> . ومن مضافات قرطبة مدينة الزهراء ، والقصير ، وحصن المرور ، وحصن مراد ، وكورة غافق وكورة استجة<sup>(3)</sup> .

ومن معالم قرطبة المشهورة مسجد قرطبة الذي قال فيه عبدالله بن الشمر<sup>(4)</sup> :

(1) القرطبا: السيف، كأنه من قرطبة أي قطعة ، وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها ، وكانت سريراً لملوكها وقصبتهما، وبها كانت ملوك بنى أمية ومعدن الفضلاء ، ومنبع النبلاء من ذلك الصقع ، وبينها وبين البحر خمسة أيام . انظر الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ، ت (626هـ/1228م) ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، (1399هـ/1979م) ، ج 4 ، ص 324 .

(2) اللقاشندي، صبح الأعشى، ج 5 ، ص 226 - 227 .

(3)المصدر نفسه، ص 227 .

(4) العمري ، مسالك الأبصرار ، ج 24 ، ص 467 .

بنى مسجداً لمْ يُبَيِّنَ في الأرضِ مثلاً  
لَهُ عَمَدٌ حُمْرٌ وَخُضْرٌ كَأَنَّمَا  
وهل مثلاً في حوزةِ الأرضِ مسجدٌ  
تلوخُ يواقيتُ بها وزبرجاً

فهذا البناء العظيم الذي لم بين على وجه الأرض مثلاً من أجل العبادة والعلم معاً ، ويصف الشاعر في البيت الثاني هذا المسجد الذي تتوج اعمدته بين الأحمر والأخضر وكأنها وهي قائمة ياقوت وزبرجد .

ومن معالم قرطبة المشهورة "مدينة الزهراء"<sup>(1)</sup> ، هي مدينة بناها الناصر الأموي في غرب قرطبة<sup>(2)</sup>.

وقد وصف أحمد بن عبد ربه<sup>(3)</sup> قصور مدينة قرطبة والرصفة بقوله<sup>(4)</sup> :

إلى منية زهراء شيدت لازهرا	اللما على قصر الخليفة وانظرا
فتحسيه يصغي إليها لتُخْبِرا	مزوقةً يستودعُ النجم سترها
بدا الصبح من أعرافه الشم مُسقرا	بناءً أتى ما الليل حل قناعه
تبس وجه الشمس ثوباً مُعصراً	ترى المنية البيضاء في كل شارق
وتلهي عن الفردوس من قد تذكرا	تذكراً بالفردوس من كان لا هيأ
وأنجمُها من نورها حين نورا	كأن السماء استوهبت لون أرضها

يصف الشاعر أحمد بن عبد ربه أحد القصور في مدينة قرطبة التي تدل على عظمة هذه المدينة الأندلسية، التي تعد من أجمل المدن الأندلسية التي خلدها الشعر على

(1) الزهراء من عجائب أبنية الدنيا ، أنشأها أبو المطراف عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله الملقب بالناصر أحد ملوك بني أمية بالأندلس ، بالقرب من قرطبة في سنة (325هـ) ، وبلغ طول الزهراء من الشرق إلى الغرب (ألفان وسبعمائة ذراع) ، وعرضها (ألف وخمسمائة ذراع) ، ويزيد عدد أبوابها على (خمسة عشر ألف باب) ، وعدد السواري فيها (أربعة آلاف وثلاثمائة سارية) ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (608 ، 681هـ) ، وفيات الأعيان وأئمأ أبناء الزمان ، حققه إحسان عباس ، دار صادر بيروت (1970م) ، ج 5 ، ص 26 .

(2) القلقشدي ، صبح الأعشى ، ج 5 ، ص 227 .

(3) أبو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى، ومولده سنة ست وأربعين ومتين لupon من رمضان، انظر ابن دحية، المطروب في أشعار أهل المغرب، حققه مصطفى عوض، الطبعة الأولى، مطبعة مصر - الخرطوم سنة 1954م)، ص 151.

(4) العمري ، مسالك الأ بصار ، ج 24 ، ص 470 .

مر العصور والأزمان، من معالم هذه المدينة القصور الإسلامية التي يصف الشاعر واحداً منها بصفات عديدة تدل على روعة وجمال الفن الإسلامي، فيطلب الشاعر من يزور هذه المدينة أن ينظر إلى قصر الخليفة والى منية الزهراء، فهي مزروقة من شدة جمالها تحسب أنجمها في السماء يصغي وينظر إليها، ثم يصف الشاعر البناء إذا ما حل الليل بدا هذا البناء من شدة لمعانه كأن الصبح قد طلع، ثم يشبه المنية البيضاء وكأنها ترتدي ثوباً معصراً عندما تعكس أشعة الشمس عليها، ثم يشبهها الشاعر بالفردوس على الأرض، وكم أن الشمس قد أخذت لونها ولمعاناً أنجمها منها، فهذا تصوير جميل لهذه القصور التي شيدت في مدينة قرطبة والتي تدل على مدى جمال هذه المدينة الأندلسية التي وصفها الشعر الأندلسي.

ومن معالم مدينة قرطبة التي خلدها الشعر (ناعورة قرطبة) التي كانت محكمة الصنعة مضروب بها المثل ، وفي ميزة هذه الناعورة قال أبو نعeman عبيدة الله بن يحيى:

تبُواً بينَ الحزنِ والسهلِ منزلاً	بأفيحِ فضفاضِ البساطِ على النهرِ
تصعدُ في ساحتهِ الخضرِ مأوهٌ	تصعدُ أنفاسِ المتيّمِ بالذكـرِ
ترقّى بها في الجوِّ ثم تعидеُ	إلى مستقرِ الأرضِ ناعورةٌ تجري
ترددُ تغريدَ الطيورِ وتارةٌ	ترجعُ ترجيعُ الأهازيجَ في الزمرِ <sup>(1)</sup>

يصف الشاعر هذه الناعورة بأنها قد أقيمت في مكان سهل فضفاض على أطراف النهر التي تحيط به المياه العذبة والساحات الخضراء الممتدة على مدى النظر ، حيث تصدع الناعورة بالماء في الجو ثم تعده إلى مستقر الأرض ، كما تصعد أنفاس العاشق المتييم عندما يرى محبوبته ثم يعود إلى ما كان عليه، ويشبه الشاعر صوت الناعورة حينما تصعد بالماء بصوت الطيور، وحين تعده إلى الأرض بصوت الأهازيج في الزمر. وهذه صورة جميلة رسمها الشاعر لهذه الناعورة التي تضيف جمالاً إلى جمال مدينة قرطبة .

---

(1) العمري ، مسالك الأ بصار ، ج 24 ، ص 477 - 478 .

## -1-2 غرناطة<sup>(1)</sup> :

ويقال : أغريناطة بهمزة مفتوحة في أولها، وهي مدينة في جنوب الأندلس، وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة<sup>(2)</sup> ، وهي دمشق بلاد الأندلس ومسرح الأ بصار ومطعم الأنفس وخصها الله تعالى من المرج الطويل العريض، وهي مدينة كبيرة مستديرة رائعة المنظر ، كثيرة الأشجار والأمطار والأنهار والبساتين والفاكه<sup>(3)</sup> ، وهذه الصفات العظيمة تجتمع فيها كل الخيرات العظام التي لم تتوفر لأي مدينة غيرها ، ومن صفاتها الأخرى أنها قليلة مهب الرياح ، لا تجري بها الريح إلا نادراً لاكتاف الجبال ايها<sup>(4)</sup> .

وينحدر نهر شنيل من جبل (شلير) وهو طود شامخ لا ينفك عنه الثلج شتاء ولا صيفا، فهو لذلك شديد البرد ويؤثر برده بغرناطة في الشتاء لقربه منها ؛ وفي ذلك يقول ابن سارة<sup>(5)</sup> ت (517هـ) الشاعر<sup>(6)</sup> :-

وشرب الحميّا وهو شيء محرّم	أحلّ لنا تركُ الصلاةِ بأرضكم
أرقُ علينا منْ شليرٍ وأرحمُ	فراراً إلى نارِ الجحيمِ لأنّها
ففي مثلِ هذا اليومِ طابتْ جهنّمُ	لئنْ كانَ ربِي مُدخلني في جهنّم

يحل الشاعر ترك الصلاة في هذه الأرض الباردة جدا ، التي لا يستطيع فيها المصلي أن يتوضأ من شدة بروادة الماء والجو فيها، ويحل شرب الخمر فيها التي تعطي الجسم نوع من الحرارة. ثم يرسم في البيت الثاني صورة لشدة بروادة هذه الأرض ، حيث يفتر

(1) تسمية غرناطة مشتقة من مصدر روماني وهو "GRANATE" ويقصد به الرمان وسميت بذلك لكونها ذات طبيعة جمالية عالية، لا نقدر بوصف انظر الذنون عبد الحكيم ، آفاق غرناطة، بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي ملحق موجز تاريخ الأندلس العربي ، الطبعة الأولى (1408هـ - 1988م)، دار المعرفة، ص 32.

(2) الفلكشندى، صبح الأعشى، ج 5، ص 213 .

(3) العمري ، مسالك الأ بصار ، ج 24 ، ص 227 .

(4) المصدر نفسه ، ص 227 .

(5) هو أبو محمد عبدالله بن سارة من ولد أحمد بن المدبر ولقبه الشنترىني نسبة لبلدة شنترىن التي تقع إلى الغرب من باجة بالقرب من مصب نهر باجة في البحر، عاش في عصر المرابطين وتوفي سنة 517هـ، انظر الوائلي، موسوعة شعراء الأندلس ، ص 153 .

(6) الفلكشندى، صبح الأعشى، ج 5، ص 215 .

الشاعر إلى نار جهنم فهي ارحم عليه من شدة برودة شلير، ثم يرسم صورة ثانية لشدة برودة الجو في هذه الأرض بقوله إذا كان ربي مدخلني النار يتمنى أن يكون يوم دخوله في مثل هذا اليوم.

وأما نهر (جدرة) فينحدر من جبل بناحية (وادي آش) شرقي شلير فيمتد بين مزارع وكروم إلى أن ينتهي إلى غرناطة فيشق المدينة نصفين<sup>(1)</sup>، ويوجد بغرناطة عيون ماء كثيرة ، وأشجار مختلف ألوانها وخصوصاً التفاح والقراصيا البعلبكية<sup>(2)</sup>، وبها الجوز والقسطل، والتين، والأعشاب ... ، وبجبل شلير عاقير الهند وعشب يستعمل في الأدوية، لا توجد في الهند ولا في غيره<sup>(3)</sup>. ومن مضافات غرناطة (وادي آش) ، ويقال (واد آش) بإبدال الياء همزة وهي بلدة حسنة، بدعة، منيعة جداً، كثيرة الفواكه والمزارع، والمياه تشق أمام أبوابها كما في غرناطة، وهي قريبة من جبل شلير، ولذلك فهي شديدة البرودة<sup>(4)</sup>.

ومنها الجزيرة الخضراء، ورندة، وبسطة، واندراش، والمرية، وشلوبين، ومالقة، ومرسية، وأشبونة، وجبل الفتح ؛ وهو الذي نزله طارق بن زياد عند فتح الأندلس في أول الإسلام<sup>(5)</sup> .

ومن معالم مدينة غرناطة الشهيرة قصر الحمراء الذي سماه القلقشندي "القصبة الحمراء" وتعني القصبة عندهم القلعة، وتسمى حمراء غرناطة ؛ وهي بدعة متعددة كثيرة المبني الضخمة، والقصور، ويجري فيها الماء تحت بلاط كما يجري في المدينة ...<sup>(6)</sup>. وأما جامع غرناطة فهو محكم البناء ، بديع جداً لا يلافقه بناء ، وتحف به دكاكين للشهد والأطارين ، وقد قام سقفه على أعمدة ظراف ، وبداخله الماء وبه أسانيد منصوبة لإقراء العلوم ، وهو معمور بالخير كل حين<sup>(7)</sup> . والواضح من هذا الوصف لجامع

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 215.

(2) العمري ، مسالك الأبصار ، ج 4 ، ص 228 .

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5 ، ص 206.

(4) المصدر نفسه، ص 221.

(5) المصدر نفسه ، ص 216 - 221.

(6) المصدر نفسه، ص 216 ، العمري ، مسالك الأبصار ، ج 4 ، ص 229 .

(7) العمري ، مسالك الأبصار ، ج 4 ، ص 230 .

غرذاطة انه أقيم في وسط المدينة ، وقد ظهرت فيه الفنون الإسلامية الأندلسية التي تدل على عظمة الزخرفة الأندلسية ، وقد تقنن في صنعه ، و كان يمر الماء بداخله ، وخصصت فيه أسانيد لتعليم جميع أنواع العلوم لطلبة العلم .

### ٣-١-٢ إشبيلية<sup>(١)</sup>

وسميت إشبيلية بالمدينة المنبسطة، وهي مدينة في غرب الأندلس وجنوبه على القرب من البحر المتوسط، وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة<sup>(٢)</sup>. ولها عدة كور في جنوب نهرها وشماله، فاما كورها في جنوب نهرها وهي الأكثر : كورة أركش، وكورة شريش، وكورة طريف، وأما التي في شمالي النهر فكورتان: إداهاما كورة أوتها ، ومن الممالك المضافة لإشبيلية أيضا مملكة شلب، وهي كورة ومدينة في غرب إشبيلية وشمالها وبشب قصر يعرف "بقصر الشراحيب" وهو الذي يقول فيه بعض الشعراء<sup>(٣)</sup> :-

وَسَلَّمَ عَلَى " قَصْرِ الشَّرَاحِيبِ " عَنْ فَتَىٰ لَهُ أَبْدًا شَوَّقٌ إِلَى ذَلِكَ الْقَصْرِ .  
وكان قصور بنى عباد دورهم في إشبيلية تبهر الناظرين، وتسر المشاهدين، ولهذا وصفها الشعراء الأندلسية، وتغنوا بجمالها وزخارفها، ورسوماتها.

وقد وصف ابن حمديس أحد قصور المعتمد بإشبيلية فيصفه بالجمال الذي لا يبلى فيه العز، بل هو متجدد دائما يفوق جمال إيوان كسرى، وفي هذا القصر قدسيّة يخشى لها الجميع، فيخلع من يطوه نعليه، وهذا القصر مفتوح لجميع الناس كما أن أبواب القصر تستقبل الزوار بالترحيب، كما قام ببناء هذا القصر بناة مهرة بكل دقة وإتقان، ومهاراتهم تفوق مهارة البشر، لذا خرج هذا القصر بأروع ما يكون، كما أن هذا القصر صحي حيث

(١) مدينة كبيرة عاصرة ذات أسوار حصينة ، وأسواق كثيرة ، تشتهر إشبيلية بتجارة الزيت يتجه به منها إلى أقصى المشارق والمغارب براً وبحراً ، وتشتهر أيضاً بكثرة شجر الزيتون الذي يغطي المنطقة كلها من أول إشبيلية إلى آخر مدينة لبلة ، انظر الإدريسي ، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص 178 .

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٢٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

تدخله الشمس منذ الصباح، ويشبه ابن حمديس جمال القصر في الليل بجمال الكحلة في العيون؛ يقول:-

يُجَدِّدُ فِيهَا كُلُّ عَزٌّ وَلَا يَبْلَى !  
 مَشَى قَدْمًا فِي أَرْضِهَا خَلَعَ النَّعْلَا  
 يُحْطِطُ إِلَيْهَا كُلُّ ذِي أَمْلٍ رَحْلًا  
 تَقُولُ بِتَرْحِيبٍ لَدَخْلِهَا : أَهْلًا  
 إِلَيْهَا أَفَانِينًا فَأَحْسَنَتِ النَّقْلَا  
 وَمِنْ صَيْتِهِ فَرْعَاعًا ، وَمِنْ حَلْمِهِ أَصْلًا !  
 وَقَلَّ لَهُ فَوْقَ السَّمَاكِينِ أَنْ يُعْلَى  
 أَرَاهُ لَهُ مَوْلَى مِنْ الْحَسَنِ لَا مِثْلًا  
 مَخَافِتُهُ لِلْجَنِّ فِي شَيْدِهِ مَهْلًا  
 عَلَى كُلِّ بَانِ غَايَةً مِنْهُ أَوْ فَضْلًا  
 رَقِيقًا ، وَأَذْنُ الدَّهْرِ تَسْمِعُهُ جُذْلًا  
 تَخَالُ الصَّبَّا مِنْهُ مَشْطَبَةً نُصْلَا  
 أَحْاطَتْ عَلَيْهَا مِنْ مَدَاوِيهَا صَقْلَا  
 أَلْفُ أَقَامَتْ مِنْ تَصَاوِيرِهَا شَكْلًا<sup>(1)</sup>

وبإسبانية مكان يدعى (بدر بد) وهو مرج اخضر كانه زمرد ، ونهر ينكسر ماؤه  
 كانه عسل ممزوج لشارب ، فإبنتى به أبنية رفيعة إلا أنها خيام ؛ وفيها يقول الوزير تمام  
 بن احمد<sup>(2)</sup> :

لعمري لمَا يوْمٌ مِنْ الدَّهْرِ كُلَّهُ	لَدَنْ رُوضَةٌ خَضْرَاءٌ مَا إِنْ تَخَالَهَا
بأنعمِ مِنْ يوْمٍ حَلَّنَا بِدَرْبِدِ	لعمركِ إِلَّا مَعْدَنًا لِلْزَمْرَدِ

(1) التويري ، نهاية الأرب ، ج 1 ، ص 408 ، انظر ابن حمديس ، الديوان " 527 - 447 " صحه وقدم له إحسان عباس ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت (1379هـ - 1960م) ، ص

..379 - 378

(2) العمري ، مسالك الأ بصار ، ج 4 ، ص 471 .

يصف الشاعر هذا المرج أو المكان الجميل (بدر بد) بالروضة الخضراء ذات المياه العذبة ، فكل من يراها يحسبها الزمرد، وان انعم يوم يمر على الشاعر هو اليوم الذي يحل فيه في (بدر بد) حيث صفاء الجو والمناظر الخضراء الجميلة التي تروح عن النفس فتجلب السعادة والفرح .

#### -4-1-2 بلنسيه<sup>(1)</sup>:-

وموقعها في أواخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة، وهي في أحسن مكان، وقد حفت بالأنهار والجනات، فلا ترى إلا مياها تتفرع، ولا تسمع إلا أطيواراً تسجع، وهي بحيرة حسنة على القرب من بحر الزقاق<sup>(2)</sup>.

ومن مضافات بلنسية مدينة شاطبة، وهي مدينة عظيمة، ولها معقل في غاية الإقلاع، وعدة متزهات، منها :- "البطحاء ، والغدير، والعين الكبيرة ، ومنها أيضا دانية، وهي مدينة غربي بلنسية على البحر عظيمة القدر كثيرة الخيرات"<sup>(3)</sup>.

وأنشد ابن حريق<sup>(4)</sup> :

بلنسية ببني عن القلب سلوة  
فإنك زهر لا أحن لزه رك  
وكيف يحن المرأة داراً نقسمتْ  
على ضاري جوع وفتنة مشرك<sup>(5)</sup>

(1) بلنسية : كورة ومدينة مشهورة بالأندلس ، متصلة بحوزة كورة تدمير ، وهي شرقى تدمير وشرقي قرطبة ، وهي بربة بحرية ذات أشجار وانهار ، وتعرف بمدينة التراب ، وتنتمي بها مدن تعد في جملتها ، والغالب على شجرها القراسيا ، ولا يخلو منه سهل ولا جبل ، وبينيت بكورها الزعفران ، وبينها وبين تدمير أربعة أيام ، ومنها إلى طرطوشة أيضاً أربعة أيام ، وكان الروم قد ملكوها سنة (487هـ) ، واستردتها الملثمون سنة (495هـ) ، وأهلها خير أهل الأندلس يسمون عرب الأندلس ، وبينها وبين البحر فرسخ ، الحموي ، معجم البلدان ، ج 1 ، ص 490 .

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 231.

(3) المصدر نفسه، ص 231 – 232.

(4) هو أبو الحسن علي بن حريق ،شاعر بلنسية الفحل المستبحر في الآداب واللغات ،كان عالماً بفنون الآداب حافظاً لأيام العرب وأشعارهم،شاعراً مفقلاً ذا بدبيهه،اعترف له بالسبق بلغاً وفته،توفي سنة 622هـ،انظر ابن الآبار ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضايعي البلنسي المتوفى سنة 658 هجري،التكلمة،عني بنشره وصححه ، ووافق على طبعه عزت العطار الحسني ، مكتبة الثقافة الإسلامية ج 2،ص 679،ابن سعيد،المغرب ج 2،ص 318 .

(5) الحموي،معجم البلدان،ج 1،ص 491.

فالشاعر يشبّه بلنسية بالزهر الجميل الذي يحن إلية كلما غادرها ، على الرغم من تقسيمها ووقعها تحت الاحتلال النصراوي، وقد عانت من الويلات والمصائب وهي تحت الحكم النصراوي ،فتحولت من مدينة جميلة إلى مدينة كالزهرة التي تنشر عطرها إلى مدينة قبيحة. ومن عمل بلنسية قرية بطرنة، وهي التي كانت فيها الواقعة المشهورة للنصارى سنة(456هـ) على المسلمين، وفيها يقول أبو إسحاق الطرسوني<sup>(1)</sup> :-

لِبِسُوا الْحَدِيدَ إِلَى الْوَغْيَ وَلِبِسْتُمْ  
حَلَّ الْحَدِيدِ عَلَيْكُمُ الْوَانَا  
لَوْ لَمْ يَكُنْ بِبَطْرَانَةِ مَا كَانَ<sup>(2)</sup>

### 1-2-5 طليطلة<sup>(3)</sup> :

موقعها في أواخر الإقليم الخامس وهي مدينة كانت قاعدة الأندلس في القديم، وبها كان كرسي الملك (الذریق) آخر ملوك القوط، الذي انتزعها المسلمون منه<sup>(4)</sup> . وهي من أمنع البلاد وأحصنها، مبنية على جبل عالٍ، والأشجار محدقة بها من كل جهة، ويصير بها الجنار بقدر الرمانة<sup>(5)</sup>. ولها نهر يمر بأكثرها ينحدر من جبل الشارة من عند حصن يقال له (باجة) وبه يعرف نهر طليطلة<sup>(6)</sup> .

(1) هو أبو إسحاق ابراهيم بن معلى من مدينة طرسونة ،شاعر ممتد نفسه شديد المرس قدير على التطويل اشتهر ذكره بمدح ملك التغر المقتدر بن هود،وجال على بلاد الأندلس،انظر ابن سعيد،المغرب،ج2،ص457.

(2) ابن المماتي ،اسعد بن مهذب ابن أبي مليح ،توفي سنة (606هـ ) ،لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة ، وهو تلخيص لكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لعلي بن بسام ،تحقيق وتقديم نسيم مجلّى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2001م ، ص 338.

(3) هي مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس يتصل عملها بعمل وادي الحجارة من أعمال الأندلس، وهي غربي ثغر الروم وبين الجوف والشرق من قرطبة ، وكانت قاعدة ملوك القرطبيين ، وموضع قرارهم ، وهي على شاطئ نهر تاجة وعليه القنطرة ، وقد ذكر قوم أنها مدينة أصحاب أهل الكهف ، ويقرب منها موضع يقال له جنان الورد فيه أجساد أصحاب الكهف ، وكانت طليطلة تسمى مدينة الأملالك ملكها أثثان وسبعون لساناً فيما قيل دخلها عيسى بن مرريم ، وذو القرنين ، والحضر عليهم السلام ، الحموي ، معجم البلدان ، ج 3 ، ص 545

(4) الفقشندی،صبح الاعشى،ج5،ص227-228.

(5) المصدر نفسه ، 228.

(6) المصدر نفسه ، ص 228.

ومن مضافات مدينة طليطلة، (مدينة وليد) وهي من أحسن المدن، تقع في الغرب من طليطلة، ومنها (مدينة الفرج) وتقع شرق طليطلة، ومنها (مدينة سالم) وهي بالجهة المشهورة بالثغر من شرقي الأندلس، وهي مدينة جليلة، يوجد بها قبر "المنصور بن أبي عامر" <sup>(1)</sup>.

## 6-1-2 بطيوس <sup>(2)</sup>:

وهي مدينة من غرب الأندلس موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة <sup>(3)</sup>، وهي حديثة الاتخاذ بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي بِإِذِنِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ لَهُ فِي ذَلِكَ <sup>(4)</sup>، وهي مدينة عظيمة كانت بِيَدِ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ عَمِّ الْأَفْطَسِ، وبنى بها المباني العظيمة وفيها يقول أبو الحسين يحيى بن نجاح القرطبي الملكي مولى جعفر الأموي يعرف بابن الفلاس المتوفى بمصر سنة 422هـ:-

فَلَلَّهُ غَورٌ فِي جَنَابَكَ أَوْ نَجْدُ تَقْجَرٌ وَادِيهَا كَمَا شَقَّقَ الْبَرْدُ	بَطْلِيوسُ لَا أَنْسَاكَ مَا اتَّصَلَ الْبُعْدُ وَلَلَّهِ دُوَحَاتٌ تَحْفِي أَبْيَهَا
---	--

فالشاعر في هذه الأبيات لا يستطيع أن ينسى هذه المدينة الجليلة الجميلة، فقد جعل الله فيها من الدوحات الجميلات التي تحيط بطيوس من كل جهة، ومن ثم شبه واديهما والمياه فيه بالبدر من شدة جماله.

وعندما بناها الجليقي السالف ذكره بِإِذِنِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ لَهُ فِي ذَلِكَ، فأنفذ له جملة من البناء، وقطعة من المال، فشرع في بناء الجامع باللبن، وبنى صومعته الخاصة بالحجر، وبنى مسجدا خاصاً داخل الحصن، وكان سور بطيوس مبنياً بالتراب <sup>(5)</sup>.

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 228.

(2) وهي بسط من الأرض، ولها ربع اكبر من المدينة في شرقها وهي على ضفة نهرها الكبير المسمى بالغور، انظر الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذه من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 188.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 223.

(4) الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم ، الروض المعطار ، ص 46.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 224.

ومن مضافات بطليوس، (ماردة) وهي مدينة على جنوبى نهر بطليوس، وموقعها في أول الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة ومنها (يابرة)<sup>(1)</sup>.

: طرطوشة<sup>(2)</sup> 7-1-2

وهي مدينة في شرق الأندلس وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة، وهي شرق بلنسية في الجهة الشرقية من النهر الكبير الذي يمر على سرقسطة ويصب في بحر الرقاق<sup>(3)</sup>. وبجبالها خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظ<sup>(4)</sup>، وهو خشب أحمر صاف القشرة، لا يفعل فيه السوس ما يفعله في غيره<sup>(5)</sup>. وإلى طرطوشة هذه ينسب "طرطوشى" "صاحب" "سراج الملوك".<sup>(6)</sup>

8-1-2 حانی (7)

موقعها في أول الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة، وهي من أعظم مدن الأندلس وأكثرها خصباً، كانت بيد بني الأحمر أصحاب غرناطة، فأخذها الفرنج منهم بالسيف بعد حصار طويل<sup>(8)</sup>، وهي كثيرة العيون، طيبة الأرض، كثيرة الثمار، وبها الحرير كثير<sup>(9)</sup>.  
وقال ابن أبي ركب بجيـان<sup>(10)</sup> بعد خروجه منها :

(1) الفلكشندى، صبح الأعشى، ج5، ص 224 .

(2) وهي مدينة بالأندلس تتصل بكوره بلنسية وهي شرقي بلنسية وقرطبة قريبيه من البحر ، مبنية على نهر (إيره) ولها ولاية واسعة وبلاط كثيرة تعد. الحموي ، معجم البلدان ، ج 4 ، ص 30 .

(3) القافشندى، صبح الأعشى، ج 5، ص 233.

(4) الإدريسي ، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأكولة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، ص 190.

المصدر نفسه ، ص 190 . (5)

(6) الفلكشندى، صبح الأعشى، ج 5، ص 233.

(7) وهي مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكوره إلبيرة مائلة عن إلبيرة إلى ناحية الجوف في شرقى قرطبة بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً، وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة، وكورتها متصلة بكوره تدمير، وكورة طليطلة انظر الحموي ، معجم البلدان، ج 2، ص 199.

(8) القلشندى، صبح لأشنى، ج5، ص 229.

(9) المصدر نفسه ، ج 5، ص 229.

(١٠) هو أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود الخشني ،من أهل جيان،يكتنى:أبا ذر ويعرف بابن أبي ركب، انظر ، ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج 2، ص 700

أَجِيَّانُ أَنْتَ الْمَاءُ قَدْ حَيْلَ دُونَةٌ  
 ذَكْرُ تُكَ أَذْهَبَتْ شَمَالٌ وَإِذْ بَدَا  
 مَتَّى مَا أَرِدْ سِيرًا إِلَيْكَ تَرْدَنِي  
 وَإِنِي لَظَمَآنٌ إِلَيْكَ وَصَادِي  
 لَعِينِي مِنْ تَلَكَ الْمَعَالِمُ بَادِي  
 مَخَافَةً أَسِيَادَ هَنَاكَ عَوَادِي<sup>(1)</sup>

يصف ابن أبي ركب جيان بأنها الماء الذي يروي العطشان وهو الظمآن إليها ولكن لا يستطيع المكوث أو العودة إليها ؛ فكلما أراد أن يسير إليها رجع وأفلع عنها مخافة من الأعداء في جيان، والشاعر يتذكر هذه المدينة الجميلة كلما هبت ريح الشمال ورأى فيه باد من معالم جيان. ومن مضافات جيان (مدينة قيجاطة) وهي مدينة نزهة كثيرة الخصب، ومنها (بياسة) وهي مدينة على نهر إشبيلية فوق إشبيلية طيبة الأرض كثرة الزرع، وبها الزعفران الكثير، ومنها (مدينة آبرة) وهي مدينة اسلامية لها عين تسقي الزعفران، ومنها (جبل سمنتان) وهو جبل به حقول وقرى كثيرة ، ومنها (معقل شقورة)، و(حصن برشانة)<sup>(2)</sup> .

### -1- 9 سرقسطة<sup>(3)</sup>:

وهي مدينة أحذقت بها بساتينها زمرة خضراء، والتقت عليها أربعة أنهار فأصبحت بها مرصعة مجزعة<sup>(4)</sup>. ولسرقسطة منتزهات كثيرة منها (قصر السرور) و (مجلس الذهب)<sup>(5)</sup> ، وفيه يقول ابن هود<sup>(6)</sup> :-

(1) الحميري، صفة الجزيرة الأندلس، ص 72.

(2) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 229 - 230.

(3) هي قاعدة من قواعد الأندلس، ممتدة الأطناب و الديار والمساكن، متصلة الجنان والبساتين ، انظر الحميري،صفة جزيرة الأندلس ، ص 96.

(4) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 232.

(5) المصدر نفسه، ص 232.

(6) هو الأمير أبو محمد عبدالله بن هود،نفاه ابن عمه المقتر عن التغر،وقصد طليطلة حضرة ابن ذي النون،ثم مل الإقامة هنالك،فجعل يضطرب ما بين ملوك الطوائف إلى أن استر قراره عند المتوكل بن الأفطس،انظر ابن سعيد،المغرب ج 2،ص 439.

قَصْرَ السُّرُورِ وَمَجْلِسَ الْذَّهَبِ  
بِكَمَا بَلَغْتُ نِهايَةَ الطَّرَبِ  
فيصف الشاعر قصر السرور ومجلس الذهب بأنهما مبلغ ونهاية الطرب<sup>(1)</sup>.

## 10-1-2 مرسيّة<sup>(2)</sup> :

وموقعها في أوائل الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة<sup>(3)</sup>، ولمرسية عدة متزهات منها، الرشاقة، الزنقات، وجبل أيل المشرف تحته البساتين وبسط تسرح فيه العيون<sup>(4)</sup>، تحتوي مدينة مرسيّة على العديد من المتزهات الجميلة التي كان يقصدها الناس من أجل التزه والترويح عن النفوس والتمتع بجمال الطبيعة في هذه المدينة الأندلسية، وإن هذه المتزهات تعطي وصفاً كاملاً لجمال هذه المدينة الأندلسية، والشاعر في البيتين يصف جمال إحدى الجنات في هذه المدينة التي قادهم ودهم إليها من أجل التمتع بجمالها وتصفي نفوسهم من متاعب الحياة، فالمنازل فيها كالبدور من شدة جمالها وروعتها بنائها، وهي مطالع للسموس التي تعطي هذه المتزهات جمالاً على جمالها.

ومن مضائقات مرسيّة (مدينة موله) وهي في غرب مرسيّة، ومدينة (أريولة)<sup>(5)</sup>.

وقد اعطى الشعر الأندلسي وصفاً كاملاً لمدن الأندلس الخالدة على مر التاريخ والتي تدل على حضارة عربية إسلامية استمرت فيها مدة ثمانية قرون عمرت فيها البلاد وجعلتها جنة من جنан السماء في الأرض، لم يترك الشعر الأندلسي أي مكان من الأندلس إلا وأعطاه حقه من الوصف الذي سيخلده على مدى العصور والأزمان.

(1) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 232.

(2) هي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير وهي في مستوى من الأرض على النهر الأبيض ولها ربع عامر آهل وعليها وعلى ربعها أسوار حصينة وحظائر متقدمة والماء يشق ربضها وهي على ضفة النهر المعروف، وفيها قنطرة مصنوعة من المراكب ، ولها ارحاء طاحنة في المراكب مثل طواحن سرقسطة . الإدريسي ، المغرب وارض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص 194-195 .

(3) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 230.

(4) المصدر نفسه، ص 230.

(5) المصدر نفسه، ص 230.

## 2-2 وصف المعارك والحروب

الزلقة<sup>(1)</sup>:

كانت هذه الواقعة في يوم الجمعة في العشر الأول من شهر رمضان سنة (479هـ) ، وقد عرف هذا اليوم عند العرب "بيوم العروبة"؛ وسمي بذلك لحسنه على العرب والمسلمين<sup>(2)</sup> .

وبعد اجتماع المعتمد ويوف ويوسف في إشبيلية، توافت جموع المتطوعين من الأندلس من كل مدنها، فخرج من قرطبة من المتطوعين أربعة آلاف فارس وراجل، وجاء المسلمون من بلاد الأندلس من كل بلد وحصن، واتصلت الأخبار بالأذنونش، فخرج من طليطلة في أربعين ألف فارس غير من انضم إليه، وكتب إلى يوسف يغلوظ ما عنده من العدد والعدة، ووسع وأطال وبالغ، ووصل الكتاب إلى يوسف، فكتب على ظهر كتابه "الذي يكون ستراه".

ولا كتب إلى المشرفية والقنا ولا رسائل إلا بالخميس العَرَمَ<sup>(3)</sup>.

ورد يوسف بن تاشفين على كتاب الأذنونش بالكتابة على ظهر كتابه، يذكرنا في التاريخ الإسلامي برد الخليفة (هارون الرشيد) على كتاب ملك الروم، عندما رفض دفع الجزية للمسلمين، فكتب له هارون الرشيد على ظهر كتابه العبارة المشهورة "من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نفور كلب الروم، الأمر ما تراه لا ما تسمعه، وقد انتصر هارون الرشيد على الروم، وأجبرهم على مضاعفة الجزية، كذلك انتصر يوسف على

---

(1) بطحاء الزلقة من عمل بطليوس من غرب الأندلس، فيها كانت الواقعة الشهيرة للمسلمين على الملاعين الذهبي، العبر في خبر من غبر، حققها وضبطها على مخطوطتين أبو هاجر محمد بن السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج 2، ص 34.

(2) النويري، نهاية الأربع، ج 23، ص 458.

(3) المصدر نفسه، ص 455-456.

الأذفونش. وردَّ إليه، فلما قرأ الأذفونش الجواب ارتاع وقال: "هذا رجلٌ له عزم!"<sup>(1)</sup> وقبل بدء المعركة رأى الأذفونش في نومه كأنه راكب على فيل فضرب نمير الطبل فهالته رؤياه<sup>(2)</sup>، فقص ذلك على القسيسين فلم يعرفوا تأويله، فأستحضر رجلاً مسلماً عالمنا دينياً، فقال تأويل هذه الرؤيا في آيتين من كتاب الله عز وجل<sup>(3)</sup>، أما الفيل فقد قال الله تعالى: "إِنَّمَا تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ" [سورة الفيل]، وأما ضرب النمير فقد قال الله تعالى: "إِنَّمَا تُقْرَرُ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ" [سورة المدثر]<sup>(4)</sup>. وذلك يقتضي هلاك الجيش الذي تجمعه، فلما جمع الأذفونش الجيش، ستحضر المعبر وقال له: "هذا الجيش الذي ترى ألقى به محمدًا صاحب كتابكم، فانصرف المعبر عنه وقال: "هذا الملك هالك لا محالة وكل من معه فإنه قد أعجب بجمعه..."، وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم، (ثلاث مهلكات)<sup>(5)</sup>. ويرى الباحث أن الله أراد أن يدخل في قلبه الرعب والخوف من جيوش المسلمين ، وما سيحل به من هزيمة ، فأراد الله أن يرى الأذفونش هزيمته قبل بدء المعركة .

وسار المعتمد بن عباد وأمير المسلمين بالعساكر إلى موقع المعركة وهي سهل الزلقة ، كما أتى الأذفونش فنزل موضعًا بينه وبينهم ثمانية عشر ميلاً، فضرب خيامه في سفح جبل، والمعتمد في سفح جبل آخر بحيث يتراءان، ونزل يوسف بن تاشفين في جبل وراء الجبل الذي فيه المعتمد<sup>(6)</sup>.

وجاء في الروض المعطار في تحديد يوم اللقاء بأن يكون يوم السبت يقول الأذفونس: "غداً يوم الجمعة وهو عيدكم، وبعده الأحد وهو عيدنا، فليكن لقاونا بينهما يوم السبت"<sup>(7)</sup>. ويتفق الباحث مع رأي النويري، في تحديد يوم اللقاء يكون يوم الاثنين، لأن السبت عيد اليهود، وقد كانوا بكثرة في جيش الأذفونش فاحتراماً لهذا اليوم، يكون يوم

(1) النويري، نهاية الأربع، ج 23، ص 456.

(2) الحميري، الروض المعطار، ص 289.

(3) النويري، نهاية الأربع، ج 23، ص 456.

(4) الحميري، الروض المعطار، ص 289.

(5) النويري، نهاية الأربع، ج 23، ص 456-457.

(6) المصدر نفسه، ص 457.

(7) الحميري، الروض المعطار، ص 290.

اللقاء الاثنين هو الأغلب، كما إن أغلب المصادر التاريخية تقول بأن يوم تحديد اللقاء كان يوم الاثنين.

ثم ركب الأذفونش صبيحة الجمعة، واجتمع جيشه بجيش المعتمد<sup>(1)</sup>، وقد بدأت المعركة بأن هجم الأذفونش على جيش المسلمين المؤلف من الفرسان تحت قيادة داود بن عائشة، الذي لم يتمكن من صد الهجوم، وفي الوقت نفسه قامت الفرقة الثانية من جيش النصارى بقيادة ملك نافار، وهجمت بشدة على قوات الأندلس، فسادها الاضطراب، وسرى بين أفرادها التوجس<sup>(2)</sup>، فصبر المسلمون وقتل منهم خلق كثير، وأشرفوا على الانهزام<sup>(3)</sup>،

ولمّا شاهد يوسف بن تاشفين تفوق الأعداء، دفع بقواته الاحتياط التي كان تحت قيادة القائد الباسل (سيير بن أبي بكر) الذي اقتحم المعركة لإنجاد فرق الأندلس، فدب الأمل في نفوس المسلمين، واستردوا ثباتهم، وتغير وجه المعركة بسرعة<sup>(4)</sup>، أما يوسف فقال للأدلة: أحملوني إلى مضارب الأذفونش، فما شعر الفرنج إلا وقد نهبت خيامهم وخزائن الأذفونش والقتل يعمل فيهم من وراء ظهورهم<sup>(5)</sup>، ثم أقبل يوسف بعد ذلك وطبلوه تصدع الجو، فلما أبصره الأذفونش وجه إليه وقصده بمعظم جنوده فبادر إليه يوسف وصادمه بجمعه فردهم إلى مركزهم وانتظم به الشمل بابن عباد ووجد ريح الظفر وتبشير بالنصر<sup>(6)</sup>.

### 3-2 وصف الطبيعة الأندلسية:

منح الله الأندلس طبيعة فاتحة وكانت أغنى بقاع المسلمين منظراً وأوفرها جمالاً. ترتفع فيها الجبال الخضراء، وتمتد في بطاحتها السهول الواسعة، وتجري فيها الجداول

(1) النويري، نهاية الأربع، ج 23، ص 457.

(2) ضيا باشا، الأندلس الذهابة دول الطوائف ودولة المرابطين وبداية دولة الموحدين، ترجمة عبد الرحمن أرشيدات، راجعه وحققه صلاح أرشيدات، ج 2 ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام (14) المملكة الأردنية الهاشمية ، ص 79.

(3) النويري، نهاية الأربع، ج 23، ص 457.

(4) ضيا باشا، الأندلس الذهابة ، ص 79.

(5) النويري، نهاية الأربع، ج 23، ص 458.

(6) الحميري، الروض المعطار ، 291.

والأنهار، وتغرس على أفنان أشجارها الصنادل والأطiar<sup>(1)</sup>، فقد أبدعها الخالق أيماءً إبداعاً، وصاغها خير صياغة، ولونها أجمل الألوان، فلا يستطيع من يراها إلا أن يغنى، ولا من شاهدها إلا أن تفتته<sup>(2)</sup> ، لذلك هم أكثر الشعراء الذين تغنو بجمالها وحسنها، ونبغ فيها العديد من الشعراء الذين أسرتهم الأندرس بجمالها وطبيعتها المنفردة على جميع بقاع الإسلام، فكان هناك الكثير، ممن أبدعوا في وصف الطبيعة الأندلسية، أمثال "ابن خفاجة شاعر الطبيعة الأندلسية فجاءت قصائده معبرة وموحية عن مشاعره وعواطفه اتجاه هذه الطبيعة الجميلة، وابن زيدون وابن حمديس وغيرهم الكثير.

وإن الداخل إلى بلاد الأندرس لا يتزود فيها بالماء حيث سلك؛ لكثرة أنهارها وعيونها، وربما لقى المسافر فيها في اليوم الواحد أربع مداين، ومن المحافظ والقرى ما لا يحصى؛ ومن أجمل ما قيل في الأندرس، وجمال طبيعتها قول ابن سفر المريني:

وكل روضٍ بها في الوشى صناء  
والخرُّ روضتها، والذرُّ حصباء  
من لا يرقُّ، وتبدو منهُ أهواء  
وجاداً بها إذ تبدَّتْ وهي حسناء  
والطيرُ يشدُّو وللأغصانِ إصغاء  
فهي الرياضُ، وكل الأرضِ صحراء<sup>(3)</sup>

وقال أبو مروان عبد الملك بن رزين في وصف الطبيعة الأندلسية الخلابة<sup>(4)</sup> :

فأضحيَّ مقيماً للنفوسِ وَمَعْقاً دا  
رواقصَ في خُضرِ مِنْ العَصْبِ مَيَّدا  
وقدْ كسرَتْ راحَةُ الريحِ مَبْرَدا  
غنَاءً ينسِيكَ الغَرِيفَصَ وَمَعْدا

وكيف لا يبهجُ الأ بصارَ رؤيتُها  
أنهارُها فضةُ، والمُسْكُ تُرْبَتها  
وللهواء بها لطفٌ يرقُّ به  
دارَتْ عَلَيْها نِطاقةً أَبْحَرَ خَفَضَتْ  
لذلكَ يَبْسُمُ فيها الزَّهْرُ من طَرَبٍ  
فيها خَلَعْتُ عِذاري ما بها عِوضٌ

وَرَوْضٌ كَسَاهُ الْطَلْ وَشَيَا مُجَدَّاً  
إِذَا صَافَحَتْهُ الْرِيحُ خَلَتْ غُصُونَهُ  
إِذَا مَا انسَكَابَ المَاءِ عَالَيْنَتْ خَلَتَهُ  
وَغَنَتْ بِهِ وَرَقَّ الْحَمَامَ حَوْلَنَا

(1) الركابي ، جودت ، الطبيعة في الشعر الأندلسى ، مطبعة جامعة دمشق (1378هـ-1959م) ، ص 14.

(2) البيومي محمد رجب ، الأصلة في شعر الطبيعة بالأندلس ، بحث منشور بمجلة الأديب مجلة تبحث في الآداب والفنون والعلوم والسياسة والاجتماع ، العدد 25 ، يناير سنة 1966 ، ص 14.

(3) المقري ، أحمد بن محمد التلمذاني (ت 1038هـ) ، نفح الطيب من غصن الأندرس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، حققه إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى (1968) ، ج 1 ، ص 208-210.

(4) العمري ، مسالك الأ بصار ، ج 11 ، ص 259.

فَخُذْهَا مَدَامًا مِنْ غَزَالٍ كَانَةٌ  
إِذَا مَا سَعَى بَدْرٌ تَحْمِلُ فَرْقَدًا

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن جمال الطبيعة الأندلسية الخلابة ، بما تمثل من معالم طبيعية تبهر المشاهد ، ويتحدث عن جمال الرياض الخلابة التي يكسوها الطل فنصب وشيا متجددا ، ليعطي النفوس راحة وطمأنينة ، ثم يجسد هذه الغصون الجميلة عندما تداعبها الرياح بالرافقـة البارعة حيث تتمايل بتـرمـن وسـعادـة ، ولا تكون هذه الصورة كاملة إلا بـوـجـودـ المـاءـ العـذـبـ الذيـ يـعـطـيـ الحـيـاةـ الجـمـالـ ،ـ والـذـيـ يـصـبـحـ بـارـداـ عـذـبـاـ منـ هـبـوبـ الـرـيـحـ عـلـيـهـ ،ـ وـهـذـهـ الطـبـيـعـةـ الجـمـيلـةـ تـجـعـلـ الحـمـامـ يـغـرـدـ بـصـوـتـ جـمـيلـ فـيـهـ ،ـ هـذـاـ الغـنـاءـ يـنـسـيـ الـهـمـ وـالـتـعبـ ،ـ ثـمـ يـتـحدـثـ عـنـ عـقـدـ مـجـالـسـ الشـرـابـ فـيـ هـذـهـ الطـبـيـعـةـ التـيـ تعـطـيـ جـوـاـ منـ السـعـادـ وـالـفـرـحـ ،ـ وـيـصـفـ السـاقـيـ بـالـغـزـالـ فـيـ مـشـيـتـهـ ،ـ وـبـالـبـدـرـ فـيـ جـمـالـهـ ،ـ إـذـاـ حـمـلـ هـذـهـ المـدـامـةـ وـسـعـىـ بـهـاـ .ـ

### وصف أنهار الأندلس:

نعمت الأندلس بأنهارها وجداولها الكثيرة التي أوجدت الخصب والنماء، ونشرت الخضراء الغناء في أرجاء البلاد، حيث البساتين والأعناب، وحقول المحاصيل تظل طوال أيام السنة<sup>(1)</sup>.

وبالأندلس أنهار كثيرة، وأعظمها نهران: الأول "نهر إشبيلية"، وهو في قدر دجلة، وهو أعظم نهر في الأندلس، ويسميه أهل الأندلس النهر الأعظم<sup>(2)</sup>.

وهو من أحسن الأنهار وأجلها ، محفوف بالبساتين والدور والقصور<sup>(3)</sup> ، وركب أبو محمد بن صارة مع أصحاب له في نهر إشبيلية في عشية سال أصلحتها على لجين الماء عقياناً ، وطارت زواريقها في سماء الله عقبانا، وأبدت نسيمها من الأمواج ، والدرر سدراً وأعakanأ ، في زورق يجول جولان الطرف ، ويسودا اسوداد الطرف؛ فقال:

تأملْ حَالَنَا وَالْجَوُّ طَلْقُ  
مُحْيَاهُ، وَقَدْ طَفَلَ الْمَسَاءُ  
تَجَاذَبَ مَيْرِطُهَا رِيحَ رُخَاءُ  
وَقَدْ جَالَتْ بَنَّا عَذْرَاءُ حُبْلَى

(1) السعيد محمد مجید ، الشعر في ظل بنی عباد، الطبعة الأولى ، مطبعة النعمان النجف الأشرف، ساعدت وزارة التربية على نشره، ص115.

(2) الفلقشندی، صبح الأعشى، ج5، ص234.

(3) العمري ، مسلك الأ بصـارـ ، ج 1 ، ص 108.

## بِنْهَرِ كَالْسَّجْنِلِ كَوْثَرِي

تُبَسِّ وجْهُهَا فِي السَّمَاءِ<sup>(1)</sup>

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن رحلة قام بها مع أصحابه على متن زورق في نهر إشبيلية ، فيصف لنا جمال هذه الرحلة ، وما أدخلته في نفوسهم من فرح وسعادة ، ويطلب الشاعر منا أن نتأمل حالهم في هذه الرحلة ، التي جرت في جو صاف وجميل وقت حلول المساء ، وما تعكسه أشعة الشمس الحمراء على مياه النهر حتى ظهر النهر كأنه سجنل كوثري، من شدة جماله .

ولما وقف عليها ابن خفاجة استحسنها واستطرافها واستطابها؛ فقال يعارضها على وزنها ورويها وطريقها<sup>(2)</sup> :

بِحَانَتِهَا، وَقَدْ عَبَسَ الْمَسَاءُ	أَلَا يَا حَبَّذَا ضَحَّكَ الْحَمَيَّا
تَنَازَعُ حَبْلُهُ رِيحُ رُخَاءُ	وَأَدَهُمْ مِنْ جِيادِ الْمَاءِ نَهَّا
رَأَيْتَ الْأَرْضَ تَحْسُدُهَا السَّمَاءُ	إِذَا بَدَتْ الْكَوَاكِبُ فِي غَرْقَى

يرسم الشاعر صورة جميلة لرحله نهرية في وقت المساء ، والتي تسيطر عليه السعادة والفرح مع شرب الحميا فيه ، ثم يشبه الزورق بأنه جواد اسود تتناظره الرياح فتحركه كيفما شاء ، حتى إذا انعكست صورة الكواكب في هذا النهر أصبح ذا منظر جميل تحسده عليه السماء .

وينبع من جبال شقورة حيث يبلغ طوله خمس عشرة درجة، وعرضه ثمان وثلاثون وثلاثين، ويجري في ابتدائه من الشرق إلى الغرب<sup>(3)</sup>، ثم يصب إلى عدّة أنهار منها "نهر شنيل" الذي يمر على غرناطة<sup>(4)</sup>، وفيه يقول الشاعر الكنتدي<sup>(5)</sup>:

(1) العمري ، مسالك الأنصار ج 1 ، ص 110.

(2) المصدر نفسه ، ص 111-110 .

(3) المصدر نفسه ، ص 235.

(4) المصدر نفسه ، ص 235.

(5) هو أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الكنتدي، هو من نبهاء شعراء عصره. سكن غرناطة، انظر ابن سعيد ، المغرب في حل المغرب ، حفظه وعلق عليه شوقي ضيف ، ط 4 ، دار المعارف ، ج 2، ص 264.

وينحدر "نهر شنيل" من جبل شلير بجنوبها<sup>(1)</sup>.

يا نهرُ أشنيلَ ألا عودةُ      لذلك العهد ولو في المنام  
ما كانَ إلا بارقاً خاطفاً      ما زلتُ مُذْ فارقني في ظلامٍ

فالشاعر في الأبيات يتمنى العودة إلى هذا النهر والاستمتاع بجماله والتنزه في ضفافه والجلوس والاهو على أطرافه، فهو مذ فارق النهر وجماله نفسه في ظلام من شدة حبه وشوقه إلى نهر "شنيل".

ونهر "سوس" الذي عليه مدينة إستجة، يسير من جبال شقورة إلى جهات جيّان، ويمر على مدينة بيّاسة، ومدينة آبرة، ثم يمر على مدينة قرطبة، حتى إذا قرب من إشبيلية يتعطف ويجري من الشمال إلى الجنوب، وتكون إشبيلية على شرقية، وطريانة على غربية، ثم ينبع فيجري من الشرق إلى الغرب، ثم يجاوز حتى يصل في البحر المحيط الغربي عند مكان يعرف ببئر المسائدة حيث الطول ثمان درج وربع، والعرض ست وثلاثون وثلاثين ويبلغ المد فيه "سبعين" ميلاً فوق إشبيلية عندما كان يعرف بالأرجى<sup>(2)</sup>.

يقول ابن سعيد أيضاً في نهر "شنيل"<sup>(3)</sup>:

انظرْ لشنيل يقابلُ وجههُ      وجاهُ الهلال كقارئ أشطارة  
لما رأه معصماً قد زانهُ      وشى الصبا ألقى عليه سواره

فشبه الشاعر نهر شنيل في سيره بالهلال، وهو في سيره يشبه السوار، الذي تتجمل فيه الفتاة، ليزيد من جمالها، فقد أضفى الصبا هذا الجمال على النهر تقديرًا لجماله، فالنهر عند الشاعر في سيره مثل السوار.

والثاني (نهر مرسية) وهو قسم نهر إشبيلية يخرجان من جبال شقورة، فيمر نهر إشبيلية مغرباً على ما تقدم ويصب في البحر المحيط، ويمر نهر مرسية مشرقاً حتى يصل في بحر الروم عند مرسية<sup>(4)</sup>. ويمر نهر مورسيه في العديد من الحصون والمدن حتى يصل إلى مصبه، فيمر في عين الجنوب إلى حصن أفرد، ثم إلى حصن مولتهم إلى

(1) العمري ، مسالك الأبصار ، ج 4 ، ص 227.

(2) الفلكشندى، صبح الأعشى، ج 5، ص 235.

(3) ابن سعيد، المغرب، ج 2، ص 103.

(4) الفلكشندى، صبح الأعشى، ج 5، ص 235.

مرسية ثم إلى أريولتهم إلى المدور ثم إلى البحر<sup>(1)</sup>. وقد جال في المغرب: "إن مرسية أخت إشبيلية هذه شرق الأندلس، وهذه غربها، وقد قسم الله بينهما النهر الأعظم، فأعطى هذه الزرع الشرقي، وأعطى هذه الزرع الغربي، ولمرسية مزية تيسير السقيا منه، ولنست كذلك بإشبيلية؛ لأن نهر مرسية يركب أرضها، وإشبيلية ترکب نهرها<sup>(2)</sup>".

فقد أضفى الأندلسيون على النهر صوراً عديدة وجميلة، فهو مثل لمى الحسناء، وفي سيره مثل السوار على معصم الحسناء، يشق الحدائق والبساتين والرياض فيظهر مثل الحياة في تعرجه، وهناك العديد من الصور التي رسمها الشعراء للنهر وما هذه الصورة إلا دليلاً واضحاً على مدى إعجابهم ولعلهم بالطبيعة الأندلسية الخلابة التي تتميز بها أرضهم، لذلك نبغ الشعراء في وصف أنهار الأندلس فأضفوا عليها حسناً وجمالاً فوق حسنها وجمالها.

يرسم لنا ابن خفاجة صورة غزلية في حديثه عن النهر الذي سال في أرض بطحاء: حيث يقول:

أَشْهَى وَرُوْدًا مِنْ لَمَى الْحَسْنَاءِ  
 وَالْزَّهْرُ يَكْنُفُهُ مَجْرُ سَمَاءِ  
 مِنْ فَضَّةٍ فِي بُرْدَةٍ حَضْرَاءِ  
 هُدْبُ تَحْفَ بِمُقْلَةٍ زَرْقَاءِ  
 صَفْرَاءَ تَخْضِبُ أَيْدِي النَّدَمَاءِ  
 ذَهَبُ الْأَصِيلُ عَلَى لُجَينِ الْمَاءِ<sup>(3)</sup>

لَهْ نَهْرُ سَالَ فِي بَطْحَاءِ  
مُتَعَطِّفٌ مُثْلَ السَّوَارِ كَانَةُ  
قَدْ رَقَ حَتَّى ظَنَ قُرْصَاً مُفْرَغَاً  
وَغَدَتْ تَحْفَ بِهِ الْغُصُونُ كَانَهَا  
وَلَطَالِما عَاطِيَّتْ فِيهِ مُدَامَةً  
وَالرِّيَحُ تَعْبَثُ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى

يرسم لنا ابن خفاجة صورة غزلية جميلة لصفة النهر، فيطرق عليه الصفات الجسدية، ويعامله معاملة الفتاة الحسناً الجميلة، التي تجلب انتباه كل من رآها، فالنهر في سيره في الأرض هو أجمل من لمي الحسناء، وهو في سيره وترعرجه بين الرياض

(1) الادريسي،المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذه من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الاتفاق،ص 199.

(2) ابن سعيد، المغرب، ج2، ص245.

(3) النويري ، نهاية الأرب ، ج 1 ، ص 283 ، ابن خفاجة، الديوان، تحقيق، السيد مصطفى غازي، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، ص 356.

و الحدائق مثل السوار حول معصم الحسناء، فالشاعر يضفي على النهر صفات جميلة، مستوحاة من لوحات غزالية غاية في الدقة والإبداع، ومن ثم ينتقل إلى صورة أخرى قد رسمها للنهر فهو في رقته مثل القوس المفرغ، ولونه يميل إلى لون الفضة الذي يغطى ببردة خضراء، وهي صورة أيضاً في غاية الروعة يقدمها لنا ابن خفاجة، ليطرينا ويمتع أنظارنا بها، فإن هذا الجمال الذي فيه الشاعر يدفعه إلى اللهو والشرب ويكمel ابن خفاجة روعة تصويره بصورة أخرى، وهي صورة الأشجار المحيطة بالنهر، فعندما تهب الريح تحرك أغصان الأشجار فتتغلغل أشعة الشمس من بينها لتسقط على مياه النهر فتظهر كأنها لآلئ في غاية الروعة والجمال.

ثم يمتعنا ابن صارة الشنتريني بهذين البيتين اللذين رسم من خلالهما للنهر صورة متحركة زاهية طريفة، واختار وقت الأصيل حيث تترقرق الأمواج وتتكسر على صفحة الماء؛ يقول<sup>(1)</sup> :

النَّهَرُ قَدْ رَقَّتْ غَلَالُهُ خَصْرَهُ  
وَعَلَيْهِ مِنْ صَبَغِ الْأَصِيلِ طَرَازُ  
تَرَقَّرَقُ الْأَمْوَاجُ فِيهِ كَانَّهَا  
عُكْنُ الْخُصُورِ تَهُزُّهَا الْأَعْجَازُ

فشبه الشاعر أمواج النهر في البيت الأخير في رقته وجماله برقة وجمال خصور النساء، لأن الخصر الرقيق من صفات الجمال عند النساء، لذا اختار ابن صاره هذه الصورة الجميلة ليضيفها على أمواج النهر التي تعطي النهر صفة الجمال.

يقوم أكثر أهل الأندلس بنزهات نهرية مع الغروب أو في الصباح الباكر، فيبهرون جمال الطبيعة، وتسحرهم روتها فيعبرون عن إعجابهم بنفحات شعرية في غاية الروعة والجمال، ركب عبد الجليل بن وهبون وأبو الحسن غلام البكري من إشبيلية في ليلة أظلم من قلب الكافر ، وأشد من طرف الظبي النافر ، ومعهما غلام وظيء وقد أطلع وجهه البدر ليلة تمامه ، على غصن بان من قوامه ، وبين أيديهم شمعتان قد أزرتا بنجوم السماء، ومزقتا رداء الظلماء ، وموهتنا بذهب نورهما لجين الماء ، ؟ فقال<sup>(2)</sup> :

(1) النويري ، نهاية الأرب ، ج 1 ، ص 283، انظر، ابن خافان، أبو الفتح بن محمد بن عبدالله القيسى الإشبيلي، الشهير بابن خافان(529هـ)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، حققه وعلق عليه، حسين يوسف خريوش، جامعة اليرموك، مكتبة المنار، الطبعة الاولى(1409هـ-1989م)، ج(1-2)، ص 819.

(2) العمري ، مسالك الأنصار ، ج 1 ، ص 109 .

خدا غلام محسن الفيد  
طريق نار الهوى إلى كبدي  
كأنما الشمعتان إذ سمتا  
وفي حشا النهر من شعاعهما  
وقال غلام البكري<sup>(1)</sup> :

تجنى بها اللذات فوق الماء  
يختال مثل البانة الغيناء  
كالبدر بين النسر والجوزاء  
كالبرق يخفق في غمام سماء<sup>(2)</sup>  
أحبب بمنظر ليلة ليلاء  
في زورق يزهى بغرة أغيد  
فرنت يداه الشمعتين بوجهه  
والتاج فوق الماء ضوء منها

وكثيراً ما يخرج الأندلسيون في رحلات ون扎هات بحرية في قواربهم في البحار والأنهار التي كانت تكثر في بلادهم، وكانت هذه الأنهر لشدة ما هي عليه من جمال، تلهم الشعراء من القول، فتخرج الكلمات العذبة المعبرة عن جمال تلك الطبيعة.

قال محمد بن الحسين<sup>(3)</sup> في صفة النهر :

والنهرُ مكسوٌ غلالةً فضةٌ      فإذا جرَى سيلًا فثوبُ نصارٍ  
وإذا استقام، رأيتَ صفةً مُنصلٍ      وإذا استدارَ رأيتَ عطفَ سوار<sup>(4)</sup>  
ويبين لنا الشاعر في البيتين صفات النهر التي رسمها بصورة فنية جميلة، فالنهر مكسو بغلاة تميل إلى لون الفضة، وهو في جريانه مثل الثوب النظير جميل، إذا استقام فهو في رونق متصل جميل، وهو في استدارته مثل السوار حول المعصم.

(1) هو حكم بن محمد، وكتبه أبو الحسن، من الموالى، وهو غلام أبي عبيد البكري، من شعراء الدولة العابدية، كان من نداماء عبد الجليل بن وهبون، انظر ابن سعيد، المغرب، ج 1، ص 348.

(2) العمري ، مسالك الأنصار ، ج 1، ص 109.

(3) أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسن بن أبي الحسين القرطبي، انظر المقربي، نفح الطيب، ج 2، ص 57.

(4) التویری ، نهاية الأرب ، ج 1 ، ص 283 ، الكتاني، أبو عبد الله محمد بن الكتان الطبيب، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة (1981م-1401هـ)، دار الشرف القاهرة، ص 67.

أما ابن العطار<sup>(1)</sup>، فيتحدث عن مروره بشاطئ نهر جميل تحفة الحدائق الخضراء من كل جانب وهذه الحدائق بما تحويه من أزهار جميلة ذات ألوان متنوعة، تسيطر على نظر المارين بهذا النهر، وتعطيه زينة خضراء، وهبّ على النهر النسيم العليل الذي يعطي هذا الجوّ مسحة من الروعة والجمال التي تريح النفس وتزيل الهموم؛ يقول<sup>(2)</sup>:

مَرَّنَا بِشَاطِي النَّهَرِ بَيْنَ حَادِقٍ  
وَقُدْ نَسْجَتْ كَفُ النَّسِيمِ فَضُاضَةً  
بِهَا حَدَقُ الْأَزْهَارِ تَسْتَوْقَفُ الْحَدَقُ  
عَلَيْهِ، وَمَا غَيْرُ الْحَبَابِ لَهَا حَلَقُ

(1) هو ابراهيم بن محمد بن عبد الله : من أهل قرطبة<sup>يكنى</sup>: أبا الفرج، ويعرف بابن العطار، وهو والد الفقيه أبي عبدالله، انظر ابن الأبار ، التكملة ، ج 1، ص 134.

(2) التويني ، نهاية الأرب ، ج 1 ، ص 284، ابن خاقان، قلائد العقيان، ص882.

### الفصل الثالث

## شخصيات أندلسية في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي

### 1-3 عبد الرحمن الداخل :

إن تاريخ الأمة العربية في عهد الإسلام حافل بالسير العظيمة التي لا تزال مغبونة مجهلة المقدار في موازين التاريخ الحديث، ولم تصب ما أصابه أبطال اليونان والرومان الأقدام من درس واستقصاء، ولم تصب ما أصابه أبطال العصر الحاضر من تتويه وذيوع بين عامة القراء<sup>(1)</sup>.

ومن هؤلاء القادة الأبطال "صقر قريش"، هذا الشاب الأموي الذي فرّ خوفاً من سيف العباسين بعد أن سقطت دولة الأمويين في الشرق، فاستطاع بما كان يتصف به من صفات عقلية وجسمية مع شكيمة الشخصية أن يصل إلى الأندلس، ويسّرّه دولة أموية قوية على غرار دولة الأمويين في الشرق، وقد وردت قصة هروب عبد الرحمن بن معاوية وما تعرض له من أهوال وأخطار حتى وصل إلى الأندلس، في غالب المصادر التاريخية، وكيف استطاع هذا الشاب الأموي من استغلال الوضع السياسي المتردي في الأندلس، والدعوة إلى الأمويين، حتى التقت حوله العديد من القبائل التي ساندته وساعدته حتى يسترد ملك الأمويين، ولكن هذه المرة كان في الأندلس ولم يكن في الشرق.

ونتيجة هذه الصفات التي توفرت في عبد الرحمن بن معاوية، استطاع أن يجلب إليه انتباه القادة العظام ومنهم على سبيل المثال العدو اللدود له، حامل راية العباسين "أبو جعفر المنصور"، الذي أطلق عليه لقب "صقر قريش"، وستتعرض هذه الدراسة للحديث عن حياة عبد الرحمن بن معاوية وشعره. كما وردت عند أصحاب الموسوعات المشرقية.

---

(1) أدهم علي ، صقر قريش عبد الرحمن الداخل قصة حياته السيرية العامرة ودراسة تحليلية لمؤسس الدولة الأموية في الفردوس المفقود، تقديم عباس محمود العقاد، دار الهلال، ص.8.

### ١-١-٣ اسمه ولقبه:

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم<sup>(١)</sup>. أول ملوك الأندلس من بني مروان<sup>(٢)</sup>، وكان مولده (بدير حنا) من دمشق، وقيل بالعلیاء من ناحية تدمر في سنة(١١٣هـ) ومدة ولادته بالأندلس ثلاثةً وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوماً<sup>(٣)</sup>، وأمه بربرية من سبي المغرب اسمها (راح أو رداح)<sup>(٤)</sup>.

وكان عبد الرحمن بن معاوية يلقب بالأمير، وعليه جرى بنوه من بعده فلم يُدع أحد منهم بأمير المؤمنين، إذ بايع بالخلافة بمقر الإسلام ومبداً العرب، حتى كان عبد الرحمن الناصر وهو الثامن فتسمى بأمير المؤمنين<sup>(٥)</sup>.

تمتع عبد الرحمن الداخل بالعديد من الصفات فقد كان، أصهب، خفيف العارضين، طويل القامة، نحيف الجسم<sup>(٦)</sup> بوجهه خال، أعور، أخشم، له ضفيرتان<sup>(٧)</sup>، وكان فصيحاً شاعراً، حليماً، عالماً، حازماً، سريع النهضة في طلب الخارجين عليه<sup>(٨)</sup>، وكان يشبه بأبي جعفر المنصور في حزمه وشدة وضبطه لملكه، وقد بنى الرصافة بقرطبة تشبهاً بجده هشام حيث بنى الرصافة بالشام ، وقد كان عبد الرحمن من ذوي الآداب<sup>(٩)</sup>.

وهذه الصفات المميزة التي توفرت في شخصية عبد الرحمن أعطته القدرة على تأسيس دولة أموية قوية في الأندلس، فلما تتوفر لغيره من القادة.

(١) العمري ، مسالك الأ بصار ، ج 24 ، ص 451، بدر أحمد ، صقر قريش عبد الرحمن الداخل ، الطبعة الأولى (١988م) ، طлас للدراسات والترجمة والنشر ، ص 13.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى في عام(٩١١هـ) من الهجرة، الوسائل إلى مسامرة الأوائل، حققه اسعد طاس، مطبعة النجاح، بغداد(١٣٦٩هـ-١٩٥٠م)، ص ١٠٢-١٠٣.

(٣) النويري، نهاية الأربع، ج 23، ص 350.

(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة لأولى في عام ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م، ص ٢٦٠.

(٥) ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الرحمن ابن خلدون المغزي، المجلد السابع، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت، طبعة مزيدة ومنقحة (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ص ٦٥.

(٦) النويري، نهاية الأربع، ج 23، ص 350.

(٧) العمري ، مسالك الأ بصار ، ج 24 ، ص 457.

(٨) المصدر نفسه، ص 350.

(٩) المصدر نفسه، ص 351.

وكانت وفاته بقرطبة في غرة جمادى الأولى سنة (172هـ)، وكان قد عهد إلى ابنه هشام بمدينه ماردة واليأ عليها، وابنه سليمان بطليطلة واليأ عليها، فلم يحضرها موت أبيهما<sup>(1)</sup>. ودفن في القصر ، وصلى عليه ابنه عبد الله بن عبد الرحمن ، المولود ببلنسية<sup>(2)</sup>.

وكان نقش خاتمه "بالله يثق عبد الرحمن ويعتصم" ، وكان له من الأولاد الذكور أحد عشر ولداً وهم (أبيوب الشامي ولد بالشام، وسليمان وهشام ولي عهده، وهو الوالي بعده ولد بالأندلس، وعبد الله ولد ببلنسية وعرف ببلنسى ومسلمة المعروف بكليب، وأمية، ويحيى، والمنذر، وسعيد الخير، ومحمد، والمغيرة، ومعاوية، وله من البنات تسع"<sup>(3)</sup>.

### 3-1-2 معركة المصارة:

دارت هذه المعركة الفاصلة على ارض الأندلس بين عبد الرحمن الداخل من جهة يوسف بن عبد الرحمن الفهري والصميل بن حاتم الكلابي من جهة أخرى، في يوم الجمعة يوم العيد تبين يوسف أنه انخدع ووجد جيش عبد الرحمن يصطف استعداداً للقتال<sup>(4)</sup>. وظهر عبد الرحمن في هذه المعركة على فرس أشهب جميل، تحف به مواليه، وكوكبة من فرسانه، فلما رأت اليمن ذلك، قال بعضهم لبعض غلام حدث بما يؤتنا أن يطير على هذا الفرس فنهلك<sup>(5)</sup> ، فبلغه ذلك حين لفظوا به، فنادى أبا الصباح، فأقبل إليه، فقال: ليس في عسكرنا بغل أوفق من بغلك، فإن هذا الفرس يعلق تحتي، فلا أقدر على ما أريد من الرمي من قوسي، فخذ فرسي، وهات بغلك<sup>(6)</sup> ، وهذه الحادثة تدل على مدى فطنة وحكمة عبد الرحمن حتى يطمئن الجنود إلى عدم هروبه.

(1) النويري، نهاية الأربع، ج 23، ص 35.

(2) العمري ، مسالك الأنصار ، ج 24 ، ص 457

(3) النويري ، نهاية الأربع ، ج 24 ، ص 35.

(4) حسن مراد ، تاريخ العرب في الأندلس ، ط 1 (1348هـ - 1930م) ، المطبعة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة، ص 44.

(5) العمري ، مسالك الأنصار ، ج 24 ، ص 453 .

(6) المصدر نفسه ، ص 453 .

ولما كان يوم المصاراة واستحر القتل ، مشى العلاء بن جابر العقيلي إلى الصميل بن حاتم ، وكلاهما من عسكر يوسف بن عبد الرحمن ، فقال له يا أبا جوشن ، اتق الله ، فوالله ما أشبه هذا اليوم إلى يوم المرج<sup>(1)</sup> ، وانتهت المعركة ، فانهزم يوسف ، ودخل عبد الرحمن قصر قرطبة يوم الجمعة، يوم الأضحى من العام نفسه (138هـ) ، ثم حاربه يوسف ثانية ، ودخل قرطبة ، واستولى عليها ، وكر عبد الرحمن عليه ، فهرب يوسف والتجأ إلى غرناطة ، فامتنع بالبيضاء ، فنازله عبد الرحمن وضيق عليه ، ورأى يوسف اجتماع الأمر للداخل ، فنزل بالأمان محضر من قاضي الأندلس يحيى بن يزيد التجيبي ، وبقي على القضاة حتى وفاته سنة (142هـ) ، ثم استعمل على القضاء معاوية بن صالح . وفي هذه الواقعة يقول ابن النسبي<sup>(2)</sup> :

لَمَّا تَضَرَّمَتِ الْبَلَادُ وَقُوْدَا حَتَّى رُوَيْنَ فَمَا يَرَوْنَ مُزِيدًا فَوْقَ السَّنَابِكِ إِذْ حَنِينَ قَيُودًا مِثْلُ الْكَوَاكِبِ يَتَقدَّنَ وَقُوْدَا تَحْتَ الْمَغَافِرِ فَانْكَفَّانَ سُجُودًا	أَهَدَكَ رَبُّكَ رَحْمَةً لِعَبْدِ الدِّينِ فَسَلَقْتَ أَطْرَافَ الْأَسْنَةِ فِي الْعَدِيِّ وَالْخَيْلُ تَعْثُرُ بِالْفَقَنَاءِ وَكَأْنَمَا وَالْمَشْرِفِيَّةُ لَنْ تَبِدِّ صَفَالَهَـا حَتَّى أَطْرَنَ جَمَاجِمًا مَكْنُونَةً
---	--

يشير الشاعر في الأبيات أن الله عز وجل أتي بعد عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس رحمة بالعباد حينما نقسمت البلاد وأضرمت فيها النار ، ثم يشير إلى معركة المصاراة التي أروى فيها عبد الرحمن وجيشه أسنة رماحهم من دماء أعدائهم ، ثم يقدم وصفاً كاملاً لهذه المعركة من حيث كثرة القتلى في صفوف الأعداء ، حيث شبه المشرفة من شدة لمعانها بين غبار المعركة بالكواكب المضيئة في السماء في الليلة الظلماء.

### 3-1-3 أدب عبد الرحمن الداخل:

لا بد ونحن في صدد الحديث عن هذا الأمير الأموي البطل الذي استطاع بقوه شخصيته ، وشكيته ، وحكمته ، وحزمه ، أن يؤسس دولة قوية متراجمية لأطراف في بلداً أعمى ، جاء إليه هارباً من سطوة العباسيين ، وأقام مملكة مقرها قرطبة ، حتى تحولت إلى

(1) العمري ، مسالك الأنصار ، ج 24 ، ص 454.

(2) المصدر نفسه ، ص 454.

عاصمة للثقافة والأداب، في عصره، كيف لا وأميرها يعتبر من الشعراء والمحبين للأدب والثقافة<sup>(1)</sup> والأداب، وله شعر حسن<sup>(2)</sup>.

وسوف أورد بعضاً من نثر عبد الرحمن وشعره الداخل فمن نثره، ما وجهه إلى رجل طلب مقابلته لكي يطلب منه مالاً فقال له: "قد سمعنا مقالتك، وقضينا حاجتك، وأمرنا بعونك على دهرك، على كرهنا لسوء مقالتك، فلا تعودنَّ ولا سواك لمثله من إرادة ماء وجهك، بتصرير المسألة، والإلحاف في الطلبة، وإذا ألم بك خطب أو ضربك أمر، فارفعه إلينا في رقعة لا تدعوك، كيما نستر عليك خاتك، ونكف شمات العدو عنك، بعد رفعك لها إلى مالكاك وماكنا عزْ وجهه بإخلاف الدعاء وصدق النية"<sup>(3)</sup>.

وهذا الكتاب الذي بعثه لرجل يدل على مدى بلاغة وفصاحة الأمير عبد الرحمن الداخل من حيث اختيار الألفاظ المناسبة، واستخدام البديع، فجاء الكتاب على أرفع مستوى من البلاغة والفصاحة.

ومن شعر الأمير عبد الرحمن ما قاله بالأندلس، يتшوق إلى دياره بالشام بعدما رأى راكباً يتهيأ للسفر إلى الشام، وهو لا يستطيع العودة إلى دياره التي خرج منها دون رغبة منه، بل خرج هارباً من ظلم العباسيين، فيبلغ أشواقه وأحزانه في أبيات شعرية، تدل على مدى صدق العاطفة عند الأمير، وتعبر عن مدى شوقه وحنينه إلى دياره في الشام، موطنه الأصلي، ومقام دولة الأمويين الأولى في الشرق، فيحمل الأمير هذا الراكب سلامه إلى دياره، ويخبره بأن فؤاده بالشام، ولو كان جسمه بالأندلس، ويتمنى الأمير لو يستطيع العودة إلى الشام موطنه؛ يقول<sup>(4)</sup> :

أَقْرِمْتُ بَعْضِي السَّلَام لِبَعْضِي	أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُيمَمُ أَرْضِي
وَفُؤَادِي كَمَا عَلِمْتَ بِأَرْضِ	إِنَّ جَسِي كَمَا عَلِمْتَ بِأَرْضِ
وَطَوِي الْبَيْنُ عَنْ جُونِي غُمْضِي	قُدْرِ الْبَيْنِ بَيْنَنَا فَاقْتَرَفْنَا
فَعَسَى بِاجْتِمَاعِنَا سُوفَ يُقْضَى	قَدْ قَضَى اللَّهُ بِالْفَرَاقِ عَلَيْنَا

(1) الشعراوي، احمد إبراهيم الشعراوي، الأمويون أمراء الأندلس الأول ، المطبعة العالمية ، ص125.

(2) التويري، نهاية الأربع، ج23، ص351.

(3) المصدر نفسه ، ص100-101.

(4) المصدر نفسه ، ص351.

ورأى عبد الرحمن الداخل في رصافة قرطبة بعد أن أنشأها نخلة منفردة فهاجت شجنه، وتذكر وطنه، فجعل من هذه النخلة إنسان آخر تغرب عن وطنه فأصبح غريب في بلاد غريبة عليها، ويقارن أو يربط بينه وبين هذا الإنسان الغريب فهو غريب في بلاد غريبة غير بلاده الأصلية فهو مثل هذه النخلة يشعر بالوحدة والغربة، ويشكو ألم البعد عن دياره فقال أبيات شعرية تدل على مدى الشعور بألم الغربة عندما شاهد هذه النخلة الوحيدة وسط الرصافة، كما وتم عن قوة موهبته الشعرية، فقال<sup>(1)</sup>:

تَبَدَّلْتُ لَنَا بَيْنَ الرَّصَافَةِ نَخْلَةً فَقَلَّتْ شَبِيهِي فِي التَّغْرِيبِ وَالنَّوْيِ نَشَأْتُ بِأَرْضِ أَنْتَ فِيهَا غَرِيبَةً سَقَتَكِ غَوَادِي الْمُزْنَ مِنْ صُوبَهَا الَّذِي وَلَمَا اسْتَقَمْتَ لِهِ الدُّولَةَ بَلَغَهُ عَنْ بَعْضِهِ أَعْانَهُ أَنَّهُ قَالَ: لَوْلَا أَنَا مَا تَوَصَّلْتَ لِهِ ذَلِكَ، لَمَا كَانَ مِنْهُ أَبْعَدَ مِنَ الْعَيْوِفِ، وَأَنَّهُ قَالَ: سَعْدَهُ أَعْانَهُ لَا عَقْلَهُ وَتَدْبِيرَهُ، فَحَرَكَهُ وَلَمَّا فَرَّدَ عَلَى هُؤُلَاءِ بِأَبِيَاتٍ شَعْرِيَّةٍ يَوْضُعُ فِيهَا أَنَّهُ لَا يَوْجِدُ فَضْلًا لِأَيِّ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا وَصَلَتْ إِلَى مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ عَنْ طَرِيقِ الْحَزْمِ، وَالسَّيفِ، وَالرَّمْحِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى قُوَّةِ الشَّكِيمَةِ، وَرِجَاحَةِ الْعَقْلِ، وَالْحِكْمَةِ فَقَالَ:	تَنَاعَتْ بِأَرْضِ الْغَرْبِ عَنْ بَلَدِ النَّخْلَةِ وَطُولَ اكْتَابِي عَنْ بَنِيَّ وَعَنْ أَهْلِي فَمَثَلَكِ فِي الإِقْصَاءِ وَالْمَنْتَأِيِّ مَثَلِي يَسِحُّ وَيَسْتَمْرِي السَّمَاكِينُ بِالْوَبْلِ
--	---

لَوْلَا يَأْلِيَ مَا مَلَكَ الْأَنَامَ الدَّاخِلُ وَمَقَادِيرُ بَلَغَتْ وَحَالُ حَائِلُ نَجْمٌ يَطَّالِعُنَا وَنَجْمٌ آفَلُ أَيْرُومٌ تَدْبِيرَ الْبَرِيَّةِ غَافِلُ خَيْرُ السَّعَادَةِ مَا حَمَاهَا الْعَاقِلُ بِالْغَرْبِ رَغْمًا وَالسَّعُودُ قَبَائِلُ فَالْمَلْكُ فِيكُ ثَابَتْ مَتَوَاصِلُ <sup>(2)</sup>	لَا يُلْفِي مَمْتَنُ عَلَيْنَا قَائِلُ سَعْدِي وَحَزْمِي وَالْمُهَنْدُ وَالْقَنَا إِنَّ الْمُلُوكَ مَعَ الزَّمَانِ كَوَاكِبُ وَالْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ أَنْ لَا يَغْفِلُوا وَيَقُولُ قَوْمٌ سَعْدَهُ لَا عَقْلَهُ أَبْنَى أَمْيَةٌ قَدْ جَبَرْنَا صَدَعَكُمْ مَا دَامَ مِنْ نَسْلِي إِمَامٌ قَائِمٌ
--	---

(1) النويري، نهاية الأرب، ج 23 ، ص 351، العمري، مسالك الأبصار، ج 24، ص 456.

(2) المقربي، نفح الطيب، ج 3، ص 42-43.

ومن شعره أيضاً ما تحدث فيه عن الاستغناء عن حياة الراحة والسعادة واستبدالها بحياة الجد والتعب من أجل الوصول إلى المبتغى، يقول<sup>(1)</sup>:

غَنِيتُ عَنْ رَوْضٍ وَقَصْرٍ شَاهِقٍ      بِالْفَقْرِ وَالْإِيْطَانِ وَالسَّرَادِقِ  
فَقَلْ لِمَنْ نَامَ عَلَى النَّمَارِقِ      إِنَّ الْعُلَا شُدْتُ بِهِمْ طَارِقِ

وكان كل ما نقل عن عبد الرحمن من شعر قد قيل في الأندلس، ومن هنا جاء شعره جميماً مرتبطةً بالأندلس متأثراً بها، وتسم شعره بصدق التجارب وبغنية التعبير، وطريقة تناوله للموضوعات التي يعتمد فيها على الوجдан في الموضوع الذي أساسه الوجدان، وعلى الإقناع في الموضوع الذي أساسه لفکر، ويغلب على شعره سمة التركيز العاطفي حينما يتذكر موطنه الأصلي في الشام وحنينه وشوقه لدياره، ويلاحظ على شعره أيضاً أن لغته تمثل إلى السلاسة والرقابة، وتجانب التعقيد والغموض والغرائب<sup>(2)</sup>.

### 3-2 عبد الرحمن بن الحكم:

هو أبو المطراف وقيل أبو المظفر عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل<sup>(3)</sup>، ولد بطليطلة سنة (176هـ-792م)<sup>(4)</sup>، وهو عبد الرحمن الأوسط والرابع من خلفاء بنى أمية بالأندلس<sup>(5)</sup>، ولد لسبعة أشهر عندما كان أبوه الحكم يتولاها - طليطلة - لأبيه هشام<sup>(6)</sup>، وأسم أمه (حلوة)<sup>(7)</sup>، بويى له بعد وفاة أبيه في يوم الخميس لأربع بقين من ذي الحجة سنة (206هـ) وذلك في خلافة المؤمن بن الرشيد العباسي<sup>(8)</sup>. توفي سنة (سبعين

(1) الكتبى، محمد بن شاكر المتوفى 764 ، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت 1974، ص 303.

(2) هيكل أحمد ، الأدب العربي في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة، طبع بمطباع دار المعارف، ص 96-97.

(3) النويري، نهاية الأربع، ج 24، ص 375.

(4) العمري ، مسالك الأنصار ج 24، ص 466 .

(5) المصدر نفسه ، ص 465 ، ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ج 1، ص 113.

(6) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أبيك ، الواфи بالوفيات ، عبد الأحد - عبد العزيز ، باعتناء أيمن فؤاد سير، يطلب من دار النشر فرانز شتاينز فيسبادن بشتو تغارت ، (1408هـ - 1988م)، ج 18 ، ص 141 .

(7) المصدر نفسه ، ص 140 .

(8) النويري، نهاية الأربع، ج 23، ص 375.

وثلاثين ومائتين) وهو ابن (اثنتين وستين سنة)<sup>(1)</sup>. وعن عبد الرحمن الأوسط بالمنشأة العامة أعظم عنایة، فزاد في مسجد قرطبة الجامع بهوين جديدين من جانب القبلة، وأقام على عمارته الفتى نصر<sup>(2)</sup> وفي هذا يقول عبد الله بن الشمر فيه:

بَنَى مَسْجِدًا لَّهُ لَمْ يَكُنْ مَثَلُهُ  
سَوَى مَا ابْنَتِي الرَّحْمَنُ وَالْمَسْجَدُ الَّذِي  
لَهُ عَمَدُ حُمْرٌ وَخُضْرٌ كَانَمَا  
إِلَّا يَا أَمِينَ اللَّهِ، لَا زَلْتَ سَالِمًا  
فِيَا لَيْتَنَا نَفِيَاكَ مِنْ كُلِّ حَادِثٍ  
وَوَضَعْ نَظَامًا جَدِيدًا لِلسَّكَةِ وَجَعَلَهَا أَنْدَلُسِيَّةً مُسْتَقْلَةً، وَأَقَامَ فِيهَا ضَرَبُ الدِّرَاهِمِ ،  
وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا دَارٌ ضَرَبَ مِنْذُ فَتْحِهَا الْعَرَبُ ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَتَعَامِلُونَ بِمَا يَحْمِلُ إِلَيْهِمْ مِنْ  
دِرَاهِمِ أَهْلِ الْمَشْرُقِ<sup>(3)</sup>.

### 1-2-3 الحروب والغزوات

بدأ عبد الرحمن الأوسط برنامجه في الغزو والجهاد مبكراً<sup>(5)</sup>، وفي سنة (208هـ) جهز جيشاً إلى بلاد المشركين واستعمل عليهم عبد الكريم بن عبد الواحد ابن مغيث<sup>(6)</sup>، فسار الجيش إلى بلاد ألبة والقلاع فنهبوا وخربوا وأحرقوا وفتحوا حصوناً<sup>(7)</sup>.

وفي سنة (210هـ) سير عبد الرحمن سرية كبيرة إلى بلاد الفرنج واستعمل عليهم عبد الله بن عبد الله البلنسي<sup>(8)</sup> فدخل بلادهم وتردد فيها بالغارات والسببي والقتل والأسر،

(1) الصافي ، الواقي بالوفيات ، ج 18 ، ص 140 .

(2) المصدر نفسه ، ص 467 .

(3) المصدر نفسه ، ص 467 .

(4) العمري ، مسالك الأنصار ، ج 24، ص 467 .

(5) عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأنجلوس ، من الفتح إلى نهاية مملكة غرناطة ، العصر الأول ، ص 249.

(6) التويري ، نهاية الأربع ، ج 23، ص 376 .

(7) المصدر نفسه ، ص 376 .

(8) المصدر نفسه ، ص 377 .

فكان فتحاً عظيماً<sup>(1)</sup>.

وتكررت الحملات العسكرية على بلاد العدو، في الأعوام التي حكم فيها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، حتى كان يخرج بنفسه في بعض هذه الحملات، عندما خرج في سنة (225هـ) في جيش كثيف فدخل بلاد جليقية وافتتح عدة حصون منها وغنم وسيى وقتل، ثم عاد إلى قرطبة<sup>(2)</sup>.

وبعد تلك الغزوات وجه عبد الرحمن نظره إلى الفرنجة، وبدأ إعداد حملة سيرها بقيادة عبد الكريم الحاجب إلى برشلونة حيث التغر القوطى، الذي أقامه الفرنج مع حدود الدولة الإسلامية<sup>(3)</sup>، فأقام الجيش شهرين يحرقون<sup>(4)</sup> وينهبون، ثم أرسل عبد الرحمن إلى تلك النواحي حملة بقيادة موسى بن موسى، فلما كانوا بين أوشنة وشرطانية، تجمعت الروم عليهم وأحاطوا بهم وقاتلوهم الليل كله، فلما أصبحوا أنزل الله نصره على المسلمين وهزم عدوهم<sup>(5)</sup>، وقد حقق موسى انتصارات في كل المعارك التي صادقته مع الفرنجة<sup>(6)</sup> وجرت بينه وبين جرير بن موفق<sup>(7)</sup>، وهو من أكابر الدولة أيضاً فخرج موسى عن طاعته<sup>(8)</sup>.

وفي بعض غزواته التي أثخن فيها أهل الخلاف ، وأمعن في زيادة الاختلاف ؛ حتى خشعت أعناق الأعداء لسيوف الأمير التي حصدتها ، وبقي القتل فيهم حتى دانوا له، وهو وارد فيهم حياض الحتف؛ قال مؤمن بن سعيد<sup>(9)</sup> :

أَسْنَى بْنِي غَالِبٍ وَأَمْجَدُهَا	دَعَ اللَّهَى يَفْنِهَا مُحَمَّدُهَا
أَعْنَاقُهَا فَالسَّيْفُ تَحْصُدُهَا	أَشْيَاعُ لَبَ سَنَابِلَ خَشَعَتْ

(1) النويري، نهاية الأرب، ج 23، ص 377.

(2) المصدر نفسه ، ص 381.

(3) الشعراوى، الأمويون أمراء الأندلس الأول، ص 316-317.

(4) النويري، نهاية الأرب، ج 23، ص 377.

(5) المصدر نفسه، ص 377.

(6) المصدر نفسه، ص 381.

(7) الشعراوى، الأمويون أمراء الأندلس الأول، ص 317.

(8) النويري، نهاية الأرب، ج 23، ص 381.

(9) العمري ، مسالك الأنصار ، ج 24 ، ص 471

دَانُوا لَهُ وَهُوَ وَارْدٌ بِهِمْ

حِيَاضَ حَتْفٍ يَعْفُ مُورُدُهَا

## 2-2-3 أدب عبد الرحمن الأوسط

رغم اهتمام عبد الرحمن الأوسط بأمور دولته والقضاء على الفتن الداخلية التي نشببت بالبلاد، لم يغفل النواحي الأخرى، خصوصاً أنه كان شغوفاً بالعلم والأدب والفن، والفالك والتجيم<sup>(1)</sup>. وكان أديباً حسن التثقيف مجيداً للنظم، نصيراً للعلوم والأداب، يحشد حوله جمهرة من أكابر العلماء والأدباء والشعراء، مثل عباس بن فرناس<sup>(2)</sup>. ويحيى الغزال<sup>(3)</sup>، وشاعره الخاص عبد الله بن الشمر، وعباس بن ناصح شاعر أبيه، وعبد الله بن قرطان بن بدر<sup>(4)</sup>.

وإلى جانب هذا كان عبد الرحمن يعشق الغناء والموسيقى، ويجمع حوله عدداً كبيراً من الفنانين، وعلى رأس من اشتهروا بهذا الفن في عهده، أبو الحسن علي بن نافع الملقب بـ (زرياب)<sup>(5)</sup>، وولع بجاريته طروب، وكلف بها كلفاً شديداً، وهي التي بني عليها الباب بيبر المال حين امتنعت عنه، وأعطتها حلباً قيمة مائة ألف دينار، فقيل له: إن

(1) الشعراوي، الأمويون لأمراء الأندلس الأول، ص280.

(2) هو فيلسوف وعلامة رياض من نوع فريد في بابه، ويرجح أنه من البربر وقد شغف بدراسة الفلسفة والفالك والكمياء والصناعية، وهو أول من استطيط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة، وقد حاول أن يخترع أداة للطيران، انظر الفقي ، عاصم الدين عبدالرؤوف الفقي ، تاريخ المغرب والأندلس ، الناشر ، مكتبة النهضة الشرق - جامعة القاهرة ، ص93.

(3) ينسب إلى بكر بن وائل، وأصله من مدينة جيان، ولقب بالغزال، لجماله وظرفه وتأقه، وكان شاعراً جزاً مطبوعاً، ونبغ في شعر الغزل، عالماً بالفالك والفلسفة وقد أكثر من التعرض للفقهاء، حتى سخطوا عليه، واتهموه بالكفر والإلحاد، انظر الفقي ، تاريخ المغرب والأندلس ، ص93.

(4) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص263.

(5) هو: مغني عراقي فارسي الأصل ولقب بزر毅اب، وهي كلمة تطلق على طائر أسود حسن الصوت، وشخصية زرياب فريدة في يابها، وكان تلميذاً للموسيقي العراقي الكبير إسحاق الموصلي، وذكر أنه غنى أمام الخليفة العباسى هارون الرشيد فأعجب به، فخلف أستاذه أن يأخذ مكانه، فهدده وطلب منه الرحيل إلى أي بلد، فقرر الرحيل إلى الأندلس، فبلغها في سنة (207هـ) في أوائل عهد عبد الرحمن بن الحكم، انظر: الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، ص91-92.

مثل هذا لا ينبغي أن يخرج من خزانة الملك، فقال: إن لابسه نفس، وأرفع قدرًا، وأكرم جوهراً، وأشرف عنصراً، وفيها يقول<sup>(1)</sup>:

رِّطَالْعَةٌ ذَكَرْتِي طَرُوبَا أَشْبُ حُرُوبَا وَأَطْفَيْ حُرُوبَا	إِذَا مَا بَدَتْ لِي شَمْسُ النَّهَا أَنَا ابْنُ الْمِيَامِينَ مِنْ غَالِبٍ
--	--

ومن رقيق شعره في الغزل الذي كان ينتمي إلى موهبة عظيمة ، وعاطفة جياشة اتجاه من يحب ، نستشهد هنا بهذه الأبيات؛ يقول<sup>(2)</sup> :

وَهُلْ بِرَأْ الرَّحْمَنُ مِنْ كُلِّ بَرَا  
تَرَى الْوَرْدَ فَوْقَ الْيَاسِمِينَ بِخَدَّهَا  
فَلَوْ أَنَّنِي مَلَكْتُ قَلْبِي وَنَاظِرِي  
فَالشَّاعِرُ يُشَبِّهُ مَحْبُوبَتِهِ بِهَذِهِ الْأَدِيبَاتِ بِأَنَّهَا أَفْضَلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَالْوَرْدُ وَالْيَاسِمِينُ  
تَرَاهُمَا بِخَدَّهَا ، وَهُذِهِ الْفَتَاهُ الْجَمِيلَهُ قَدْ مَلَكَ قَلْبَ وَنَاظِرِ الشَّاعِرِ .

ماتراه في اص طباخ  
ونسيم الروض يختا  
كلما حاول س بقا  
لاتكن ش بها له واس  
وعة ود القطر تثـر  
ل على مسك وعـبر  
 فهو بالريحان يـثـر  
بق فـما في البـطـء تعـذر<sup>(3)</sup>

يشبه الشاعر محبوبته بنسيم الروض الذي يختال بمشيه على المسك والعنبر ، كما أنها تعثر بالريحان كلما حاولت السبق ، فالشاعر يصبح على محبوبته بأجمل أنواع الورود ذات الروائح الزكية .

(1) المقرى، نفح الطيب، ج1، ص349.

(2) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج 18 ، ص 140.

المصدر نفسه ، ص 141 (3)

وحکی أَنَّهُ فرقٌ فِي يَوْمٍ فَصَدَ لَهُ بَدْرًا عَلَى مِنْ حَضْرَهُ، وَعَبِيدُ اللهِ بْنُ قَرْلَمَانُ أَحَدُ خواصِهِ غَايَهُ فِي بَادِيَتِهِ، فَابْتَدَرَ فَوْجٌ أَمْرًا قَدْ نَفَذَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِأَبِيَاتٍ، مِنْهَا<sup>(1)</sup>:

يا ملّاكاً حلَّ ذرَى المجدِ  
طُوبى لمن أسمعته دعوة  
فظلَّ ذاكَ اليوْمَ من قصْفه  
وعَمَّ بِالإنْعَامِ وَالرُّفَدِ  
في يوْمِكَ المأْنوسِ بِالفَصْدِ  
مُسْتَوْطِنًا في جَنَّةِ الْخَلْدِ

فوق في أسفل كتابه: "من أثر التضجُّع فليرضَ بحظه من النوم!" فجاوب ابن قرلمان بأبيات أولها:

لَا نمْتَ اِنْ كُنْتُ يَا مُولَّا يَ مُحَرُّومًا

فأمر بالصلة ورد في جوابه<sup>(2)</sup>:

لَا غَرَوَ أَنْ كُنْتَ مَمْنُوعًا وَمَحْرُومًا  
فَلَنْ يَنْالَ أَمْرُؤٌ مِّنْ حَظِّهِ أَمْلًا  
فَهُنَاكَ مَنْ سَبَبَنَا مَا كُنْتَ تَأْمُلُهُ  
إِذْ حُمِّتَ فَوْقَ رَجَاءِ الْوَرْدِ تَحْوِيمَهُ  
حَتَّى يَشُدَّ عَلَى الإِجْهَادِ حِيزْوَمَا  
إِذْ غَبَتْ عَنَا وَكَانَ الْعُرْفُ مَقْسُومًا

### 3-3 المعتمد بن عباد<sup>(3)</sup>

وكنيته أبو القاسم<sup>(4)</sup>، كان مولده بباجة سنة (431هـ)، وكان عمره حين ولى العرش ثلاثين سنة<sup>(5)</sup>. ومع إطلاله اليوم الثاني من شهر جمادى الثانى عام (461هـ)، توفي المعتضد ابن عبّاد، هذا الرجل الذي عُرف عنه الهول والبطش والفتاك بأعدائه دونما

(1) ابن الأبار، الحلقة السيراء، ج 2، ص 118-119.

(2) المصدر نفسه، ص 119.

(3) هو المعتمد على الله أبي القاسم محمد بن المعتصم بالله أبي عمرو عباد بن الظافر المؤيد بالله أبي القاسم محمد قاضي إشبيلية ابن أبي الوليد إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم اللخمي، من ولد النعمان بن المنذر اللخمي، آخر ملوك الحرة، ابن خلكان، وفيات الأعبان، م 3، ص 21.

(4) النويري، نهاية الأرب، ج23، ص452.

(5) المصدر نفسه ، ص 452.

ر حمة وشفقة، وارتقع المعتمد بن عباد إلى سدة الملك، فوجد نفسه فوق عرش وطيد الأركان، مكين البنيان إلى حد بعيد<sup>(1)</sup>.

وبعد فترة زمنية طويلة من حكم المعتمد لإشبيلية وبعد دخول يوسف بن تashfin للأندلس والانتصار على النصارى في معركة الزلاقة الشهيرة وطردهم من الأندلس، عاد المعتمد وملوك الطوائف إلى ما كانوا عليه من تنازع وفرقه مما دفع ابن تashfin إلى دخول الأندلس للمرة الثانية برغبة من أهلها لحمايتها من خطر النصارى.

ما أن جازت القوى المرابطية البحر للأرض الأندلسية، حتى انتشر عقد ذلك النظام تحت الضربات الداخلية والخارجية، وكان أولها غرناطة، وبعدها تلاحت المقاطعة إثر الأخرى<sup>(2)</sup>.

أمّا المعتمد ففي هذه الأثناء بدأ الشعور السيء ينتابه، فعاد لأنتماس نصرة عدوه بيوم الزلاقة (الفونسو السادس)<sup>(3)</sup> ، وبعد أن يقن الفونسو بالخطر الذي يهدد الوطن المشترك (إسبانيا)، لهذا سارع الفونسو إلى إمداد المعتمد (عشرين ألف مقاتل)، غير أن قوات المرابطين بقيادة سير بن أبي بكر<sup>(4)</sup> بعد أن سمع بمسير هذه القوة توجه للقاء الفرنج، وقابلهم وهزمهم ورجع إلى إشبيلية لمحاصرتها مع قوات يوسف بن تashfin<sup>(5)</sup>.

فحاصروا المعتمد في إشبيلية وضيقوا عليه، فقاتل المعتمد قتالاً شديداً، وأظهر من شجاعته وشدة بأسه وحسن دفاعه عن بلده ما لم يشاهد من غيره<sup>(6)</sup>.

وأسر المعتمد معه أولاده الذكور والإإناث، بعد أن استأصلوا جميع أقوامه وقيل إن المعتمد سلم البلد بأمان، وكتب نسخة الأمان والوعهد، واستخلفهم على نفسه وماليه وعيشه وجميع ما يتعلق به. فلما سلم إليهم إشبيلية لم يفوا له<sup>(7)</sup>.

(1) التويري، نهاية الأربع، ج 23، ص 452.

(2) مرعشلي نديم ، المعتمد بن عباد، بطل جسد مأساة الاندلس وشاعر غنى مجدها المفقود، دار الكتاب العربي، ص 36.

(3) المصدر نفسه ، ص 37.

(4) ضياباشا، الأندلس الذاهنة، ص 98-99.

(5) التويري، نهاية الأربع، ج 23، ص 459.

(6) المصدر نفسه، ص 459.

(7) المصدر نفسه، ص 459.

ثم سيروا إلى مدينة أغمات، فحبسوها، وفعل بهم أمير المسلمين أفعالاً قبيحة لم يفعلها أحد قبله، وبقي المعتمد في حبسه بأغمات إلى سنة (488هـ) فتوفى فيها، وفبره بآغمات<sup>(1)</sup>.

ولما كان أول عيد بعد وفاة المعتمد وفد الشاعر أبو بحر بن عبد الصمد إلى أغمات لزيارة قبر المعتمد<sup>(2)</sup> وقد أورد صاحب القلائد أبيات أخرى من القصيدة غير التي وردت عند ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان وهي:

نيران حزن أضرمت بفؤادي  
زادت على حرارة الأكباد  
أحساء في الأحراق والإيقاد  
يمحي ضياء النير الوقاد  
لحجابها في ظلمة وساد  
قبراً يضم شوامخ الأطواد  
والبحر ذو التيار والأرباد  
متهلك الصفحات للقصاد  
يهمي وشمل الملك غير مزداد

وهي قصيدة بنى بها اللواعج وشادها، فانحشد الناس وتحلقوا، وبكوا بيائه وأغولوا، وأقاموا أكثر نهارهم مطيفين به طواف الحجيج، مدینین البکاء والضجیج، ثم انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم، وأقرحو ماقيم بصیق شوونهم.<sup>(3)</sup>

وقد أورد النويري أول ثلاثة أبيات من هذه القصيدة منسوبة إلى الشاعر ابن اللبانة وهي<sup>(4)</sup>:

أم قد عدنتك عن السماع عواد؟  
فيها كما قد كنت في الأعياض

ملك الملوک، أسامع فنانادي  
لما خلت منك القصور فلم تكون

(1) النويري ، نهاية الأرب، ج 23، ص 460.

(2) أدهم ، المعتمد بن عباد ، ص 329.

(3) ابن خاقان ، قلائد العقiban ، ص 107-108.

(4) النويري ، نهاية الأرب، ج 23، ص 464.

قَبَّلْتُ فِي هَذَا التَّرَى لَكَ خَاصِّيَاً وَتَخَدَّتُ قَبْرَكَ مَوْضِعَ الْإِنْسَادِ  
وَبَعْدَ التَّقْصِيِّ وَالْبَحْثِ فِي الْمَصَادِرِ الْأَدْبَرِيَّةِ تَبَيَّنَ لِي إِنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لِلشَّاعِرِ ابْنِ عَبْدِ  
الصَّمْدِ وَلَيْسَ لِابْنِ الْلَّبَانَةِ، وَقَدْ وَرَدَتْ عِنْدَ (الْمَقْرِيٌّ<sup>(1)</sup>، وَابْنِ خَاقَانَ) مَنْسُوبَةً لِابْنِ عَبْدِ  
الصَّمْدِ.

### 3-3-1 منزلته الأدبية:

كان المعتمد كأبيه وجده شاعراً صادقاً بكل ما توحى به هذه الكلمة من معانٍ، خلق ليقرض الشعر، ويطرأ الإحساس بجماله. وكان شعره كالحلل المنتشرة، وقد اجتذب إليه من أعلاق الثناء، ونشر عليه من درر الحمد<sup>(2)</sup>، وكان المعتمد ذكي النفس، غزير الأدب، وهو من الشعراة القلائل الذين أعجب الناس بهم، فقد كان ينظم شعراً مثيراً<sup>(3)</sup>. ولعل أبدع شعر للمعتمد هو شعر محتته، فقد أذكت حياته المؤسية في أغمات شاعرية فصدرت عنه طائفة كبيرة من الأشعار تتميز بالتلهم على سابق مجده، وتعبر عن آلامه في المنفى وتتجه لزوال سلطانه وانكباب صروف الدهر عليه، ومن شعره في محتته ما عبر فيه بما يدور في نفسه وما يقاربه من الألم، وبعد أن كان ملكاً أصبح الآن أسيراً محروم من كل الملاذات التي كان يتمتع بها سابقاً؛ وفي هذا يقول<sup>(4)</sup>:

غَرِيبٌ بِأَرْضِ الْمُغْرِبِينَ أَسِيرٌ سَبِيْكِي عَلَيْهِ مُنِيرٌ وَسَرِيرٌ  
وَتَنْدُبُهُ الْبَيْضُ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا  
وَيَنْهَلُ دَمْعٌ بَيْنَهُنَّ غَزِيرٌ  
فَمَا يُرْتَجِي لِلْجُودِ بَعْدَ نَشُورٍ  
إِذَا قِيلَ فِي أَغْمَاتِ قَدْ مَاتَ جَوْدُهُ  
مَضِي زَمْنٌ وَالْمَلْكُ مُسْتَأْنِسٌ بِهِ  
وَأَصْبَحَ عَنْهُ الْيَوْمُ وَهُوَ نَفُورٌ

(1) ابن خاقان، قلائد العقبان، ص107-108.

(2) المعتمد بن عباد ، الديوان ، جمعه وحققه أحمد بدوي، حامد عبدالمجيد، أشرف عليه وراجعه حضرة صاحب المعلى طه حسين، وزارة المعارف العمومية، الإدارية العامة للثقافة، إدارة نشر التراث القديم، المطبعة الأميرية بالقاهرة(1951م)، ص.4.

(3) يكن، زهدي، المعتمد بن عباد وشعراء عصره، حققه علاق حواشيه، محمد زهدي يكن، قدم له سامي نسيب مكارم، دار يكن للنشر بيروت ص37-38.

(4) ابن بسام، ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني(543هـ) الذخيرة في محسنون أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت-لبنان، ق2، م1، ص75.

**برأيِّ مِنْ الدهرِ المضلُّ فاسدٌ متى صلحتُ للصالحين دهورٌ**

يشير المعتمد إلى أنه غريب بأرض المغرب وأسير، وسوف يبكي عليه المنبر والسرير في إشبيلية، وتتدبه السيف الصوارم والقنا وتدرف الدموع على فرافقه، ثم يقول بأن جوده قد مات بأغمات وليس هناك بعده جود، ثم يشير إلى حياته وهو على ملك إشبيلية مستأنس به، وهو هو اليوم يقع في ظلمة السجن والأسر.

ومن شعره في أسره نستشهد أيضاً بهذه الأبيات؛ حيث يقول:

**سلَّتْ عَلَّيْ يَدُ الخطوب سُيُوفَهَا فَجَرَنْ منْ جسدي الخصيف الْأَمْتَأْ**

ضرَبَتْ بها أيدي الضروب وإنما ضربت رقاب الأمنين بها المنى

**كُفُوا فِإِنَّ الدَّهْرَ كَفَ أَكْفَانَ(1)**

يتحدث المعتمد في هذه الأبيات عن المصائب العظيمة التي حلّت به، فيشبه الخطوب بالإنسان الذي يحمل السيف ويرفعه في وجه المعتمد ثم يجرّنا هذه المصائب بجسد المعتمد، ثم يتحدث عن الدهر الذي لا يستقر على حال، فقد كف الدهر اكف المعتمد عن الحكم فأصبح أسيراً بعد أن كان ملكاً.

ومن شعر الأسر عند المعتمد، الذي يعبر فيه الملك الأسير عن ضروب الذل والمهانة حتى وضعت القيود في رجليه، فيطرينا بوصف جميل لهذه القيود التي تلف حول ساقيه وتعطف مثل انعطاف الأرقام، الذي يساور فريسته بالغض بانيا به حتى يقضي عليها، وإن هذه القيود ما تزال تعمل في ساقي المعتمد حتى تقضي عليه، وهذه صورة جميلة يرسمها المعتمد للقيد الذي بساقيه. فيقول<sup>(2)</sup>:

**تَعَطَّفَ مِنْ ساقِي تَعَطُّفَ أَرْقَمِ يُساورُهَا عَصَّا بَأْنِيَابِ ضِيَغِمِ**

**وَإِنَّمَّا مَنْ كَانَ الرَّجَالُ بِسِيِّبِهِ مِنْ سَيِّفِهِ فِي جَنَّةِ جَهَنَّمِ**

ومن شعره في الأسر وقد تعرض له أهل الكدية من الشعراء، وألحوا عليه في السؤال، وهو على تلك الحال فردد عليهم بأبيات، يعجب من هذا السؤال وهو أسير، ويقول أنا أحق بالطلب منهم؛ حيث يقول:

**سَأَلُوا الْيَسِيرَ مِنَ الْأَسِيرِ وَإِنَّهُ بِسُؤالِهِمْ لَأَحَقُّهُمْ فَاعْجَبَ**

(1) النويري، نهاية الأربع، ج23، ص462.

(2) المصدر نفسه، ص462.

**لولا الحياةُ وعزَّةُ لخميَّةٍ طيُّ الحشا لحِكماهُم في المطلب<sup>(1)</sup>**  
وهكذا انتهت حياة بطل من أبطال الأندلس، وشاعرٌ من أعظم الشعراء.

### **3-4 ابن زيدون<sup>(2)</sup>:**

كان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة، وضرع أدبه ، وجاد شعره ، وعلا شأنه ثم انتقل عن قرطبة إلى المعتصد صاحب إشبيلية سنة إحدى وأربعين وأربعين وأربعين فجعله من خواصه يجالسه في خلواته ، ويرتكن إلى إشاراته ، وكان معه في صورة وزير.

كان في الأندلس متيم ذلك الحي ، وعاشق ولادة لامي ، زاد على مجنون ليلي وقيس لبني ، وإبن أبي ربيعة صاحب الثريا ، لا يغترف إلا من صبابته ، ولا تركه هواه ، أنحف من قلم من نار على علم ، وله مع ولادة أخبار ما حكى مثها إبن أبي عتيق ، ولا الأصفهاني عن سكان وادي العقيق ، أندى من نسيم الصباح ، وأرق من ريق الغوادي في ثغور الأفاح .

وذكره الفتح فقال : بهر بنظامه ، وظهر كالبدر ليلة تمامه ، فجاء من القول بسحر ، وقد أبهى نحر ، ولم يصرفه إلا بين ريحان وراح ، ولم يطلعه إلا في سماء مؤانسات وأفراح.

### **1-4-3 أدب ابن زيدون:**

كان لولد الشاعر أصدقاء من ذوي المكانة الرفيعة والعلم الغزير ، ومثل هؤلاء الرجال الأعلام جديرون أن يرعوا حقوق صديقهم الراحل في ابنه العزيز ، وأن يوالوه بالرعاية و التنقيف ،ولهذا تهأت لابن زيدون عوامل النبوغ من ثروة مناسبة ، و عقول

(1) النويري، نهاية الأربع، ج 23، ص 462 .

(2) هو أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطي الشاعر المشهور ، كان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة، ثم انتقل عن قرطبة إلى إشبيلية وصاحبها المعتصد في سنة 441هـ، وبقي فيها إلى وفاته سنة 463هـ، انظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ج 1، ص 29 .

(3) العمري، مسالك الأبرصار، ج 8، ص 261 .

(4) المصدر نفسه ، ص 260 .

(5) المصدر نفسه ، ص 261 .

حانة حازمة ، وبئئة جميلة فتانية ، وعصر مزدهر بالمدنية والحضارة ، حافل بأفذاذ العلماء والأدباء ، هذا فضلاً عن الموهبة الفطرية والاستعداد الخصب والوراثة الصالحة والتوجيه السيد .<sup>(1)</sup>

لقد أبدع ابن زيدون في أغلب موضوعات الشعر ، من مدح وغزل وهجاء ووصف والقارئ لديوانه يجد هذا الشيء واضحاً ، وقد غلب عليه حب الشاعرة ولادة بنت المستكفي ، لهذا نسج فيها العديد من القصائد الغزلية التي تدل على حب عذب صادق ، وعاطفة جياشة اتجاه من يحب وسوف ندرس في هذا الجزء ، الناحية الأدبية عند ابن زيدون في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي .

والطبيعة الأندرسية الساحرة الخلابة أثرت في ابن زيدون إحساساً مشوباً وقلباً مقتحاً وموهبة مواتية ، وقد ارتبطت هذه الطبيعة الخلابة الجميلة بكل ما تحويه من معالم الجمال بالحب عند ابن زيدون ، ولذلك نراه يربط بين الحب والطبيعة من خلال قصائد الغزلية التي كان يبث فيها إحساسه وسوقه وجبه إلى ولادة بنت المستكفي ، ومن هذه القصائد نستشهد بقصيده التي كتبها إلى حبيبته ولادة من الزهراء<sup>(2)</sup>، حيث يربط الشاعر في هذه الأبيات بين الطبيعة وحبيبته ، ويذكر أيامه الحلوة العذبة مع محبوبته في مدينة الزهراء الخلابة الجميلة ومن هذه القصيدة قوله:<sup>(3)</sup>

كما رقَّ لي فاعتلَّ إشفاقا  
كأنَّما شَقَقْتَ عنِ اللَّبَاتِ أَطْوَاقَا  
بِنْتَنَا لَهَا حِينَ نَامَ الدَّهْرُ سُرَّاقَا  
لَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ الْأَيَّامِ أَخْلَاقَا  
وَافَاكُمْ بِفَتِيِّ أَضْنَاءِهِ مَا لَاقَا  
سَلَوتُمْ وَبَقِينَا نَحْنُ عُشَّاقَا

وَلِلنَّسِيمِ اعْتَلَالٌ فِي أَصَائِلِهِ  
وَالرَّوْضُ عَنْ مَائِهِ الْفَضْيِيِّ مُبْتَسِمٌ  
يَوْمٌ كَأَيَّامِ لَذَّاتِ لَنَا انْصَرَمَتْ  
لَوْ كَانَ وَفَّيِ الْمُنْىِ فِي جُمِعَنَا بِكُمْ  
لَوْ شَاءَ حَمَلَ نَسِيمُ الرِّيحِ حِينَ هَفَا  
وَالآنَ أُوثِقَ مَا كُنَّا نَوْدُكُمْ

(1) ابن زيدون، الديوان ورسائله، شرح وتحقيق علي عبدالعظيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة-القاهرة، ص24.

(2) انظر ابن زيدون، الديوان، ص80، 82.

(3) العمري مسالك الأ بصار، ج8، ص262.

ومن نظمه أيضاً نستشهد بهذه الأبيات: <sup>(1)</sup>

إِلَى أَنْ بَدَا الصُّبْحُ فِيهِ تَأْشِيرٌ  
وَجَاءَتْ بِوَادِي الصُّبْحِ تَضْرِبُ فِي الدُّجَى  
وَلَمْ يَعْرُنَا هُمْ ، وَلَا عَاقَ تَكْدِيرٌ  
وَلَكِنْ لِيَالِي الْوَاصِلِ فِيهِنَّ تَقْصِيرٌ

وَلَيْلٌ أَدْمَنَا فِيهِ شُرْبَ مُدَامَةٍ  
فَخَرُّنَا مِنْ الَّذَّاتِ أَطْيَبَ طِيبَهَا  
خَلَا أَنَّهُ لَوْ طَالَ دَامَتْ مَسَرَّتِي

ويصف الشاعر في هذه الأبيات الليلة الجميلة التي قضاها في إحدى جنان إشبيلية <sup>(2)</sup>، هذه الليلة التي قضاها في شرب المدامة إلى أن بدا الصبح في الظهور ، إذ استمرت هذه الليلة الجميلة كما يقول الشاعر من بداية الليل إلى طلوع النهار ، وقد حاز الشاعر فيها الإستمتاع بأطيب اللذات ، ولم يعده أي هم ، ولم يعتقد أي تكدير ، ثم يتمنى الشاعر لو طالت هذه الليلة أكثر لدامت مسرته ، ولكن الليالي الجميلة الحلوة تكون قصيرة دائماً .

ومن نظمه أيضاً نستشهد بقوله: <sup>(3)</sup>

وَدَعَوْتُ مِنْ حَنَقِ عَلَيْكِ فَأَمَّنَا  
وَلَقَدْ شَكُوتُكِ بِالضَّمِيرِ إِلَى الْهَوَى  
وَلَقَدْ تُغْرِيَ الْمُرْءَ بِارْقَةِ الْمُنَى

ويشكو الشاعر في هذين البيتين من فراق المحبوبة له ، ويبيث دعوته المظلومة اتجاه من يحب ، ويقول أشكوك بهذا الضمير المعدب ، الذي عشقك وأحبك كثيراً ، إلى الهوى ليس إلى شيئاً آخر ، وقد منعت نفسي من عودتك وصفاء نفسك اتجاهي ، ولكن يغير الإنسان في أحياناً كثيرة بارقة المنى والأمل ، والشاعر في البيتين يقصد الأمل في عودة محبوبته إليه . ومن نظمه أيضاً نستشهد بهذه الأبيات: <sup>(4)</sup>

رَاحَتْ يَصْحُّ بِهَا السَّقِيمْ  
مَقْبُولَةٌ هَبَّتْ نَسِيَّمَا  
إِيَّهِ أَيَا عَبْدِ الْكَرِيمِ  
ذَكْرِي لِعَهْدَكَ كَالسَّهَادِ

رَيحٌ يَعْطَرُ رَهَا النَّسِيمْ  
فَهِيَ تَعْبُقُ بِالشَّمَمِ  
نَداءً مَغْلُوبَ الْغَرِيمِ  
سَرِى فَبَرَّحَ بِالسَّلَيمِ

(1) العمري مسالك الأ بصار، ج 8، ص 263.

(2) انظر ابن زيدون، الديوان، ص 245.

(3) العمري مسالك الأ بصار، ج 8، ص 262.

(4) المصدر نفسه، ص 262-263.

يشوق ذكر راه الفطيم  
بذلك المرأى الوسيم  
من فؤادي في الصميم  
جاك بالخلق العظيم  
لي فيك بل أستديم

عهد كما لوف الرضاع  
أيام عقد ناظري  
الله يعلم أن حبك  
إن الذي قسم الحظوظ  
لا استزيد الله نعمتي

كتب الشاعر هذه الأبيات إلى صديقه يصف فيها أيامه وليلاته الحلوة في بنسية معه ، عندما تحدث عن جمال هذه الأيام التي يصح من جمالها السقيم ، بهذه الريح الجميلة التي يعطراها النسيم ، هذه الريح ريح الصبا التي تهب من الشرق فهي تفوح بالنسيم العذب ، يخاطب صديقه ، بقوله له هذا نداء مغلوب على أمره ، ويذكر الشاعر صديقة ، بأن حنينه إلى ذكرياته العذبة ، وتثير هواجس ملحة في عقلة تكاد تدفعه من شدة الوجد إلى الجنون <sup>(1)</sup>، ثم يتذكر هذه الأيام الجميلة التي كان يعقد ناظره بمرأى صديقة الوسيم ، الذي جبه سكن صميم فؤاده ، ثم يقول إن الله عز وجل قد جاك بالخلق العظيم ، ثم يطلب من الله ان يستزيد جبه إلى صديقة .

ومن نظمه أيضاً نشهد بهذه الأبيات: <sup>(2)</sup>

أشاربها الواشي ويعق لاني عقلني  
فلا أفتدي إلا بناقضـة الغـزلـ  
لـقـيلـ الأـعـاديـ إـنـهاـ زـلـةـ الحـسـلـ  
وـقـوفـ الـهـوـىـ بـيـنـ القـطـيـعـةـ وـالـوـصـلـ

وإنـيـ لـتهـانـيـ نـهـيـ اـيـ عـنـ التـيـ  
أنـقـضـ فـيـكـ المـدـحـ مـنـ بـعـدـ قـوـةـ  
هيـ النـعـلـ زـلـتـ بيـ فـهـلـ أـنـ مـكـذـبـ  
أـلـاـ إـنـ ظـنـيـ بـيـنـ فـعـلـيـكـ وـاقـفـ

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن مرارة الاعتقال ، ويقول أن عقله يمنعه من الإندفاع إلى الأخطاء التي اختر بها على الوشاة ، ويقول أصل ما أبرمه منك وكيف أهجوك بعد المدح فأكون مثل ناقضة الغزل الحمقاء ، ولقد زلت رغمما عنك ، فلا تستمع إلى قول الحсад إنها زلة خسيس لئيم ، وهو لهذا جدير بالعقاب ، ولقد وقفت متربقاً ما تفعله بي من عقاب القطيعة أو الوصل بأصفح الجميل <sup>(3)</sup> .

(1) انظر ابن زيدون، الديوان ،ص 202.

(2) العمري مسالك الأبصار، ج 8، ص 263.

(3) انظر ابن زيدون، الديوان ،ص 269، 270 ، 272.

ومن نظمه أيضاً نستشهد بهذين البيتين: <sup>(1)</sup>

كأننا لم نبتْ والوصلُ ثالثاً  
والدَّهْرُ قدْ غضَّ مِنْ أَجفانِ واشِينا  
سِرَانٍ في خاطِرِ الظُّلْمَاءِ يَكْتُمنَا  
حتَّى يَكَادَ لسانُ الصَّبَحِ يُقْشِينا

فقد جعل من الوصل كائنا عاقلاً يسعى في ضمها كما جعل من السعد حارساً أميناً  
يطمس أبصار الوشاة ، وصور الظلماء ضميراً يسكنهما في أعماق أسراره ، وللصبح  
لساناً ثرثراً يفضح الأسرار <sup>(2)</sup>.

ومن شعر ابن زيدون في النسب السائر القريب الطيار المليح، الحيف الروح ، نستشهد

بهذه الأبيات: <sup>(3)</sup>

لوْ كَانَ سَامِحِي فِي مَلْكِهِ الزَّمْنِ  
تَلْجَّ فِي هَجْرِهَا عَنْ هَجْرِكَ الْوَسْنِ  
قَدْ حَالَ مَذْغَابَ عَنِي وَجْهُكَ الْحَسْنُ  
بَلْ سَاعَنِي أَنَّ سَرِي فِي الْهَوَى عَلَنِ  
مَاكَانَ يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِيَ الْبَدْنُ

أَمَّا رَضَاكَ فَشَيْءٌ مَالِهِ ثُمَنُ  
تَبْكِي فِرَاقَكَ عَيْنٌ أَنْتَ نَاظِرُهَا  
إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي عَهْدِي بِهِ حَسَنٌ  
وَاللَّهِ مَا سَاعَنِي أَنِّي جَفِيتُ ضَنَّى  
لَوْ كَانَ أَمْرِيَ فِي كُتْمِ الْهَوَى بِيَدِي

وفي هذه الأبيات ينفتح سر الشاعر الذاي ، عندما يتحدث عن رضاه محبوبته  
فارضاه شيئاً نفيس غالٍ الثمن عند الشاعر ، ولا يقدر بأعلى الأثمان ، ثم يبكي  
الشاعر بدموع حارقة على فراق المحبوبة بعين حزينة متالمة على مرارة الفراق ، ثم  
يتحدث عن أن زمانه قد أصبح غير سعيد عندما غاب وجه محبوبته العذب الجميل ،  
فيغير زمانه من السعادة والفرح بوجود المحبوبة ، إلى حزن وألم بفارق المحبوبة ، ثم  
يتحدث الشاعر عن سبب ما ساءه ، ليس الإساءة عند الشاعر كما وضحها في الأبيات  
بسبب جفى المحبوبة عنه بل بسبب حبه العلني لمحبوبته ، ثم يوضح أن أمر كتم الهوى  
ليس بيده ، ولوكن بيده ، لما علم البدن ما في قلبه ، فالشاعر في الأبيات حزين متالم ،  
فظهور عنده عاطفة صادقة جياشة اتجاه فراق محبوبته له.

(1) انظر ابن زيدون ، الديوان ، ص 263.

(2) انظر المصدر نفسه ، ص 99.

(3) العمري مسالك الأبصار ، ج 8 ، ص 263.

ومن نظمه أيضاً نستشهد بهذه الأبيات: <sup>(1)</sup>

يالي لـ طـلـ أو لا تـلـ  
لـو بـاتـ عـنـدي قـمـري  
ما بـتـ أـرـعـى قـمـركـ  
إـلا لـعـهـ دـقـصـدـكـ

يتحدث الشاعر في الأبيات عن تمرد محبوبته له ، ويناجي الشاعر هنا الليل ويقول له ياليل إذا أردت أن تأتي أو لم ترد ، لابد وأن أسرحك معـي ، وأخبرك عن تمرد حبيـبي لي ، لـتـشـارـكـنيـ أحـزـانـيـ وأـلـامـيـ ثـمـ يـخـاطـبـهـ ، ويـقـولـ لوـ بـاتـ عـنـديـ قـمـريـ ، لـمـ أـتـيـتـ بالـلـيلـ هناـ أـرـعـىـ قـمـركـ فـيـ السـمـاءـ وـأـخـاطـبـهـ ، بلـ لـخـاطـبـتـ مـحـبـوـبـيـ ، فالـشـاعـرـ فـيـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ يـجـسـدـ مـنـ الـلـيلـ إـنـسـانـ وـيـخـاطـبـهـ ، وـيـبـثـ لـهـ أـحـزـانـهـ وـأـلـامـهـ ، عـلـىـ غـدـرـ الـحـبـيبـ .

ولقد هـجـتـ وـلـادـةـ بـنـتـ الـمـسـكـفـيـ إـبـنـ زـيـدـونـ ، بـقـولـهـاـ إـنـ إـبـنـ زـيـدـونـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ فـضـلـهـ إـلـاـ أـنـهـ يـغـتـابـنـيـ وـيـوـسـعـنـيـ شـتـمـاـ وـنـمـاـ وـلـاـ ذـنـبـ لـيـ ، ثـمـ تـقـولـ فـيـ الـبـيـتـ الثـانـيـ إـنـ إـبـنـ زـيـدـونـ إـذـاـ جـئـتـ يـلـحـظـنـيـ شـزـرـاـ ، كـأـنـنـيـ عـنـدـمـ آـتـيـ أـخـفـيـ عـلـيـهـ . <sup>(2)</sup>

ما لـابـنـ زـيـدـونـ عـلـىـ فـضـلـهـ  
يـوـسـعـنـيـ شـتـمـاـ وـلـاـ ذـنـبـ لـيـ  
يـلـحـظـنـيـ شـزـرـاـ إـذـاـ جـئـتـ  
كـأـنـنـيـ جـئـتـ لـيـخـفـيـ عـلـيـ

### 3-5 ابن أبي الخصال <sup>(3)</sup>:

نبغ ابن أبي الخصال في العلم والثقافة، فكان شاعراً، وناثراً، وله العديد من القصائد الشعرية والرسائل والكتابات النثرية، وبرع في الكتابة في عصر المرابطين في الأندلس كما مر سابقاً، حيث كان كاتباً لأمير المرابطين يوسف بن تашفين.

### 3-5-1 أدب ابن أبي الخصال:-

برع ابن أبي الخصال في الأدب في عصر المرابطين، حيث كان كاتباً للأمير

(1)العمري مسالك الأنصار، ج8، ص 263.

(2)المصدر نفسه، ص 260.

(3)المصدر نفسه، ص 260.

(يوسف بن تاشفين)، ولابنه في مراحل لاحقة<sup>(1)</sup>. وقبل البدء بالحديث عن الحياة الأدبية عند ابن أبي الخصال، لا بد من إلقاء نظرة موجزة على العصر الذي عاش فيه (ابن أبي الخصال)، عصر المرابطين، وكيف أثر هذا العصر من خلال الأحداث التي حصلت على الحياة الأدبية.

تميزت هذه الحقبة من الزمن (عصر المرابطين) بالانتصارات والفتحات الساحقة كما تقدم حيث ركز علي بن تاشفين على الغارات والغزوات المتتالية على (طليطلة)، وانعكست هذه الأحداث على عصر ابن أبي الخصال فكريًا واجتماعياً، وساعدت هذه الأحداث على ازدهار الحركة الفكرية والأدبية في ظل دولة المرابطين، فنضجت صورة الأدب الأندلسي، وبلغت مرحلة من التطورات؛ ساعدت على إنتاج نماذج أدبية يفخر بها هذا العصر<sup>(2)</sup>.

شارك ابن أبي الخصال في فنون النثر الشائعة في زمانه، فكتب في غالب الموضوعات النثرية، وجاءت رسائله متعددة بين الرسائل السلطانية، والأخوية، كما كتب في الرسائل الزرزورية<sup>(3)</sup>، وألف في المقامات، وأنشأ الخطب، وعارض رسائل الموري، كما حظيت رسائل ابن أبي الخصال بعناية واسعة في زمانه، وبعناية أجيال جاءت

---

(1) انظر المراكشي، عبد الواحد ،المعجب في تلخيص اخبار المغرب من لدن فتح الاندلس الى اخر عصر الموحدين مع مل يتصل بتاريخ هذه الفترة من اخبار الشعراء ،ص 173.

(2) قارة حياة ، رسائل جديدة لأبي عبد الله ابن أبي الخصال ، كلية الآداب ، فاس - المغرب ، بحث منشور في مجلة دراسات أندلسية ، سنة 1995م (13 - 14) ، ص 58.

(3) هي رسائل تبادلها عدد من كتاب الأندلس في زمان المؤلف، وأصلها لمحنة عابرة في رسالة لأبي الحسين بن سراج أحد كتاب الأندلس يشفع فيها لرجل لقبه (الزر زور)، وأدار الحديث وكأنه عن زر زور؛ واستعار ما يليق به من الريش والطيران والفراخ.....، وشارك في هذا النوع من الرسائل أبو القاسم بن الجد وابن أبي الخصال وغيرهم، وحاول كل واحد من الكتاب أن يتناول معالجة الرسالة الزرزورية بأسلوبه ومنهجه، انظر ابن أبي الخصال، الكاتب الفقيه أبي عبدالله بن أبي الخصال الغافقي الاندلسي ،ت (540هـ) ، رسائل ابن أبي الخصال ،تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، دمشق - سوريا ، الطبعة الاولى ص 13.

بعده، فقد كان الكتاب والمتدرجون في الخدمة السلطانية يقرؤون رسائله، ويقلدونها<sup>(1)</sup>، وكان بعض الخطباء يخطبون بها<sup>(2)</sup>.

و سندرس هنا الكتابة عند أبي الخصال بشقيها (الكتابة الديوانية (السلطانية) والإخوانية، ولن ندرس كل الرسائل سواء كانت الديوانية أو الإخوانية بل سنأخذ نماذج نتعرف من خلالها على موضوعات هذه الرسائل والصور الجمالية فيها، والتعرف على موهبته وبراعته في الكتابة، حتى أطلق عليه اسم أول كاتب بالأندلس، وقد جعله القلقشendi في (صبح الأعشى) أنموذجاً لكتاب العصر الأندلسي، مع بعض الكتاب الآخرين، وأورد له العديد من الرسائل في موسوعته (صبح الأعشى).

### رسائله السلطانية (الديوانية)

أبدع أبو عبد الله ابن أبي الخصال في نسجه لرسائله السلطانية، بالترسیل البديع الذي انفرد به قلم ابن أبي الخصال، وامتزجت به طلاوة الكلمة الشعرية ببيان العبارة النثرية، واستطاع أن يكشف من خلال هذا التزاوج عن صور بلاغية تشهد له بالكمال<sup>(3)</sup>، وقد أتت من كلامه ما يدل على نبله وأدبه<sup>(4)</sup>.

ونحن في صدد الحديث عن رسائله السلطانية لا بد من الاستشهاد بنماذج من هذه الرسائل، التي كان يبعثها إلى أمراء المرابطين، ومن هذه الرسائل رسالة تهنئة بقدوم وزير، أوردها القلقشendi في (صبح الأعشى)؛ يقول فيها:-

"سرّ الله مولاي ورئيسي، وربّ تشريفي وأنسي، بقاء الأحباب، واتصال الأسباب، وأوبة الغياب، ولا زالت الأيام تتصنّع لإقباله ، وتقبله أوجه العزّ في اقباله؛ وتوفيه على رغم الحاسد حقَّ جلاله.

(1) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، 16.

(2) المصدر نفسه، ص 15.

(3) قارة ، رسائل جديدة لأبي عبد الله ابن أبي الخصال، ص 62.

(4) ابن بسام، الذخيرة ق 3، م 2 ، ص 787.

البشري - أَدَمُ اللَّهُ اعْتَزَرَهُ - بِمَقْدِمِ الْوَزِيرِ فَلَانَ قَدْ أَوْضَعَتْ رِكَابَهَا، وَاتَّصَلَ بِالنُّفُوسِ أَعْلَاقَهَا وَأَسْبَابَهَا؛ فَهُنَيْئاً مَعْشِرُ الْأُولَىءِ بِسَبَوْغِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ، وَالْمَنْحَةِ الْجَزِيلَةِ؛ وَلَا إِسْتَوْفَى شُكْرُ ما بَهُ أَتَى مَعْظَمَ قَدْرِهِ، وَمُلْتَزِمٌ بِرَهِ؛ مِنْ ثَنَاءِ كَعْرَفِ الطَّيِّبِ يَهْدِي، وَمَذْهَبٍ فِي الإِنْهَاضِ لَا يَقْضِي وَاجْبَهُ وَلَا يَؤْدِي؛ وَلَا زَالَتْ حَيَاةُ مُولَّايِ تَقْدِي، وَأَفْعَالُ بَرِ تَتَعَدَّى؛ وَقَدْ لَثَمَتْ مَوْاقِعَ أَنَامِلِهِ وَدَأْ.

وَوَرَدَتْ مِنْ مَحَاسِنِ بَيَانِهِ مِنْهَلًا عَذْبًا [وَوَرَدَا] فَامْتَعَنِي اللَّهُ بِحَيَاتِهِ الْعَزِيزَةِ الْأَيَامِ، الطَّيِّبَةِ الْإِيمَامِ، الْمَوْصُولَةِ الْعَهْدِ وَالْذَّمَامِ، وَأَقْرَأَ عَلَى سَيِّدِي مِنْ سَلَامِي مَا يُلْثِمُ يَدِهِ، وَيَقْضِي حَقَّ الْبَرَاعِ [الَّذِي] أَنْشَأَ بِهِ الْبَرِ وَوَلَدَهُ، وَالسَّلَامُ الْمَعَادُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمَلَتِهِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبِرَكَاتِهِ<sup>(1)</sup>.

يَبْدَا ابْنُ أَبِي الْخَصَالِ كِتَابَهُ بِالْدُّعَاءِ إِلَى سَيِّدِهِ وَمُولَاهُ بِسَرُورِ بَلَقاءِ الْأَحَبَابِ ، وَاتِّصالِ الْأَسْبَابِ ، وَعُودَةِ الْغَيَابِ ، ثُمَّ يَطْلُبُ الْبَشَرِيَّ مِنْ سَيِّدِهِ بِمَقْدِمِ الْوَزِيرِ فَلَانَ ، وَمِهْنَيَا مُولَاهُ بِسَبَوْغِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْمَنْحَةِ الْجَزِيلَةِ بِقَدْوَمِ الْوَزِيرِ، وَيَصْبَغُ ابْنُ أَبِي الْخَصَالِ عَلَى الْوَزِيرِ بِصَبْغَةِ الْوَالِي لِأَمْرِهِ، وَيَعْدُ صَفَاتَهُ الطَّيِّبَةَ الَّتِي يَتَحَلَّ بِهَا هَذَا الْوَزِيرُ مِنِ النِّبَاهَةِ وَالْعِلْمِ، وَالْطَّيِّبِ، وَالْكَرَمِ، وَيَنْهَى كَلَامَهُ بِتَحْمِيلِهِ سَلَامَهُ إِلَى سَيِّدِهِ، وَتَقْبِيلِ يَدِهِ اعْتِرَافًا مِنْهُ بِجَمِيلِ صَنْيِعِ سَيِّدِهِ عَلَيْهِ.

وَمِنْ رِسَائِلِ ابْنِ أَبِي الْخَصَالِ ، أَيْضًا رِسَالَةً كَتَبَهَا فِي الْأَخْبَارِ عَنْ زَلْزَلَةِ عَظِيمَةٍ وَقَعَتْ بِمَدِينَةِ قَرْطَبَةِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ؛ يَقُولُ فِيهَا:

"الْشِّيخُ الْأَجْلُ، الْوَلِيُّ الْأَكْرَمُ الْأَفْضَلُ، أَبُو فَلَانَ ، الَّذِي أَطْرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِعَجَائِبِ الْأَخْبَارِ، وَأَذْهَبَ بِهِ مُسْلِكُ الْإِتَّعَاظِ وَمِنْهَجُ الْأَذْكَارِ، أَبْقَاهُ اللَّهُ آخِذًا فِي سِنِّيِنِ الْانْزِعَاجِ وَنَهْجِ الْأَزْدَجَارِ. الْمَخْلُصُ لِهِ الْمَحْضُ النَّاصِعُ مِنِ الْوَلَاءِ وَمَعْرِفَةُ غَرِيبِ الْآثَارِ وَعَجِيبِ الْأَنْبَاءِ؛ فَلَانَ

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

---

(1) الْفَلَقْشَنْدِيُّ، صَبَحُ الْأَعْشَى، جِنْهُ، صِفَر١٣٥ - ٣٦.

أما بعد حمد الله الذي جعل عبره أنواعاً متنوعة وصنوفاً، وأرسل الآيات أو ما نرسل بالآيات إلا تخييفاً). والصلاحة على سيدنا محمد المصطفى صلاة طيبة تعقب تأريجاً وتضوع تعرضاً؛ وعلى الله وأصحابه الطاهرين الذين حضروا حرباً وشهدوا زحوفاً، والدعاء لسيدنا الإمام أمير المؤمنين في نصر عزيز يونس مذعوراً وبيه من مخوفاً، فإني كتبته - كتب الله لكم دعوة حافظة وأماناً، وتصديقاً بآيات الله البينة وبرهاناً - من موضع كذا، عندما طرأ علينا ما كحل العيون بقذتها، ومنعها لذذ كراهاً، وافق الضلوع الحانية وافق مصارين حشاها : وهو أن الله عز وجل ذكر عباده إن نفعت الذكري، ونبهم إن تتبهوا ولم يأمنوا منه كيداً مبيراً ولا مكرأً؛ وذلك بزلزال قضى به على قرطبة وبعض أعمالها، ملأ نفوس ساكنيها من روعاتها وأوجالها؛ وحالت ذلك في الخوف والارتفاع أقبح حالها؛ حتى نحو إلى الاستكانة والضراعة، وأطاع الله من لم يكن له قبل ذلك طاعة؛ وخسوا بل كانوا يوقنون أنها زلزلة الساعة .... وكان من عظيم آثارها، وكربيه وإرادها وإصدارها ، انهدام القبة العظمى في المسجد الجامع صانه الله ، وكانت قبة أساس على التقوى بناؤها ، وذهب في المشارق والمغارب ذكرها العاطر وثناؤها ؛ وتهدمت بسبب ذلك الهدم ديار كثيرة ، وحدث به حوادث مبيرة . وإنما تلوكة من أعمالها ، وكان فيها مبني من مباني الروم ، فإنه غادرها قاعاً صفصفاً ، واضطر ذلك الخطب الفادح ، والريح القادح ، إلى أن أخرج السيد أبو إسحاق وكافة أهل قرطبة من ديارهم ، وفروا من الموت بأقواتهم وأصحابهم .

ثم إن الله عز وجل تدارك بالرحمة، وكشف تلك الغمى، جعل الله ذلك صقلأً لقلوبنا، وتنورة عما سبق من ذنوبنا؛ وعصمنا من جرمنا الموبق وحومنا، وأولادنا وإياكم أمنا من الغير، وازدجاراً بما ظهر من العبر وجعل كلانا جميل الحوادث طيب الخبر، بمنة؛ والسلام الطيب المبارك ورحمة الله وبركاته<sup>1</sup>.

بدأ ابن أبي الخصال رسالته بالدعاء إلى الوالي الأكرم والأفضل الذي أطافه الله بعجائب الإخبار ، بالبقاء في سنين الانزعاج ونهج الازدجار ، المحب إلى معرفة غريب الآثار وعجب الإنباء ، ثم يذكر اسمه بالرسالة ، وبعد هذا الإسهاب بالدعاء ، يبدأ الرسالة

---

1 - الفلكشندى، صبح الأعشى، ج 9، ص 222 - 223.

بالسلام وحمد الله عز وجل على جميع الأمور ، وهو الذي يرسل الآيات تخويفا ، ثم يصل على النبي صلاة طيبة وعلى آله الطاهرين ، ثم يدعو إلى أمير المؤمنين بالنصر العزيز الذي يؤنس المذعور ، ويؤمن المخوف ، ثم يتحدث عن مضمون الرسالة ، وهو أن قرطبة قد أصبية بزلزال قضى عليها وعلى بعض أعمالها ، وما حل بأهلها من الخوف والهلاك حتى ظنوا أنها زلزلة الساعة ، ثم يبين في رسالته أضرار هذا الزلزال من انهدام القبة العظيمة في المسجد الجامع ، وانهدام ديار كثيرة ، حتى اضطر أهل قرطبة والسيد إسحاق إلى الحروج منها ، وفي نهاية الرسالة يخبره بأن الله قد أزال الغمة ، ويتمنى أن يجعل ذلك صقلا لقلوبنا ، وتوبة عما سبق من ذنبينا ، ثم يدعوا الله أن يعصمنا من الجرم الموبق ، ثم يختتم الرسالة بالسلام .

#### الكتابة الإخوانية:-

لقد دارت بين أبي الخصال وإخوانه العديد من الرسائل، التي تدل على المودة والمحبة ، وجاءت هذه الرسائل في أجمل حلة، وأبدع صور، ولم تقل هذه المكاتب الأخوية عند ابن أبي الخصال عن مكاتباته السلطانية، من قوة العبارة و اختيار الألفاظ بعناية، وإظهار براعته الفنية.

ومن هذه المكاتب الإخوانية، نستشهد برسالة كتب بها إلى أحد الوزراء من أصدقائه يخبره بوصول رسالته الجوابية على رسالة سابقة كان ابن الخصال قد بعث بها إليه ، يبدأ الرسالة بالدعاء إلى الوزير بأن يطيل الله بقاءه ، ثم يتحدث عن صفاته الحميدة والحسنة ، فهو الفقيه الأفضل ، وارث المجد والسؤدد الأعز ، المنقطع في المكارم والمآثر ، ثم يخبره بان لسانه يقصر عن الإتيان بالعبارات التي تستوفي حقه ، ثم يخبره بان كتابه قد وصله وهو يحوي بين طياته الوفاء ظاهرا وباطنا و وهو أمان من الدهر وضمان للحياة وطبيتها ، ثم يعتذر منه عن سبب تأخره في الرد على كتابه ؛ يقول فيها:

" أطال الله بقاء الوزير الأجل الفقيه الأفضل، وارث المجد المؤثل والسؤدد الأغر المحجل، المتنقي لكل مأثرة باليمين، المنقطع في المكارم والمآثر عن القرين. ولا زال فصيح مغاني المجد، مذلل مجاني الحمد ."

الشكر \_ أدام الله عزك - ينذر، واللسان يقصر، والعبارة عما أجده من ودك  
واعتمده من توفيه حفك لا تحضر وو افاني الكتاب الكريم الذي فات البلقاء لفظاً ومعنى،  
وتضمنت الوفاء ظهراً وبطناً . لا جرم! إنه من الدهر أمان وللحياة وطيبها ضمان ..  
ورأيت في تأخر المراجعة العذر لائحاً ونشر الصدق صائكاً فاتحاً، ولعمر الله ما ارتبت  
في ذلك برب، ولا حدثت نفسي إلا أجمل ظن وأحسن غيب.....

وما قدمته... وصل الله تقديمك - من ذكر في ذلك البساط فقلادة المناط وسمة يبقى  
شرطها إلى الاشتراط...".

ومن رسائل ابن أبي الخصال أيضاً نستشهد بقوله في المداعبة وقد أورد القلقشندى  
معنى المداعبة، نقاً عن (مواد البيان)؛ حيث يقول :-

"معاني المداعبات التي يستعملها الإخوان غير متناهية، والأغراض التي ينتظمها المزاح  
وتعدُّ من طلاقة النفس ولا تقف عند فاصية: لأنها مستتملاة من أحوال متباعدة، ومتآخوذة  
من أمور غير معنية... ثم يقول : والأحسن بأهل الوداد والصفاء، الأليق بذوي المخالصة  
والوفاء؛ أن يتزهوا في المداعبة الدائرة بينهم عن بذيء اللفظ ومحنة، ومؤلم الخطاب  
ومقدعة، ويكفوا اللسان واليد عن الانطلاق بما يدل على خفة الأحلام، والرضا بالرذل من  
الكلام اللائق بسفهاء العوام؛ ويتحرجوا من إرسال قول "يبقى وصمة على [مدى الأيام] إذ  
لا فرق بين جرح اللسان وجراح اليد...".<sup>(1)</sup>.

يتحدث ابن أبي الخصال عن معاني المداعبة التي لا تحصى فهي كثيرة جداً ، وان  
الأغراض التي يتضمنها المزاح تعد من طلاقة النفس ولا تقف عند حد معين ، ويرجع  
أسباب ذلك إلى أنها مستتملاة من أحوال مختلفة ، ثم يبين الصفات التي يجب أن تكون  
عليها المداعبة ، فتكون بعيدة عن بذيء اللفظ ومحنة ، ومؤلم الخطاب ومقدعة، وان  
يكفوا اللسان واليد عن الانطلاق بما يدل على خفة العقول ، ويجب أن تكون بعيدة عن  
الكلام الرذل ، الذي يبقى وصمة عار على مدى الأيام ، فلا فرق بين جرح اللسان وجراح  
اليد فكلاهما واحد يبقى اثره على مدى الأيام ، وفديورث البغضاء والتناقر

---

(1) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج 9 ، ص 225.

ومن رسائل المداعبة التي صدرت عن ابن أبي الخصال التي تحتوي على قوة العبرة، وجزالة اللفظ، وروح المداعبة والفكاهة، قوله:

"سidi وواحدi الذي أجمل ذكره ، وأولى شكره؛ لا زال مغناك رحيباً، وزمانك خصيباً؛ ولا زالت تأخذ لأخر اك نصيباً؛ عبdk فلان مؤديها ينطبع الكرام، ويباري في جريها الأيام: فتارة يجمع، وأخرى يفرق وطوراً يغرب وطوراً يشرق؛ وأم الحضرة - وصل الله حراستها، وأدام بهجتها ونفاستها - والملك بها غض الشباب، أخضر الجلباب؛ وإحسانك إحسانك، ومكانك من المروءة مكانك؛ فأوسعه قرى، وأملأ عينيه على الشعب كرى، استغفر الله بل أمده تبناً وعلفاً ، وأركبه حزناً من الأرض ظلفاً؛ دونكه لم يقلب أرضه بيطار، ولا الجنية به جبار، وجرحه جبار؛ وعنه كما علمت دعاء مباح ، وثناء في الشكر مساءً وصباح؛ والسلام"<sup>(1)</sup>.

بدأ ابن أبي الخصال رسالة المداعبة بالدعاء إلى سيده ، فهو ما زال مغناه رحيبا ، وزمانه خصيبا ، ثم يذكر اسمه ، ثم يوضح انه ينطبع فيها الكرام ويباري في جريها الأيام فتارة يجمع وأخرى يفرق وطوراً يغرب وطوراً يشرق ، ثم يتحدث عن حضرة الملك التي هي غض الشباب ، أخضر الجلباب ، فهو مازال يحسن إلى الناس ، ومكانه من المروءة كما كان ، وفي نهاية الرسالة تبدأ كلمات المداعبة الموجهة إلى سيده ، والتي تظهر فيها روح المزاح الخالية من الكلمات البذيئة والفاحشة حيث يقول " ملأ عينه الشعب كرى ، واستغفر الله بل أمده تبناً وعلفاً ، وأركبه حزناً من الأرض ظلفا ..."

ومن رسائله الأخوية، رسالة بعث بها إلى صديق له حالت دون زيارته موانع ، بدأ ابن أبي الخصال رسالته بالدعاء للفقيه بطول البقاء من الله عز وجل في القدر الرفيع النبيل ، والمجد الأصيل ، وبعد هذا الإسهاب بالدعاء يتحدث عن الأسباب والموانع التي منعه من زيارته ، فقد حالة دون لقائه يد البين ، ثم يختتم الرسالة بحديثه عن صفاته وآدابه الكريمة ، ويدعو له بالنشاط الدائم والانبساط الحسن من الله عز وجل ؛ يقول فيها:

---

(1) الفلاشندي ، صبح الأعشى ، ج 9 ، ص 277

" أطال الله بقاء الفقيه الجلي، في القدر الرفيع النبيل، والمجد الأصيل الأثيل؛ ولا زال أمله مستقلاً، ومحله منيعاً مطلأً ما كل من احتجب عن العين، وحالت دون لقائه يد البين؛ يحتجب عن الضمير، ويختفي مدى صوته الشهير؛ كلا إن القلب يليه وإن السمع يجتليه. رب مزنة حرمناها نظراً، وشهناها أثراً، سحت مطراً، ولاحت روضاً يانعاً وزهراً .. وهذه - دام الله عزك - حال المحصور، وجهد الممنوع المقصور؛ ولعل وجه قربك يجلو، وسند دنوك يعلو فأخذ حديث المجد عنك، وانتقى القول غريضاً فيك وفي دون ما هو إلى المفاتحة على ما فيها من مقام هائل، وخطر دون الوطن حائل؛ تتضى المطي وتعتلق الصبيّ، وينتشر العزم المطوي؛ فخبر خطا الساعين، وأهدي سبل المتبعين خطأ يتعلّق البر بأذيالها، وتبل رسم الإيمان ببلاها ... ولو لا ما تؤثره من كرم الآداب، لأخفيتك من الجواب؛ لكنه أقرّأنا مراقبه، وفي سبيل الله صدوره وعواقبه؛ فرأيك في النشاط وحسن الانبساط؛ إن شاء الله"<sup>(1)</sup>.

### خطب ابن أبي الخصال:-

وهناك العديد من الخطب لأبن أبي الخصال، لا تقل أهمية عن كتاباته سواء السلطانية أو الإخوانية، ومن خطبه ، نستشهد هنا بخطبته المنبرية كما يقول عنها (محمد الداية في رسائل ابن أبي الخصال)<sup>(2)</sup>، ولا بد هنا من الإشارة إلى مقطوعات من هذه الخطبة، التي وردت حول الشكر على نزول المطر بعد ما انحبس، وأجدبت الأرض، يقول منها:- " الحمد لله الذي لا يكشف السوء سواه، ولا يدعو المضطر إلا إيه، ننزل فقرنا بغناء، ونعود من سخطه برضاه، ونستغفره من ذنبنا: (ومن يغفر الذنوب إلا الله) ، وشهاد إن لا اله إلا الله وحده لا شريك له لها على فاقتدر، وأورد عباده واصدر، وبسط الرزق وقدر؛ وشهاد أن محمداً عبده ورسوله الذي بشر وانذر، ورغب وحذر؛ وغلب البشري على الإنقاط، ودل على الصراط، وأشار إلى الساعة بالاشرط، ولم يأل أمته في الذب والاحتياط، صلى الله عليه وعلى الوزراء الخلفاء، البررة الأنقياء، والأشداء الرحمة، والأصحاب الزعما، صلاة تملأ ما بين الأرض والسماء، وتواففهم في كل الأوقات

(1) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال ، ص 131 – 123.

(2) المصدر نفسه، ص 272.

والاـنا، وتـضع الـتنـاء مـوضـع النـسـا. ولـما لـقـحت حـرب الـجـدب عـن حـيـال، وـأـشـفـق رـبـ الصـرـيـحة وـالـعـيـال، وـتـنـادـى الـجـيـران لـلـتـفـرـق وـالـزـيـال، وـتـنـاوـحـت فـي الـهـبـوب رـيـحـها الـجـنـوبـ، وـتـرـاوـحـت عـلـى الـقـلـوب رـاحـتـا الـيـمـين وـالـشـمـال؛ وـأـحـضـرـت أـنـفـس الـأـغـنـيـاء الشـحـ، وـوـدـوا أـن لا تـتـشـأ مـزـنـة وـلـا تـسـحـّ؛ وـتـوـهـم خـازـنـ الـبـرـ، أـن صـاعـه يـعـدـل صـاعـ الدـرـ؛ وـخـفتـ الـأـزوـادـ، وـمـاجـتـ الـأـرـضـ وـالـنـقـتـ الـرـوـادـ؛ وـأـنـتـزـعـتـ الـعـازـبـ الـقـصـيـ، فـالـقـتـ الـعـصـيـ، وـصـدـرـتـ بـحـسـرـاتـها، وـقـد اـسـلـمـتـ حـزـرـاتـها؛ وـأـصـبـحـتـ كـلـ قـنـةـ فـدـعـاءـ، وـهـضـبـ درـعـاءـ؛ (صفـاهـ وـهـنـاـ وـنـقـباـ وـهـنـاـ)؛ وـالـصـبـحـ فـيـ كـلـ أـفـقـ قـطـرـ أـوـ قـطـاـ، وـالـأـرـضـ كـلـهاـ سـيفـ وـنـطـعـ؛ وـالـشـعـرـ يـشـمـرـ ذـيلـهـ لـلـنـفـاقـ، وـيـضـمـرـ خـيـلـهـ لـلـسـبـاقـ؛ وـجـاءـ الـجـدـ وـرـاحـ الـهـزـلـ، وـقـلـنـاـ: هـذـهـ الشـدـّـهـ هـذـهـ الـأـزـلـ؛ لـلـمـرـجـفـينـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ عـجـاجـةـ ظـنـوـهـاـ لـاـ تـلـبـدـ وـقـسـىـ نـحـوـ الـغـيـوـبـ تـعـطـفـ وـتـلـبـدـ.. حـتـىـ إـذـاـ عـقـدـواـ الـأـيـمـانـ، وـأـخـذـواـ بـزـعـمـهـ الـأـمـانـ؛ وـقـالـلـوـاـ لـاـ يـطـمـعـ فـيـ الـغـيـثـ، وـزـحـلـ فـيـ الـلـيـثـ؛ فـإـذـاـ فـارـقـ الـأـسـدـ، لـكـ مـاـ أـفـسـدـ :

تـحـرـصـاـ وـأـحـادـيـثـاـ مـلـفـقـةـ  
لـيـسـتـ بـنـبـعـ إـذـاـ عـدـتـ وـلـاـ غـرـبـ !

وـأـنـشـأـ اللـهـ العـنـانـ، وـقـالـ لـهـ: كـنـ فـكـانـ؛ فـبـيـنـمـاـ النـجـومـ دـرـارـيـهـاـ الـأـعـلـامـ، وـإـغـفـالـهـاـ التـيـ لاـ تـحـمـدـ عـنـهـمـ وـلـاـ تـلـامـ؛ قـدـ اـخـتـلـطـ مـرـعـاـهـاـ بـالـهـمـلـ، وـلـمـ تـدـرـ السـدـةـ بـالـحـمـلـ؛ وـلـاـ عـلـمـ الـجـدـلـ بـالـرـئـيـالـ... فـيـاـ أـيـهـاـ الـمـؤـمـنـ بـالـكـوـاـكـبـ، أـنـظـرـ إـلـىـ الـدـيـمـ السـوـاـكـبـ، وـاسـبـحـ فـيـ لـجـ سـيـولـهـاـ، وـارـتـحـ فـيـ مـمـرـ ذـيـولـهـاـ؛ وـسـبـحـ باـسـمـ رـبـكـ الـعـظـيمـ الـذـيـ قـذـفـ بـالـحـقـ عـلـىـ الـبـاطـلـ، وـأـعـادـ الـحـلـ إـلـىـ الـعـاطـلـ؛ فـبـرـودـ الـظـواـهـرـ مـخـضـرـةـ، وـثـغـورـ الـأـزـاهـرـ مـفـتـرـةـ؛ وـمـسـرـاتـ الـنـفـوسـ مـنـتـشـرـةـ، وـالـدـنـيـاـ ضـاحـكـةـ مـسـتـبـشـرـةـ... وـمـنـ عـرـارـ تـغـنـيـ مـطـالـعـةـ عـلـىـ غـرـارـ، وـكـافـتـ بـهـ السـوـارـيـ وـالـغـوـادـيـ كـلـفـ عـمـرـوـ بـعـرـارـ؛ فـجـاءـ كـسـوـالـفـ الـغـيدـ تـرـفـ، وـكـوـمـيـضـ الـثـغـورـ يـعـقـ وـيـشـفـ.

فـشـكـرـاـ لـرـبـنـاـ شـكـرـاـ، سـحـقاـ لـلـذـينـ بـدـلـواـ نـعـمـةـ اللـهـ كـفـرـاـ؛ اللـهـمـ بـارـىـءـ النـسـمـ، وـدارـىـءـ الـقـسـمـ، وـنـاـشـرـ الرـحـمـةـ وـالـنـعـمـ، وـمـنـزـلـ الـدـيـمـ، وـبـاعـثـ الرـمـيمـ، وـمـحـيـ الـأـمـمـ؛ فـإـنـاـ نـؤـمـنـ بـقـدـرـكـ: خـيـرـهـ وـشـرـهـ، وـنـطـوـيـ غـيـثـكـ عـلـىـ غـرـهـ، وـلـاـ نـتـعـرـضـ لـنـشـرـهـ حـتـىـ تـأـذـنـ بـنـشـرـهـ...، تـبـارـكـتـ وـتـعـالـيـتـ، وـأـمـتـ الـحـيـ وـأـحـيـيـتـ الـمـيـتـ؛ لـاـ هـادـيـ لـمـنـ أـضـلـلـتـ وـلـاـ مـضـلـ لـمـنـ

هديت، فاكفنا فيمن كفيت ، وتولنا فيمن توليت، انك تقضي ولا يقضى عليك، ونقرأ:(أَلمْ  
ترَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنِ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبُحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً)<sup>(1)</sup>.

بدأ ابن أبي الخصال خطبته بحمد الله وشكره ، فهو القادر على كشف السوء ،المجيد  
لدعاء المضطر إذا دعاه، ويعوذ من سخطه برضاه، يستغفره من ذنبه، ثم يضمن الخطبة  
الآيات القرآنية التي تدل على مدى بلاغة الرسالة وقوة ألفاظها ومعانيها، لأنها جاءت في  
حالة خطيرة وطارئة وهي انحباس المطر حتى أجدبت الأرض، فأصبحت قاحلة فقرة بعد  
أن كانت مخضرة، وقد أصبح الأغنياء يتمنون أن لا ينشأ الله مزنه ولا تسح، وأصبح  
صاع البر عند خازنه يعدل صاع الدر ، وقد خفت الاذواذ وقل الطعام؛ نتيجة قلة  
الأمطار وجدب الأرض، حتى أيقن الناس أن لا مجال لنزول المطر ، وهمه على تلك  
الحالة اليأسة من عدم نزول المطر ، جاء فرج الله عز وجل، ونعمته على عباده الأبرار  
الصادقين المؤمنين بقدرة الله على كل شيء، فأنشأ الله العنان وقال له كن فكان، فتبدل  
حال الأرض من القفر إلى النماء والاخضرار من جديد، فأصبح الخير الوفير.

يطلب ابن أبي الخصال من المؤمنين أن يسبحوا باسم ربهم العظيم الذي قذف  
بالحق على الباطل، وأعاد الحلي إلى العاطل، فأصبحت بروء الظواهر مخضرة، وתغور  
الازاهر مفترقة، وأصبحت النفوس مستبشرة والدنيا ضاحكة، وأصبحت أغصان الشجر  
مائلة والنيل لأهل الثناء والخيرات، والويل لأهل الأقوال المنكرات، فأعاد الغيث للأرض  
نضارتها فالنرجس ترنو الروابي بأحداقه، ويود المسك نفحة انتشاقه، ويحسد السنديس  
حضره ساقه، وأعاد الغيث للروض والبساتين رونقهما، واختتم ابن أبي الخصال خطبته  
بشكراً لله تعالى على نعمه الوفيرة ، من بعثه للغيث بعد انحباسه، فأحيا به الأرض بعد  
موتها فأصبحت مخضرة.

### -3 لسان الدين ابن الخطيب :-

كان القرن الثامن الهجري في مملكة غرنطة بالنسبة لدولة التفكير والأدب، عصر  
النضج والازدهار، وفيه ظهرت طائفة من أكابر المفكرين والكتاب والشعراء، الذين

---

(1) الفلاشندي، صبح الأعشى، ج 14، ص 263 - 266

أعادوا روعة الأدب الأندلسي في أعظم عصوره، أمثال (ابن خاتمة شاعر المريّة، والوزير ابن الحكيم الخمي، والوزير ابن الجياب والوزير ابن الخطيب، والوزير ابن زمرك<sup>(1)</sup> ، تلميذ ابن الخطيب والمدبر الرئيسي لمحنة ابن الخطيب وقتلها بعد أن طمع في الوزارة، فأخذ يدبر المكائد من أجل إيقاع الخلاف بين ابن الخطيب والغني بـالله، وقد استطاع بمساعدة القاضي النباهي من إبعاد ابن الخطيب وهربه إلى المغرب، بعد أن كان ابن الخطيب وراء كل ما وصل إليه القاضي من مناصب في الدول<sup>(2)</sup>، زخرت دولة التفكير والأدب بآثارهم التي انتهى إليها منها الكثير، وخصوصاً مؤلفات ابن الخطيب، التي جاءت منوعة بين الشعر والنثر والفلسفة والسياسة والطب والتاريخ<sup>(3)</sup>.

كان القرن الثامن الهجري الذي عاش فيه ابن الخطيب، وتوفي بآخره سنة (776هـ) ، في مرحلة اشتد فيها الصراع بين الشرق والغرب وال المسيحية والإسلام، وبدأ أن كفة الغرب قد رجحت، فلم يمض إلا وقت قليل حتى سقطت مملكة غرناطة آخر معاقل بني الأحمر في يد النصارى سنة (897هـ)<sup>(4)</sup>، فكان خروج آخر مسلم من الأندلس بعد أن سلمها ملكها عبد الله الصغير للأسبان، بعد أن دام حكم العرب والمسلمين لهذه الجزيرة مدة ثمانية قرون.

### 1-6-3 أدب ابن الخطيب:

كان ابن الخطيب كما مر سابقاً صاحباًً موهبة متعددة الجوانب، فكان يلم بكل نواحي العلم في عصره، حتى استحق أن يكون أفضل أديب في القرن الثامن هجري في

(1) ابن الخطيب لسان الدين ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، حققه وقدم له محمد عبدالله عنان، دار المعارف بمصر ، المجلد الأول ، ص 30 - 31.

(2) بو طالب عبدالهادي ، وزير غرناطة لسان الدين محمد بن الخطيب السلماني ، نشر دار الكتاب ، الدار البيضاء ، الطبعة الثانية ت (1960) ، ص 227-228.

(3) المصدر نفسه، ج 2، ص 31.

(4) ابن الخطيب ، منوّعات ابن الخطيب ، تحقيق الحسن بن محمد السائح ، (1398هـ - 1978م) المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مديرية الشؤون الإسلامية، ص 5.

الأندلس والمغرب على الإطلاق، حيث كان من أعظم كتاب عصره وشعرائه ومن شعره يرثي سلطانه أبي الحسن قوله<sup>(1)</sup>:

قامت مقام غيانه أخباره	إن بان منزله وشطت داره
هذا تراه وهذه آثاره	قسم زمانك عبرة أو غيره

وسوف نختصر الحديث في هذه الدراسة على جزئية بسيطة من ثقافة وحياة الرجل الأدبية، وهي موهبة النثر والكتابة، فقد صدر عنه العديد من المكاتب والرسائل التي تتم عن موهبة وعcreية لم تتوفر لأي شخص غيره، حتى استحق أن يكون أفضل كتاب عصره. فقد جاء النثر عنده متوج بين الكتابة السلطانية أو الديوانية والكتابة الأخوية، حيث طغت الكتابة السلطانية على كتاباته الأخرى، نتيجة طبيعة عمله في الوزارة لابن الأحمر ملك غرناطة. وسنركز في هذه الدراسة على جانب النثر عنده وسندرس نماذج من نثره من المكاتب الديوانية (السلطانية) أو الأخوية، وسنعرض لذكر أهم مميزات الكتابة عند ابن الخطيب ، وسنركز على المكاتب الواردة في موسوعة صبح الأعشى للقلقشندى.

وانتهى إلينا من رسائل ابن الخطيب السياسية العدد الجم ، وجمع ابن الخطيب منها في كتابه (ريحانة الكتاب ونجمة المنتاب) طائفة كبيرة يتعلّق بعضها بوصف الواقع الحربي<sup>(2)</sup> والعديد من الرسائل الأخرى التي وجهها على لسان الملك إلى الملوك والأمراء سواء في المغرب أو غيره من البلدان، وقد أوردها القلقشندى في موسوعته (صبح الأعشى) ، وسنعرض مقتطفات من هذه الرسائل إن شاء الله ، لنسلط الضوء على عcreيته وموهبة ابن الخطيب الذي كان معجزة عصره، ومن هذه الرسائل السلطانية، ما كتب به عن سلطانه ابن الأحمر إلى سلطان أبي عنان بن أبي الحسن المريني صاحب فاس عند موت الطاغية ملك قشتالة من إقليم إشبيلية ، وطليطلة ، وقرطبة وما معها بعد نزوله على جبل الفتح من مملكة المسلمين بالأندلس لمحاربة المسلمين فيه، ورحيل قومه بعد موته به:- " أما بعد حمد الله مطلع أنوار الصنائع المجيبة متألقة الغرر ، ومنشىء سحائب

---

(1) ابن تغري بردى، جمال الدين أبي المحاسن يوسف ، المتوفى سنة (874هـ)، الدليل الشافعي على المنهل الصافي، تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية بالقاهرة، (1998م)، ج2، ص641-642.

(2) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص59.

الأطاف، الكريمة الأوصاف ، هامية الدرر ، الكريم الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وما أمره إلاّ واحدة كلمح البصر؛ حجب كامن الطافه عن قوى الفطن ومدارك الفطر ، فما (يعلم جنود ربك إلاّ هو وما هي إلاّ ذكرى للبشر) .

والصلة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ذي المعجزات الباهرة والآيات الكبر، الذي بجاهه الحسين نمتع عند استشعار الحذر، وبنور هداه نستضيء عند التباس الورد والصدر، فتحصل على الخير العاجل والمنتظر؛ والرضا عن الله وأصحابه الكرام الآخر ، الذين جنوا من أفنان العبر في الله ثمار الظفر؛ وفازوا من انجاز الوعد بأقصى الوطэр، وانتظموا في سلك الملة الرفيعة انتظام الدرر ، والداعاء لمقامكم الأعلى باتصال المسرات وتواتي البشر ، والسعـد الذي تجري بأحكامه النافذة تصاريـف القدر... فإن كتبنا إليـكم - كتب الله لكم من حظوظ فضـله وإحسـانـه أجـزل الأقـسام ، وعرفـكم عـوارـف نـعـمة الثـرـة وآلـهـ الجـسـام وعرفـكم من أخـبارـ الفـتحـ الـهـنـيـ المـدـفعـ وإنـبـائـهـ كلـ شـاهـدـ بـرـحـمـتـهـ واعـتـائـهـ فإـناـ كـتـبـناـ إـلـيـكمـ نـحـقـقـ لـدـيـكمـ الـبـشـرـىـ الـتـىـ بـمـثـلـهـ تـنـضـىـ الرـكـابـ، وـيـخـاضـ الـعـبـابـ وـنـعـرـضـ عـلـيـكـمـ ثـمـرـةـ سـعـدـكـ الـجـدـيدـ الـأـثـوـابـ؛ـ المـفـتـحـ لـلـأـبـوـابـ عـلـمـاـ بـمـاـ عـنـدـكـ مـنـ فـضـلـ الـأـخـلـاقـ ،ـ وـكـرـمـ الـأـعـرـاقـ،ـ وـأـصـالـةـ الـأـحـسـابـ وـالـمـعـرـفـةـ بـمـوـاـقـعـ نـعـمـ اللهـ الـتـىـ لـاـ تـجـرـيـ لـخـلـقـهـ عـلـىـ حـسـابـ...ـ وـبـيـنـمـاـ نـحـنـ نـخـوـضـ مـنـ الشـفـقـةـ عـلـىـ ذـلـكـ الـمـعـقـلـ الـعـزـيزـ عـلـىـ الـإـسـلـامـ لـجـةـ مـتـرـامـيـةـ الـمـعـاطـبـ،ـ وـنـقـتـعـ صـعـبـاـ لـاـلـيـلـيـقـ بـالـرـاكـبـ؛ـ وـلـاـ التـعـلـقـ بـأـسـبـابـكـ فـيـ أـنـوـاءـ تـلـكـ الـغـيـاـهـ،ـ وـمـاـ خـلـصـ إـلـىـ هـذـهـ الـبـلـادـ مـنـ مـوـاهـبـكـ الـهـامـيـةـ الـمـوـاـكـبـ...ـ إـذـ تـجـلـىـ نـورـ الـفـرـجـ مـنـ خـلـالـ تـلـكـ الـظـلـمـةـ،ـ وـهـمـتـ سـحـائـبـ الـرـحـمـةـ وـالـنـعـمـةـ عـلـىـ هـذـهـ الـأـمـةـ؛ـ وـرـمـ اللهـ الـعـدـوـ بـجـيـشـ مـنـ جـيـوشـ قـدـرـتـهـ أـغـنـىـ عـنـ الـعـدـيدـ وـالـعـدـةـ...ـ وـاـهـلـكـ الـطـاغـيـةـ حـتـفـ اـنـفـهـ،ـ وـقـطـعـ بـهـ عـنـ أـمـلـهـ فـاطـعـ حـتـقـهـ،ـ وـغـالـتـهـ أـيـدـيـ الـمـنـونـ فـيـ غـيـلـةـ،ـ وـأـنـتـهـىـ إـلـىـ حـدـودـ الـقـوـاطـعـ الـقـوـيـةـ وـالـأـشـعـةـ الـمـرـيـخـيـةـ نـصـيرـ دـلـيـلـهـ؛ـ فـشـفـىـ اللهـ مـنـهـ دـاءـ،ـ وـأـخـذـ اـشـدـ مـاـ كـانـ اـعـتـداـ وـاعـتـداـ؛ـ وـحـمـىـ الـجـزـيـرـةـ الـغـرـبـيـةـ وـقـدـ صـارـتـ نـهـةـ طـغـاتـهـ،ـ وـاـشـرـقـهـ بـرـيقـهـ وـهـيـ مـضـغـةـ فـيـ لـهـوـاتـهـ؛ـ سـبـحـانـهـ لـاـ مـبـدـلـ لـكـلـمـاتـهـ...ـ<sup>(1)</sup>ـ.

---

(1) الفاشقendi ، صبح الأعشى ، ج 7 ، ص 40 - 44.

بدأ ابن الخطيب رسالته بالدعاء للسلطان أبي عزان المريني ،مهنئاً ومبشراً له بهذا الأمر العظيم وهو موت الطاغية ملك قشتالة، متنمي له بلوغ الأمانى، ثم حمد الله عز وجل مجيب دعوة المضطر إذا دعاه ،وكاشف أسوء وما أمره، وصلى وسلم على سيدنا محمد ذو المعجزات الباهرة والآيات الكبيرة الذي بنوره تستضيء عند التباس الورد و الصدر، وعلى أصحابه الكرام ،ثم يبين مكان صدور الرسالة من حمراء غرناطة، ثم يوضح مضمون الرسالة بما حل بال المسلمين من ضروب الطعن والقتل على يد جيش النصارى بقيادة ملك قشتالة، ثم يبين وصول العون والمساعدة التي قدمها السلطان للMuslimين في غرناطة، ولو لا هذه المساعدة لما استطاع المسلمين في غرناطة من الظفر على الاعداء ما واسترجاع ما اغتصبوه منهم عنوة، ثم يبشره بموت الطاغية ملك قشتالة في تلك الآونة ،ويختتم الرسالة بتعريف السلطان بال بشائر بهذا النصر العظيم.

ومن نثره السلطاني كتابه إلى السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن) صاحب تلمسان، عند بعثه بطعام إلى الأندلس، شاكرا له على ذلك، ومخبرا له بفتح حصن من حصون الأندلس يسمى حصن (قبيط) وهو : -

" أما بعد حمد الله جامع الشمال بعد انصداقه وشتاته، وواصل الحبل بعد انقطاعه وابناته، سبحانه لا مبدل لكلماته ، والصلة على سيدنا ومولانا محمد رسول الصادع بآياته، المؤيد ببياناته...، فإننا كتبناه إليكم - كتب الله لكم سعداً ثابت الأركان ، وعزرا سامي المكان؛ ومجداً وثيق البناء، وصنعـاً كريماً الأثر والعيان - من حمراء غرناطة - حرسها الله.. ، فحضر بين يدينا ملقياً ما شاهده من ازيداد المشاهد بتلك الآيالة، واستبشر المعاهد بعودة ذلك الملك الرفيع الجلالـة، الشهير الأصالة؛ ووصل صحبته ما حملتم جفنه من الطعام برسم إعانة هذه البلاد الأندلسية، والإمداد الذي افتتحـم به ديوان أعمالكم السنوية... فأثثينا على قصدكم الذي الله أخلصتموه، وبهذا العمل البر خصصتموه؛ وقلنا: لا ينكر الفضل على أهله، وهذا برصد عن محله؛ فليس إعانة هذه البلاد الجهادية ببدع من مكارم جنابكم الرفيع، والاشادة فيما أسدى على الأيام حسن الصنيع؛ فقد علم الشاهد والغائب... إن فتح جيشنا حصنا من الحصون المجاورة لغربي مالقة يعرف بحصن قنبيط من الحصون الشهيرة المعروفة... فجعلنا من ذلك الطعام الذي وجهتم طعمـة حماتـه، ونفقات رجالـه

ورماته، اختيارا له في ارض المراافق من سبل الخير وجهاته... لنعمل لفي تتميمها بمقتضى  
الود العذب الموارد، الكريم الشواهد؛ والله يصل سعدكم، ويحرس مجدكم، والسلام.<sup>(1)</sup>

بدأ ابن الخطيب رسالته بالسلام، ومن ثم حمد الله عز وجل وصلى على رسوله  
الكريم، وعلى أصحابه وأنصاره وحزبه وحماته المتواصلين في ذات الله وذواته، القائمين  
بنصر دينه وقهر أعدائه، ثم يدعو للسلطان بالسعادة والعز والمجد، ثم يبين مكان صدور  
الرسالة من حمراء غرناطة، ويشير ابن الخطيب في رسالته إلى العديد ومن صفات  
السلطان من حيث حسن فضائله وشمائله بإرساله الطعام لإعانته البلاد الأندلسية، فيشكر  
فضله العظيم الذي خصصه الله تعالى، ويثنى عليه على هذا العمل الكريم، فهو لا ينكر فضله  
بمساعدة أهل الأندلس الدائمة في الجهاد في سبيل الله، ثم يوضح في الرسالة بأن الطعام  
الذي بعثه إلى الأندلس قد جعل لإطعام حماة حصن قنيطرة المجاور لغربي غرناطة، ويختتم  
الرسالة بالدعاء للسلطان بالسعادة والمجد.

ومن نثره أيضاً ما كتبه - رحمة الله - بالإمرة على الجهاد، وهي : -

" هذا ظهير كريم بلغ فيه الاختيار ، الذي عضده الاختبار ، إلى أقصى الغاية؛ وجمع  
له الوفاق ، الذي خدمه البخت والاتفاق ، والأهلية التي شهدت بها الآفاق بين نجع الرأي  
ونصر الرأية؛ وأنتجت به مقدمات الولاء نتيجة هذه الرتبة السامية العلاء والولاية  
ـ واستظهر من المعتمد به ، على قصده الكريم في سبيل الله ومذهبه، بليث من ليوث أوليائه  
شديد الوطأة على أعدائه والنكاية، وفرع من فروع الملك الأصيل معروف الأبوة والإباهة :  
للتتصح حجة النصر العزيز والفتح المبين ذي القوة المتنى محكمت الآية، وتدل بداية هذه  
الدولة الرافعية لمعالم الدين، المؤيدة في الأقوال والأفعال بمدد الروح الأمين، على شرف  
النهاية، أصدر حكمته وأبرز حكمه، وقرر حدة الماضي ورسمه ، عبد الله ، الغني بـ الله  
( محمد بن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر عضد الله كتائبه وشد عضده ، ويسر  
في الظهور على أداء الله قصدهـ لوليه المستولي على ميادين حظوظه وإيتاره ، الفائز  
بالقدح المعلى من إجلاله وإكباره؛ ظهير استتصاره ، وسيف جهاده المعد لصدق ضريبيته  
ويوم افتخاره ، ويعسوب قبائل الغزاة بأصفاقه الجهادية وأقطاره . الأمير أبي عبد الرحمن

---

(1) الفاقشندى، صبح الأعشى، ج 7، ص 45 - 47 .

ابن الأمير أبي علي، ابن السلطان أمير المسلمين أبي سعيد، ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق وصل إليه له أسباب سعده ، وأنجز للMuslimين بظاهرته إيه على الكافرين سابق وعده، ولما وفد على بابه الكريم مؤثراً على ما كان بسبيله عن جواره، ملقيا بعجلة الجهاد عصا تسياره، مفضلاً ما عند الله على رحب أوطانه وأقطاره شيمة من أسرع إلى خير الآخرة ببداره، وقبل اكتمال هلاله وإداره، ولينظر فيما لديه من القبائل الموفورة ، والجموع المؤيدة المنصورة؛ نظراً يزكي العلل، ويبلغ الأمل، ويرعى الهمم ويحسن القول وينجح العمل؛ منها على أهل الغلاء والاستحقاق مستدراً للعواائد والأرزاق، معرفاً بالغرباء الواردين من الأفاق، مطبقاً منهم الطلاق، متغماً للهفوات بحسن الأخلاق؛ مستجيداً للأسلحة والكراعي، مبادراً هيئات الصريخ بالإسراع، مسترعاً للمشورة التي يقع الحكم فيها عن حصول الإجماع، رفيقاً بمن ضعف عن طول الباع؛ محاطاً على الإسلام في مواقف الدفاع، مقدماً عند اتجاه الأطماء؛ صابراً في المضايق على القراء، مقدماً للأبطال بالاصطدام، مقابلًا نصائح أولى الخبرة بحسن الاستماع، مستعملاً في الحروب ما أجازه الشرع من وجوه الخداع؛ حتى يكون عمله وفق شهرته البعيدة المطار، وسيرته فيما أسند إليه مثلاً في الأقطار، واستقامة التدبير على يديه ذريعة إلى إرغام أنوف الكفار؛ بقوة الله وحوله وعزته وطوله<sup>(1)</sup>.

وهذا نسخة من كتاب تعين أمير على الجهاد في سبيل الله عز وجل، والإمارة هي رتبة سامية لا تكون إلا لرجل كالليث شديد الوطأة على الأعداء، معروف الأبوة والابية ثم يضمن ابن الخطيب هذا الكتاب صفات من تكون له الإمارة على المسلمين وهي، أن يكون محبًا للجهاد في سبيل الله، مفضلاً ما عند الله على رحب أوطانه وأقطاره، متحلي بالبسالة والجلالة والطهارة اللانقة بمنصب الإمارة، وبعد اكتمال هذه الصفات في هذا القائد ينصب على الولاية الجهادية، التي لا تعدل بولاية، ولا توافق عناية المعنت بها بعنابة. ومن ثم يقدم ابن الخطيب العديد من الوصايا إلى هذا القائد الذي لا بد من الأخذ بها حتى ينجح في عمله؛ ومن هذه الوصايا يجب على القائد أن ينظر فيما لديه من القبائل الموفورة ، والجموع المؤيدة المنصورة، نظراً يزكي العلل، ويبلغ الأمل، ويجب عليه أن

---

(1) الفاشندي، صبح الأعشى، ج 7، ص 12 - 14.

يحسن القول لإنجاح العمل ، ويتتبه إلى أهل الغناء والاستحقاق ، وان يجلب العوائد والأرزاق ، وان يتعرف على الغربار الواردين من الأفاق ، وان يكون رفيق بالضعف ، ويحتاط على الإسلام في مواقف الدفاع ، وان يكون في اول الجيش عند تجاه الأطماء ، وان يتحلى بالصبر في المضايق والمصائب ، وان يأخذ بنصائح أول الخبرة وان يستعمل الحيلة في الحروب من أجل تحقيق النصر .

ومن الأمثلة الأخرى نستشهد بما كتبه ابن الخطيب من رسائله إلى الروضة الشريفة عن سلطانه ابن الأحمر إلى أمير المدينة النبوية على ساكنها سيدنا محمد أفضل الصلاة والسلام

(( يعتمد المقر الأشرف الذي طاب بطبيعة نشره ، وجل بamarتها الشريفة أمره ، وقدر في الأفاق شرفه وشرف قدره وعظم بخدمة ضريح سيد ولد ادم فخره ، ... أما بعد حمد الله الذي فضل البقع بخصائصها الكريمة ومزاياها ، تفضيلا الرياض الوسيمة برياتها ، وجعل منها مثابات رحمة تضرب إليها العباد أباط مطايها ، مؤملة من الله غفران زلاتها وحط خطایها ، وخص المدينة الأمينة بضريح سيد المسلمين فأسعد منها مماتها ومحياها ، ورفع عليها . والصلاحة على سيدنا وموانا محمد رسوله الكريم ، والدعاء لمقر أصالتكم الشريفة حياها الله وبهاها ، كما شرفها بولادة الوصي الذي قدر وصايتها ، وسلامة النبي الذي أعظم موهب فخرها منه وعطایها ، بالسعادة التي تبرز أكف الأقدار على مرور الأعصار خبایها ، والعز الذي يزاحم فرق السماء وثيراها . فأنا كتبناه اليکم... من حمراء غرناطة - حرصها الله - ونعم الله يحوك حلها الجهاد ، والسيوف الحداد ، وتلبسها البلاد والعباد ، وتتنزياها . وفلول الكفر ناكصة على الأعقاب ، من بعد شد الوثاق وضرب الرقاب ، خزایها ، وبركات حرم النبي الوجیه على الله يستظلها الاسلام ويتقیاها ، وینقع الفلل من روایها .

ونفت الطارف والتلاد ، حسب ماتتصه مخاطبتنا إلى نبينا الكريم الذي شرفكم الله بخدمة لحده ، واستخلفكم على دار هجرته من بعده ...

بدا ابن الخطيب كتابه إلى أمير المدينة المنورة بالصلاحة على أفضل المسلمين ، ثم يتحدث من مكانة ومقر المدينة المنورة ( مدينة الرسول الكريم ) الأشرف عند المسلمين ، ويصف الشرف العظيم الذي قدره له الله عز وجل ، بأن جعله أمير المدينة وعظيم أمره

لخدمته ضريح سيد ولد ادم فخره ، والدعاء لمقر أصالتهم الشريفة التي شرفها الله بولادة الوصي من سلالة النبي الأكرم الذي يفتخر بها على مر الأزمان ، وعلى هذا العز الذي يعلو إلى فرق السماء وثيراها . ثم يوضح ابن الخطيب مكان صدور الكتاب من حمراء غرناطة ، وسبب هذا الكتاب بيان الفتح العظيم الذي خصها الله - عز وجل - به وهو الجهد في سبيله ، فقد استعد أهل الإسلام في غرناطة إلى الدفاع عنه في وجه النصارى ، فتزين الإسلام بالنصر العظيم الذي كان من أثره هزم أهل الكفر ، وفلول جيوشهم ناكصة على الأعقاب ، نتيجة مالاقوه من المسلمين من قوة وصلابة في الدفاع عن الأرض الإسلامية ، وكان كل هذا ببركة حرم النبي الوجيه الذي يستظل به الإسلام ، ثم يخبره بهذه الفتوح العظيمة التي تحققت للإسلام ، وكانت هذه المخاطبة إلى النبي الكريم الذي شرفه الله بخدمة لحده ، واستخلفه على دار هجرته من بعده . ثم يختتم الكتاب بالدعاء له بحسن المكافأة من الله على المشاركة والإعانة التي تناسب الشرفاء والامجاد، وأن تكون خاتمة خاتمة السعادة ، ثم يختتم بالسلام ورحمة الله وبركاته .

وقد جرت عادة الأمة من الملوك وغيرهم بكتابه الرسائل عليه صلوات الله عليه وسلم بعد وفاته بالسلام والتحيه والتسل والتشفع به إلى الله تعالى في المقاصد الدنيوية والأخروية تسبيراً إلى قربته عليه صلوات الله عليه وسلم<sup>(1)</sup> .

وكان ترسل هذه الرسائل إلى الضريح الشريف ، صحبة وفد رسمي يخصص لهذه الغاية وربما أصبحت بمجموعة من الغنائم المختارة المتفقة مع طبيعة الرسالة كالنواقيس وأشارته إلى طبيعة الصراع آنذاك ، لعرضها في موسم الحج ، حتى تتصور الأيدي المجاهدة التي هصرتها<sup>(2)</sup> ، من الأمثلة على ذلك ما كتبه ابن الخطيب وزير ابن الأحمر بالأندلس ، وصاحب ديوان إنشائه عن سلطانه يوسف بن فرج بن نصر :

أما النثر فيبدوه بتوجيه الخطاب إلى الرسول الكريم -صلوات الله عليه وسلم- مباشرة، مبتدئاً به إجلالاً وإكراماً ، فهو يبدأ رسالته التي كتبها عن أبي الحاج بقوله<sup>(3)</sup> : "إلى

(1) الفقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص 469.

(2) الهروط، عبد الحليم حسين، النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب، الطبعة الاولى، 2006 م - 1426 هـ، دار جرير للنشر والتوزيع، ص 63.

(3) الهروط، النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب، ص 64.

رسول الحق، إلی كافة الخلق، وغمام الرحمة الصادق البرق ، والحاizer في ميدان أسطفاه  
الرحمن قصب السبق ، خاتم الأنبياء ...".<sup>(1)</sup>

بعد ذلك يذكر اسم المرسل ، مقدماً له بما يصل به الحديث بقوله<sup>(2)</sup>: "المتوسل به إلى  
رضا ربه ،"يوسف ابن إسماعيل بن نصر"<sup>(3)</sup> .

ومن ثم يذكر فعل الكتابة من دون الدعاء بمعناها ، على صيغة المفرد الغائب ،  
بوصفها معدة للإلقاء بالإنابة ، فيقول<sup>(4)</sup>: "كتبته إليك يا رسول الله والدمع فاح، وخيل  
الوجد ذات جمام ، عن شوق يزداد كلما نقص الصبر، وإنكسار لا يتاح له إلا بدنو مزارك  
الجبر...".<sup>(5)</sup>

أما موضوع إصدار الرسالة فقد ذكرها مرة بعد فعل الكتابة "من حمراء غرناطة  
حرصها الله ،ومرة أخرى في نهاية الرسالة<sup>(6)</sup> ، من حضرة جزيرة الأندلس غرناطة  
سانها الله ووقفها ودفع عنها ببركتك كيد عادها"<sup>(7)</sup>.

وبعد أن يستوفي الفرض من الرسالة يختتمها بالصلوة على الرسول الكريم -صلى الله  
عليه وسلم- وحسب من دون غيره من الصحابة تارة أخرى من ذكر تاريخ كتابتها<sup>(8)</sup> ،  
والصلوة والسلام عليك يا خير من طاف وسعى ، وأجب داعياً إذا دعا ، وصلى الله على  
جميع أحزابك وآلتك ، صلاة تليق بجلالك وتحق لكمالك ، ضحيعيك وصديقيك ، وحبيبك  
ورفيقيك : خليفتك في أمتك ، وفاروقك المستخلف بعده على جلتاك ...، والسلام الكريم  
عليك وعليهم ورحمة الله وبركاته<sup>(9)</sup>.

---

(1) الفقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص471.

(2) الهروط،النشر الفني عند لسان الدين بن الخطيب،ص64..

(3) الفقشندي، صبح الأعشى، ج6،ص437.

(4) الهروط،النشر الفني عند لسان الدين بن الخطيب،ص64.

(5) الفقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص473.

(6) الهروط،النشر الفني عند لسان الدين بن الخطيب،ص64.

(7) الفقشندي، صبح الأعشى، ج6،ص476.

(8) الهروط،النشر الفني عند لسان الدين بن الخطيب،ص64.

(9) الفقشندي، صبح الأعشى، ج6،ص476.

ويركز لسان الدين في هذه الرسالة على إبراز تعلقه ، بالشريعة السمحاء ، ووصف ما نتابه من الشوق ، ويعترفه من وجد شديد لزيارة الضرير الشريف ، ثم يتلمس إلى الأماكن التي ضمت الضرير الشريف وشهدت بواكيير الدعوة الإسلامية ، بقوله<sup>(1)</sup>: " وقد مطلت الأيام بالقدوم على تربتك المقدسة باللحظة ، وودعت الآمال ودانت بخلاف الوعد ، وانصرفت الرفاق والعين بنور ضريحك ... فيالها من معاهد فاز من حياها ، ومشاهد ما أعطرك رياها ، وببلاد نيطت بها عليك التمام ، وأشرقت بنورك منها النجوم والتهام ، ... مدارس الآيات والسور ومطالع المعجزات السافرة ... مما أسعده من أفضى من حرم الله إلى حرمك ، وأصبح بعد أداء ما فرضت عن الله ضيف كرمك ، وعفر الخد في معاهدك ومعاهد أسرتك وتردد ما بين داري بعثتك وهجرتك !"<sup>(2)</sup>.

كما يركز فيها على ذكر العوائق التي حالت بينه وبين زيارة الضرير الشريف ، وهي انشغاله بجهاد العدو<sup>(3)</sup> ، بقوله : " وأنني لما عاقي عن زيارتك العوائق وأن كان شغلي عنك بك ، وعدتني الأعداء فيك عن وصل سببي بسببك ، وأصبحت ما بين بحراً تتلاطم أمواجه وعدو تتكاثف أفواجه ، ويحب الشمس عند الظهيرة عجاجة ، في طائفة من المؤمنين بك وطنوا على الصبر نفوسهم ، وجعلوا التوكل على الله وعليك لبوسهم..."<sup>(4)</sup>.

وفي هذه الرسالة يتسلل إلى الله عز وجل مستشفعاً برسوله لغياث الأمة المسلمة والأخذ بيدها، ونصرها على أعدائها، كما وينوجه إليه بإغاثته ، وإعانته ، وشفاعته يوم القيمة ، بقوله : "يا غياث الأمة ، وغمam الرحمة أرحم غربتي وانقطاعي ، وتغمد بطولك قصر باعي ، وقف على هيتك خور طباعي ..."<sup>(5)</sup>.

ويعبر لسان الدين في هذه الرسالة عن قصور وسيئاته في الخطاب أمام هيبة الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وهو المثال المناسبة العطرة ، وهو يعلق الآمال على شيء

(1) الهروط،النشر الفني عند لسان الدين بن الخطيب،ص64.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج6،ص473-474.

(3) الهروط،النشر الفني عند لسان الدين بن الخطيب،ص65.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج6،ص474.

(5) الهروط،النشر الفني عند لسان الدين بن الخطيب،ص65.

الرسول -صلى الله عليه وسلم -مبدياً ما لنس سلطانه من السلف من وشائج تربطهم بالرسول الكريم <sup>(1)</sup>، ويقول : "هذه يا رسول الله وسيلة من بعدة داره ، وشط مزاره ولم يجعل بيده أخياره ، فإن لم يكن للقبول أهلاً فانت للإعفاء والسامح أهل ،.... فلى بأنئتسابي إلى سعد عميد أنصارك مزية ، وسيلة أثيررة خفية ، وأن لم يكن لي عمل ترتضيه فلي نيه ، فلا تنساني ومن بهذه الجزيرة المفتتحة بسيف كلمتك ، وعلى يد خيار أمتك ... وبجاهك ندفع مالاً نطيق ، وبغايتك تعالج سقيم الدين فيفيق ، فلا تقردنا ولا تهملنا وناد ربك فينا : ربنا ولا تحملنا ، ووطوائف أمتك حيث كانوا عنانية منك تكفيهم ، وربك يقول لك قوله الحق "وما كان الله ليغذبهم وأنت فيهم" <sup>(2)</sup>.

ولـرسالـة النـبوـية عند لـسان الدـين دـيـبـاجـة خـاصـة فـي بـنيـتها ، فـهي تـقـوم عـلـى سـاقـين نـظـماً وـنـثـراً ، حـيث تـتـصـدر الرـسـالـة قـصـيدـة شـعـرـية مـن نـظـمـه مـكـتمـلة الـمعـنى .<sup>(3)</sup>  
جـمـع الـفـقـشـنـدـي ، الـعـدـيد مـن رـسـائـل اـبـن الـخـطـيـب فـي مـوـسـوعـتـه (صـبـح الـأـعـشـى) وـلـا  
مـجـال هـنـا لـإـيـرـاد الـمـزـيد مـن هـذـه الرـسـائـل الـدـيـوـانـيـة .

وأسلوب ابن الخطيب في الكتابة شأنه شأن كتاب عصره؛ يكثر من السجع، ويكرر الفكرة مرتين أو ثلاثة في جمل متعددة<sup>(4)</sup>. ويغلب على نثره ظاهرة الإطناب التي تقترن بظاهرة أخرى كما ذكر شوقي ضيف في كتابه (الفن ومذاهبه في النثر العربي) هي ظاهرة التصنّع لمصطلحات العلوم وخاصة العلوم اللغوية<sup>(5)</sup>. لابن الخطيب مقدرة فائقة على تخير أساليب المدح والذم، ومديحه غالباً من النوع الرفيع الذي لا يشوّبه النزل الوضيع، بل تطيعه دائماً نزعة من الاعتزاز والكرامة، ومن ذلك ما ورد في كتابه (الإحاطة)؛ وبعد فإنه لما قيض الله مني للآداب محلى سماتها، وناشر رحمها بعد مماتها وصاقل صفحاتها وقد محا محاسنها الصداً على بعد المدى، وموضع طريقتها المثلى وقد

المصدر نفسه، ص 65. (1)

(2) القاشندي، صبح الأعشى، ج6، ص475-476.

(3) الهرود، النثر الفنى عند لسان الدين بن الخطيب، ص 63.

(4) ابن الخطيب ، من واع ابن الخطيب ، ص 51.

(5) ضيف شوقي ، الفن ومذاهبه في النثر العربي،طبعة ثالثة مزيدة موسعة،دار المعارف بمصر،مكتبة الدراسات الأدبية (19)، ص 334 - 335.

أضحت طرائق قددا، والعاشي إلى ضوء نارها العلي أجد على نار هدى<sup>(1)</sup> وأما في النم  
فإن ابن الخطيب يلجاً أحياناً إلى الأساليب المضمرة والعبارات العنيفة ويطلق العنان  
لضغنه وحده ومن الأمثلة على ذلك ما قاله عن السلطان (إسماعيل) الذي انتزع الملك  
من أخيه (الغني بالله) لفترة قصيرة فقد ابن الخطيب على أثره منصبه : " كان شيطاناً  
ذميم الخلق، حرفوشأً على عرف المشارقة، متراهماً للخسائس، كثير النكر، منغمساً في  
العهن<sup>(2)</sup>". ومدرسة ابن الخطيب النثرية ، ونظراً لما تمتاز به من صعوبة في تركيب  
الجمل ذات الفوائل المتعددة، فإنّ كتاب المغاربة والأندلسين لم ينسجوا على منواله  
باستثناء بعض كتابات (ابن الأزرق<sup>(3)</sup>) وما كتبه (الفشتالي<sup>(4)</sup>)، وإن رسائله الديوانية ظلت  
ذات أثر فيما ينتج الكتاب<sup>(5)</sup> ، حيث اعتمدها القلقشندي في موسوعته (صبح الأعشى)  
أنموذجاً يحتذى به.

### 3-7 ابن عربي: <sup>(6)</sup>

صاحب المصنفات ، سيف يفري النوائب ، ويغلي لمن الخطوب الممتدة  
الدوائب، ليصرف سلم إليه خاتمة، ونسمى به طيء الكرام خاتمة. <sup>(7)</sup>

سكن دمشق مذ حلها ، ومد بسحره الزاخر محلها، وكان فيها ما به مهرعاً ، وسحابه  
مكرعاً، وجنابه محصناً ممراً ، وله أمور تحمل على محامل، وخوارق لا يجامله فيها

(1) ابن الخطيب، الإحاطة ، ج 1، ص 60.

(2) ابن الخطيب، الإحاطة ، ج 1، ص 60 - 61.

(3) أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد بن الأزرق، انظر المقربي، نفح الطيب، ج 2، ص 699.

(4) أبو فارس عبدالعزيز الفشتالي، كان كاتب أسرار الدولة المنصورية، انظر المصدر نفسه، ج 5، ص 22.

(5) ابن الخطيب ، منوعات ابن الخطيب ، ص 90 - 92 .

(6) هو محي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، الحاتمي، من ولد عبد الله بن حاتم، أخي عدي بن حاتم، الصوفي القيه المشهور الظاهري، ولد بمرسية يوم الاثنين سبع عشر رمضان سنة 560هـ، فرأى القرآن على أبي بكر بن خلف بإشبيلية بالسبعين وبكتاب الكافي ، وانتقل من مرسية لإشبيلية سنة 568هـ ، فأقام بها إلى سنة 598هـ ، ثم ارتحل إلى المشرق ودخل مصر ، وأقام بالحجاز مدة ، ودخل بغداد والموصل وببلاد الروم ، ومات بدمشق سنة 638هـ ، ودفن بسفح قاسيون ، انظر ، المقربي، نفح الطيب ، ج 2 ، ص 161 - 162 .

(7) العمري ، مسالك الأبصرار ، ج 8 ، ص 327.

مجامل، على اتضاح نفس، وإضاح في العلا إلى أن حل الرمس، ولم يمت حتى كثرة مصنفاته كثرة أمت الأقلام وأخفتها، وغطت الأيام وأحفتها. <sup>(1)</sup>

قال عنه أبو عبد الله الدبيسي: "أخذ عن مشيخة بلده، ومال إلى الأدب، وكتب لبعض الولاة، ثم حج ولم يرجع، وسمع ب تلك الديار، وروى عن السلفي بالإجازة العامة، وبرع في علم التصوف، وله فيه مصنفات، ولقيه جماعة من العلماء، وأخذوا عنه. <sup>(2)</sup>

### 3-7-1 أدب ابن عربي:

برع ابن عربي بالكتابة النثرية والشعرية، حتى وصل إلينا من نثره وشعره العديد، وقد أورد العمري في كتابه مسالك الأ بصار مقطوعات من نثره وشعره. ومنه ما حكى شيخنا الكندي عنه أنه يقول ( اللهم ! ارزقني شهوة الحب ، لا الحب ، حتى أكون منعماً أبداً ) . قال : وفي هذا يقول : <sup>(3)</sup>

وَلَمّا رأيْتُ الْحَبَّ يَعْظُمُ قَدْرَهُ  
وَمَا لِي بِهِ حَتَّى الْمَمَاتِ يُدْنِي  
تَعْشَقْتُ حَبَّ الْحَبِّ فِيهِ وَلَمْ أَفْلُ  
كَفَانِيَ الَّذِي قَدْ نَلْتُ مِنْهُ كَفَانِي

فابن عربي يطلب من الله عز وجل أن يرزقه شهوة الحب، ويشير في بيته إلى أن الحب قد عظم قدره، ومآلاته عنه سبيل، فقد تعشق الحب فيه، ولم يكتفي منه على الرغم مما ناله منه.

ومن كلامه المأثور، ودره المنظوم، قوله <sup>(4)</sup> :

يَا نَائِمًا كَمْ ذَا الرُّقَادِ  
وَأَنْتَ تَدَعَّى فَانْتَبِهُ  
كَانَ إِلَّا مَهْبِطٌ لِيَوْمٍ  
دُعَا لَوْنَمَتْ بِهِ  
لَكَ وَمَنْ تَبَّأَ  
يَرْدِي إِلَكَ مَهْمَا مَتْ بِهِ  
فَانْظَرْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ سِيرَكَ

(1) المصدر نفسه ، ص 327

(2) العمري ، مسالك الأ بصار ، ج 8 ، ص 328

(3) المصدر نفسه ، ص 330 .

(4) المصدر نفسه ، ص 332 .

يقدم ابن عربي في هذه الأبيات النصائح للناس ، بأن لا يغفلوا عن ذكر الله وعبادته، وهو الأمر الذي خلقوا من أجله ، في حين إن الغفلة لا تنفع، وإنما الذي ينفع هو النهوض والقيام بواجب الناس اتجاه ربهم.

ومن نثره أيضاً قوله :

لما انقضى ليل الشباب ولاح لي صبح المشيب  
أضربت عن خوض السفاهة بالتبلي للحبـب

نفسي أخاطب ، وإياي أعتاب ، أيها المرسل عنان شهواته ، الجائـل في ميدان لذاته ، السابق في حلبة هفوـاته ، إلى كم ذا الاغترار بالعمر القصير ؟ ، كأنك ما علمت أن إلى الله المصير ! فبادر إلى التوبة لعلك تقال ، وألق عن ظهرك أوقار الأوزار التقال ، يصح لك ما أملـت في الأعـقول ، في حضرة القبول ، فقد قال قيـوم السماوات والارض : ( وهو الذي يقبل التوبـة عن عباده ويعـفو عن السيئـات ) وأـمر به في كتابـة المـبين : ( وـتوبـوا إـلـى الله جـمـيعـاً أـيـها الـؤـمنـون ) ، ثم رـغـبـ فيـم يـحـبـ لـلـمـذـنبـين ، فـقـالـ تـعـالـى : ( إـنـ اللهـ يـحـبـ التـوابـينـ وـيـحـبـ الـمـتـطـهـرـينـ )

فيـا إـيـها النـاسـ ! اـعـلـمـوا أـنـ كـلـ منـ ظـهـرـتـ منـ حـوـبةـ ، فـإـنـ اللهـ عـلـيـهـ تـوـبـةـ ، فـمـنـ عـظـمـتـ حـوـبـتـهـ — جـلـتـ تـوـبـتـةـ ، فـتـوـبـةـ عـالـمـ الشـهـادـةـ منـ الـأـعـمـالـ ، وـتـوـبـةـ النـفـوسـ منـ الـأـمـالـ وـتـوـبـةـ الـأـرـوـاحـ منـ الـلـوـقـوفـ معـ حـضـرـاتـ الـجـمـالـ ، وـتـوـبـةـ الـأـسـرـارـ منـ مـعـاـيـنـةـ غـيـنـ الـكـمـالـ وـتـوـبـةـ أـسـرـارـ الـأـسـرـارـ مـاـ لـاـ يـنـالـ ، وـالـسـرـ الـوـاحـدـ الـجـامـعـ ، دـعـمـ روـيـةـ الـثـوـابـ الـنـافـعـ ، وـهـذـاـ بـابـ يـدـقـ وـصـفـةـ ، وـيـمـنـعـ كـشـفـهـ ، فـأـلـقـ سـمعـكـ أـيـهاـ المـغـتـرـ بـحـيـاتـهـ ! ، الـمـحـجـوبـ عـلـىـ الـحـقـيقـةـ بـمـشـاهـدـةـ صـفـاتـهـ ، وـخـذـ خـطـابـ الـحـقـ ، مـنـ حـضـرـةـ الـفـرقـ بـلـسـانـ الصـدـقـ ، فـيـاـ محلـ الـحـقـيـقـةـ بـمـشـاهـدـةـ صـفـاتـهـ ، وـخـذـ خـطـابـ الـحـقـ ، مـنـ حـضـرـةـ الـفـرقـ بـلـسـانـ الصـدـقـ ، فـيـاـ محلـ الـحـقـيـقـةـ ! عـلـيـكـ بـالـبـكـاءـ وـالـندـمـ ، وـيـاـ محلـ التـحـمـيـصـ وـالـاخـتـبارـ ! عـلـيـكـ بـالـاـفـقـارـ وـالـاعـتـذـارـ ، وـيـاـ محلـ الـاـطـلـاعـ ! عـلـيـكـ بـالـنـزـوـعـ وـالـإـقـلـاعـ ، فـشـمـرـ الـذـيلـ وـاقـطـعـ بـالـتـلـاوـةـ زـمـانـ الـلـيـلـ ، وـطـهـرـ ثـيـابـكـ قـبـلـ اـنـسـلاـخـكـ عـنـهـاـ ، وـاعـرـفـ قـدـرـ جـنـايـتـكـ وـتـبـ إـلـىـ اللهـ عـزـ وـجـلـ مـنـهـاـ ، وـإـيـاكـ وـالـخـدـيـعـةـ ، باـسـتـرـسـالـ الـطـبـيـعـةـ ، وـأـقـمـ مـيـزانـ الـعـدـلـ بـيـنـ حـجـبـكـ وـجـنـايـتـكـ ، وـكـحـلـ بـمـيـلـ الـاعـتـيـارـ عـيـنـ بـصـيرـتـكـ ، لـتـعـرـفـ قـدـرـ ظـلـامـ عـمـاـيـتـكـ ، وـاعـلـمـ أـنـكـ عـلـىـ مـاـ فـرـطـتـ فـيـ

جنب الله نادم ، وعلى ما قدمت بين يديك قادم ، وأدنى مرامي أفعالك وأقصاها في كتاب  
 ( لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها )

ذلِكَ لَالْرَّبُّ جَلِيلٌ كَثِيرُ الْأَنْيَنِ كَثِيرُ الْعَوْنَى دِيرَاعِي النَّجُومَ بِطْرَفِ عَلِيِّي مَحَا أَثْرَ الدَّمْعَ حَرَّ الْغَلِيلَ <sup>(1)</sup>	فَطَوْبِي لِمَنْ غَدَا تَائِبًا مِنِيَا تَرَاهُ إِذَا جَنَّ لِيَلَهُ قَرِيْحُ الْفَؤَادِ حَلِيفُ السَّهَا إِذَا الدَّمْعُ سَالَ عَلَى خَدَّهُ
---	--

بدا ابن عربي خطبته بتوجيه الخطاب والعتاب إلى نفسه بعد أن أنقضى الشباب ولاح  
 عنده المشيب ، ففي هذا العمر المتقدم ابتعد ابن عربي عن الخوض في السفاهة واتجه إلى  
 الله عز وجل بالتبتل من أجل المغفرة .

ثم يقدم الموعظة إلى كل من يتبع شهواته ولذاته ، والمتسابق إلى الوقوع في الهفوات  
 عليه أن يبتعد عن الاغترار بهذا العمر القصير ، فعليه استغلاله في طاعة الله عز  
 وجل ، والابتعاد عن الوقوع في الشهوات والملذات ، وإن الله يقبل توبية التائب إذا تاب .

ثم يتبع ابن عربي موعظته بتوجيهه كلامه إلى الناس عامة بقوله لكل من ظهرت عنده  
 حوبة وعظمة ، فإن الله يقبل التوبة الصادقة ، فالنوبة عالم الشهادة من الأعمال . ثم يوجه  
 خطابه إلى المغترر بحياته والمحجوب عن الحقيقة بمشاهدة صفاته ، ويطلب منه أن يأخذ  
 خطاب الحق من لسان الصدق ، وكل من قام بمعصية وابتعد عن الله ، عليه أن يعود إلى الله  
 بالنوبة الصادقة بعيدة عن الخديعة ، وعليه أن يقدم ميزان العدل بدل الظلم ، فعلى كل إنسان  
 أن يعرف قدر ظلام عماليته ، ثم يقول بإن الكتاب الخاص بكل عبد لا يغادر صغيرة ولا  
 كبيرة إلا أحصاها . فعليك يا عبد الله أن تعود إلى الله بالنوبة الصادقة من القلب ، وأن الله  
 وعد التائبين أن يبدل سيئاتهم حسنات .

ومن نثره أيضاً ما قاله من خطبة : " فلا يقع بصر إلا عليه ، ولا يخرج خارج إلا  
 منه ، ولا ينتهي قاصد إلا إليه ، فيا أولي الألباب ، أين الغيبة والحجاب <sup>(2)</sup> :

وَمِنْ عَجْبِ أَنِّي أَحْنُ إِلَيْهِمْ  
 وَأَسْأَلُ شَوْفَاقًا عَنْهُمْ، وَهُمْ مَعِي  
 وَتَبَكِيْهِمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سُوَادِهَا

(1) العمري ، مسالك الأ بصار ، ج 8 ، ص 332 - 333 .

(2) المصدر نفسه ، ص 333 - 334 .

ومنه قوله: "أيها الغافل عن مواقعة الحساب ، والمعامي عن مناقشة ما في يديه من الاكتساب ، كأنك ما قرأت ما في في الكتاب المبين : ( كفى بنا حاسبين ) ، فأعلم -  
أيقظك الله من سنة الغفلة -: أن المحاسبة في هذه الدار على قدر المحاسب ، فمنهم  
معاقب ، ومنهم مغالب ، ومنهم معاتب ، ومنهم محاسب ، فمحاسبة الإحساس معاقبة ،  
والأنساب مغالية ، والأرواح معاتبة ، والأسرار مخاطبة . فحاسب نفسك - يا أخي ! -  
في مهل الأنفاس ، قبل حلول الأرماس ، ومثلها كعامل خراج بين يديك من قبل أن  
ينعكس الأمر عليك ، فكاني بك في ذلك اليوم تدعوا تسمع مجيئا إلا : ( كفى بنفسك اليوم  
عليك حسيبا )

بدأ ابن عربي خطبته أن الله عز وجل عليم كل شيء في هذا العالم ، فلا يستطيع أي  
إنسان إن يقوم بأي عمل إلا بعلمه وبأمره، وينتهي إليه كل قادر، ثم يخاطب كل إنسان  
غافل عن مواقعة الحساب، والمعامي عن مناقشة كل شيء بين يديه يوم الحساب، فكل  
الاكتساب من الله عز وجل بما أمر الله.

ثم يبين في خطبته أنواع المحاسبة في هذه الدار (الدنيا) فالمحاسبة تكون على قدر  
المحاسب، فمنهم معاقب، ومنهم معاتب، ومنهم محاسب، فيطلب من كل شخص أن يحاسب  
نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب في القبر، فحساب القبر أشد وأعظم، ثم يعطيه من حساب  
الآخر، هذا الحساب الذي يكون بين يدي الحق يوم تدعوا فلا تسمع من يجيبك.

ومن نثره أيضا، قوله: "أما بعد - يا أخي ! - عصمنا الله وإياك من نتائج الغفلات، وآمنا  
من روعة القيمة ، فإن الله - سبحانه - لما أوضح المنهج إليه ، وبين الأمر المزلف  
لديه ، حمل من اصطفاه من عباده عليه ، وعدل بمن حرمة إلى أحد جانبيه ، فهوئاً لمن  
حمل على الجادة ، وبؤساً لعبد قطعت عنه العناية الربانية والمادة . ونحن - يا أخي ! -  
من هذا كله على بصيرة ، مع قبح سيرة وسريرة ، فتدارك أخاك بدعاوة ترقية إلى موقف  
الإخلاص ، وتلحقه بأهل الصدق والإخلاص ، قبل أن يفجأه الموت ، وينقلب بحسرة  
الفوت ، فقد طال الامل ، وسأء العمل ، وترادف الكسل ، ولم تعظنا بمرورها الأيام ، ولا

زجرتنا حوادث العلل والآلام ، فأسئلته سبحانه أن يطهر الذوات بأحمد الصفات ،  
والسلام<sup>(1)</sup>

بدأ ابن عربي موعظته بالدعاء وبالعصمة له ولكل مؤمن من نتائج الوقوع بالغفلات عن أوامر الله عز وجل ، والأمان من روعة البيان، ثم يبين للناس منهج الله الواضح، الذي حمل من اصطفاه من عباده عليه ، وعدل بمن حرمه إلى أحد جانبيه، ثم يقدم التهنئة لمن حمل على الجادة ، والبؤس والشقاء والعذاب لمن قطكعت عنه العناية الربانية، ثم يطلب من أخيه في الإسلام أن يدعو إلى أخيه المسلم بدعة إلى الإسلام ، وتلحقه بأهل الصدق والإخلاص، قبل أن يدركه الموت فلم يعد ينفعه شيء ، وفي نهاية الخطبة يسأل الله سبحانه أن يطهر الذوات بأحمد الصفات.

ومن نثره أيضا، قوله: "أما بعد- يا أخي! - فالقدر سابق، والقضاء لاحق، ولا يغرنك ما أنت عليه من سني الأعمال، وزكي الأحوال، ما دام رسنك مرخى، وحبلك على غاربك ملقى، فإن الخاتمة أمراك، ولا تدري بما يرسل الحق إليك أيامك، فخذ الكرامة على أدب، وأعرض عن الاشتغال بها وجد في الطلب، فكم مرید كانت حظ عمله لما كانت غاية أمله ومن الله نسأل عصمة الأحوال ، في السابقة والمال ، والسلام.<sup>(2)</sup>

بدأ ابن عربي خطبته بالتركيز على قدر الإنسان ، وقضاء الله الذي يحكم على كل كائن حي بالموت، ثم يطلب من أخيه المسلم عدم الاغترار بما هو عليه من أزكي الأعمال والأحوال، ما دام الإنسان حر في أعماله وأقواله، ثم تخبره بإن الخاتمة أمراك مهما طال عمرك، ثم يقدم له عدة نصائح منها عليه أن يأخذ الكرامة أدب، وأن يعرض عن الاشتغال بها، وأن يجد في الطلب، ثم يختتم خطبته بسؤال الله عصمة الأحوال في السابقة والمال .

ومن نثره أيضا، قوله : " إن الحق - سبحانه - جعل الطريق إلى معرفته أسهل الطرق وأوضحها، فقال: "ليس كمثله شيء ، وهو أصل المعرفة كلها.<sup>(3)</sup>

يركز ابن عربي في موعظته على أن الله عز وجل جعل أسهل الطرق وأوضحها الطريق إلى معرفته باتباع أوامره ، والابتعاد عن نواهيه وان الله اصل كل المعرفة.

---

(1) العمري ، مسالك الأ بصار ، ج 8 ، ص 334 .

(2) المصدر نفسه ، ص 334 .

(3) المصدر نفسه ، ص 335 .

## الفصل الرابع

### النثر الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي

كان النثر في الأندلس يقتفي أثر قرينه في المشرق وينسج على منواله ويسير على نهجه ويجري في مضماره، وكان في الأندلس عدد كبير من الكتاب الذين رقّ أسلوبهم ورافق نهجهم وأمسكوا من الكتابة بخير زمام وملكوها منها ناحية الإتقان وضروب البيان<sup>(1)</sup>.

قال الأندلسيون في كل فنون النثر التي عرفها العرب وزادوا عليها ما اقتضته ظروف حياتهم الخاصة، وهو وليد أمزاجتهم وثقافتهم وأوضاع مجتمعهم وشاعريةتهم؛ لأن أكثر أدباء الأندلس كانوا يجمعون بين النثر والشعر<sup>(2)</sup>، ومن أشهر هؤلاء الكتاب الذين يجمعون بين النثر والشعر ذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر "ابن برد"<sup>(3)</sup>، وأبا المغيرة بن حزم<sup>(4)</sup>، وأبن شهيد، وأبن حزم، وأبن زيدون، وأبن أبي الخصال، وأبن الخطيب.

ولم تقتصر الكتابة النثرية على الدواوين والرسائل، قصيرة كانت أو طويلة، سجعه أو مرسلة، في العشق والغرام، أو في الذم والمدح، بل شمل كل شيء في الاجتماع هناك،

(1) الشكعة مصطفى ، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملائين بيروت، الطبعة الثالثة(1975م) ، ص569.

(2) عتيق عبد العزيز ، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت(1976م) ، ص437.

(3) هو من أشهر كتاب الأندلس، ويلقب بأبي حفص بن برد، وكان هناك أبناً برد أحدهما بلقب بالأكبر، والثاني بالأصغر، لم يعرف من أخباره (الأصغر) إلا القليل، أما ابن برد الأكبر هذا فقد كان كاتباً بلغاً، غُرَّي بالآدِبِ، وعلا إلى أسمى الرتب، توفي سنة (418هـ) بعد أن عاش نحو ثمانين سنة، انظر أمين أحمد ، ظهر الإسلام يبحث في الحياة العقلية في الأندلس من فتح العرب لها إلى خروجهم منها، ويتكلم في الحركات الدينية واللغوية والنحوية، والأدبية، والفلسفية والتاريخية والفنية، ملتزمة النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج3، ص208-209.

(4) هو أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم الشاعر الكاتب، وهو ابن عم الفقيه الأديب ابن حزم المعروف، ومن أخباره (أبو المغيرة) إنه تولى الوزارة للمستنصر بالله عبد الرحمن بن هشام، وتؤكد بعض المصادر على أنه عاش في القرن الرابع وفجر القرن الخامس هجري، وقد طغت عليه شخصية ابن عمه فأغرقته في لحج من النسيان، انظر، زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، الطبعة الثانية، يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ج 1، ص218.

وكان مظهراً لتلك المدنية، والحالة العقلية والسياسية والعلمية، وكان أثره في الأدب والبلاغة كأثر الشعر؛ لاشتماله على كثير من أغراض الكتاب، كوصف المباني الضخمة والكنائس والمساجد. <sup>(1)</sup>

وكل النثر الذي كان في المشرق كان مثلاً في الأندلس، وكان متبعاً نفس التطور الذي حدث في المشرق، فأخذ الكتاب الأندلسيون يقلدون كتاب المشرق في كل شيء، فكان ما يشبه أسلوب (الجاحظ) عند بعض العلماء الذين رحلوا من المشرق إلى الأندلس؛ أمثال "صاعد بن الحسن البغدادي" فكانت كتابته أشبه ما تكون بكتابه الجاحظ من تلاعب بالمعاني، وغزاره فيها<sup>(2)</sup>.

وقدوا بديع الزمان والحريري وجروا على منوالهما، يصنعون رسائل ومقامات تشبه رسائلهم ومقاماتهم (كابن شهيد) في التوابع والزوابع، ولمّا بلغتهم صنعة (ابن العميد) ومدرسته رحبوا بها كل الترحيب؛ لأنها وافقت أذواقهم، حتّى التزموها في رسائلهم الخاصة، وكتبهم المؤلفة<sup>(3)</sup>.

وكتبوا في المناظرات الخيالية، كالمناظرة بين السيف والقلم (لابن برد الأصغر)، كما كتبوا في الدعوات والإرشاد والتوصيل إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وفي شعائر الحج، وبرعوا في فن المقامات<sup>(4)</sup>.

#### 4-1 فنون النثر الأندلسي:

تعددت فنون النثر الأندلسي حيث شمل الرسائل والخطابة والتوقيعات والمقامات والحكم والوصايا، حيث قلدوا فيها كتاب المشرق، ونسجوا على منوالها.

(1) ضيف أحمد ، بلاغة العرب في الأندلس، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة-تونس، الطبعة الثانية (1998م)، ص41-42.

(2) أمين أحمد ، ظهر الإسلام، ج3، ص205-206.

(3) المصدر نفسه، ص206.

(4) ضيف أحمد ، بلاغة العرب في الأندلس، ص42-43.

وسوف نختصر الحديث في هذه الدراسة على المكاتبات بشقيها الرسمية والأخوية أو الرسائل الرسمية والأخوية، بالإضافة إلى دراسة العهود في كتابي *صبح الأعشى*، *القلقشندى*، *ونهاية الأرب*، *للنويرى*) ؛ لأنها أشعبت بالدراسة، ولا نريد التكرار، إلا إن كتابي (*صبح الأعشى*، *ونهاية الأرب*) لم يأخذ حقهما بالدراسة لهذا السبب قصرت الدراسة في هذه الموضوعات على الكتابين المذكورين.

ويرى الباحث قبل الخوض في موضوعات المكاتبات الرسمية والأخوية أن يتعرض ولو بشيء بسيط للحديث عن الكتابة في الأندلس، وأنواع كتاب الرسائل وأهمية الكاتب عند السلطان أو الملك.

#### ١-١-٤ الرسائل

##### تعريف الرسالة:

لغة: ما يرسل والخطاب كتاب يشتمل على قليل من المسائل، تكون في موضوع واحد، وبحث مبتكر يقدمه الطالب الجامعي لنيل شهادة عاليه.<sup>(١)</sup>

##### اصطلاحاً:

الرسالة قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعاً لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه، وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سبباً، وقد يكون هذا الشعر من نظمه أو مما يشتهد به من شعر غيره، وتكون كتابتها بعبارة بلغة، وأسلوب حسنٍ رشيق وألفاظٍ منتقاة، ومعانٍ طريفة<sup>(٢)</sup>.

قال القلقشندى في (*صبح الأعشى*): " هي جمع رسالة والمراد فيها أمور يرتبها الكاتب: من حكاية حالٍ من عدوٍ أو صيد، أو مدح وتقرير، أو مفاخرة بين شيئين، أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى، وسميت رسائل من حيث إنَّ الأديب المنشيء لها ربما

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة قام بإخراجه، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر، محمد علي النجار، أشرف على طبعه عبدالسلام هارون، المكتبة العلمية، طهران، ج١، ص344.

(٢) عنيق، الأدب العربي في الأندلس، ص448.

كتب بها إلى غيره مخبراً فيها بصورة الحال، ففتحه بما تفتح به المكاتب، ثم توسيع فيها فافتتحت بالخطب وغيرها<sup>(1)</sup>.

أمّا المقرى في حديثه عن الكتابة يقول: "هي على ضربين: أعلاهما: كاتب الرسائل وله حظ في القلوب والعيون عند أهل الأندلس، وأشرف أسمائه الكاتب، وأهل الأندلس كثير وانتقاد على صاحب هذه السمة، لا يكادون يغفلون عن عثراته، فإن كان ناقصاً عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه، والكاتب الآخر هو كاتب (الزمام)، ولا يكون نصرانياً ولا يهودياً<sup>(2)</sup>.

والرسالة عند فاييز القيسي هي "لون من ألوان النثر الفني الجميل، وضرب من ضروبها التي تنهال على القرية انهيالاً، ولا يكاد يختلف مفهوم الرسالة الفنية عند الأندلسين عن مفهومها عند المشارقة، فالأدب في عرفهم جميعاً ينقسم إلى أصلين أساسيين منظوم ومنثور، والمنثور منه الخطب والرسائل، وهما فن واحد أو فنان متقاربان يقابلان الشعر"<sup>(3)</sup>.

ويقول أيضاً إن (الأدباء الأندلسين) يطلقون لفظ رسالة على ما ينشئه الكاتب في نسق فني جميل في غرض من الأغراض، ويوجّهه إلى شخص آخر، ويشمل ذلك الجواب والخطاب، كما كانوا يطلقون لفظ رسالة أحياناً على القصائد والمقطوعات الشعرية التي ينظمها الشاعر على شكل خطاب موجه إلى صديق أو غيره في أي موضوع، كما ذكر بأن هناك ألفاظ مرادفة لمصطلح رسالة في الأدب الأندلسي كلفظ (كتاب) وهو يدل على ما يدل عليه لفظ رسالة في الأدب الأندلسي، ولفظ (صحيفة) (وقد أورد أمثلة على ذلك)<sup>(4)</sup>.

---

(1) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 14، ص 138-139.

(2) المقرى، نفح الطيب، ج 1، ص 217.

(3) القيسي ، فاييز عبد النبي فلاح ، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (1409هـ-1989م)، ص 83.

(4) المصدر نفسه ، ص 78-82.

وللكاتب مكانة مرموقة عند السلطان، لا يصل إليها أحد سواه، وقد ذكر القلقشندى أهمية مكانة الكاتب بقوله: "ليس في منزلة خدم السلطان، والمتصرفين في مهامته أحسن من كاتب الرسائل. فإنه أول داخل على الملك وآخر خارج عنه، ولا غنى له عن مفاوضته في آرائه، والإفشاء إليه بمهاماته، وتقريره من نفسه في أثناء ليله وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة وخلواته، وإطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته؛ فهو لذلك لا يثق بأحد من خاصته ثقته به، ولا يركن إلى قريب ولا نسيب ركونه إليه، ومحله منه في عائدة خدمته وأثره دولته محل قلبه الذي يؤمره في مشكل رأيه حتى يتتحقق، ويراجعه في مهم تدبیره حتى يتضح؛ ولسانه الذي يقرر بترغيبه أولياءه على الطاعة والموافقة، ويستقر بترهيبه عن المعصية والمشاققة، ويقر بأمره ونواهيه أمور سلطانه ... وعينه التي تلاحظ أحوال سلطانه ... ويده التي يبسطها بالأنعام، ويبطش بها في النقض والإبرام"<sup>(1)</sup>.

وهذه منزلة عظيمة لا تكون لشخص غير الكاتب، يتمتع بها بمرافقه السلطان حيث يكون عينه التي يرى بها وأذنه التي يسمع بها، ويده التي يبطش بها.

#### 4-1-2 الرسائل الرسمية

تعددت مجالات هذا النوع من الرسائل وأغراضه وتنوعت، فشملت كل ما يتصل بشؤون الدولة في السلم والحرب في داخل البلاد وخارجها<sup>(2)</sup>، ومع ذلك فهذا النوع من الرسائل مهما بولغ في إجادته الفنية، فإنه لا يخرج عن كونه متصلةً بحدث أو أمر عارض، وقلما تكون له صفة الدوام التي تهم الناس في كل زمان ومكان<sup>(3)</sup>، كما تتسم هذه الرسائل بالتأنيق في اختيار الكلمات وكثرة الدعاء والتحميدات والمجاملات، مع الاقتباس من القرآن والحديث الشريف، والشعر العربي<sup>(4)</sup>.

(1) القلقشندى، صبح الأعشى، ج 1، ص 101-102.

(2) العربي، سالم الشريف، دراسات في الأدب الأندلسي، دار شموع الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2003م)، ص 209.

(3) عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 449.

(4) العربي، دراسات في الأدب الأندلسي ، ص 209.

وتکاد تكون هذه الرسائل تتوفّر كلها على وحدة الموضوع، وتتجدر الإشارة إلى أن النصوص التي بين أيدينا في (صبح الأعشى، ونهاية الأرب) لا تمثل كل ما أصدرته الأندلس إلا أنها تعد أنموذجاً يقرب لنا الصورة التي كانت عليها مثل هذه المكاتب الرسمية.

#### 4-2 مجالات الرسائل الرسمية:

شملت الرسائل الرسمية عدداً من الموضوعات مثل أخذ البيعة، وتصيب العمال والوزراء والقضاة، والتهاني، والبشارات، والمجاوبة على الكتب، والشكراً.

#### 4-2-1 أخذ البيعة:

وفيها يتم وضع الكلمات في معانيها الحقيقية، وبعد عن الزخرفة والألفاظ ذات المدلولات الواسعة التي تحتمل التأويل، وتشرح في الرسالة فائدة الائتلاف والاتحاد، وتبسيط أضرار المخالفة، ثم تختتم الرسالة بشروط تصل أحياناً إلى حد التعجيز ردعأً لمن تسول له نفسه الإخلال بالبيعة المنعقدة أو التلاعب بشروطها<sup>(1)</sup>، ونستشهد هنا على رسائل أخذ البيعة بما كتبه "الطاهر الأندلسي" في أخذ البيعة على أهل دانية من الأندلس، حيث بدأت الرسالة بتحميدة واحدة؛ يقول: "الحمد لله الذي أسبغ إنعامه باطنًا وظاهرًا، وس渥 أفضاله هاملاً وهامراً، وأعجز عن وصف إحسانه ناظماً وناثراً...".<sup>(2)</sup>

ثم حمد الله - عزوجل - على نعمه، وشكره على منه؛ يقول "نحمدك سبحانك على نعمك حمد من أصبح لعل الحمد ذاخراً، ونشكره على منه ولن يعدم المزيد منه شاكراً، ونصرع إليه أن جعل حظنا من بركة الاعتصام وافر، ووجه نيتنا في الانتظام سافراً...".<sup>(3)</sup>

---

(1) العربي، دراسات في الأدب الأندلسي ، ص210-211.

(2) الفقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص298.

(3)المصدر نفسه، ص298.

ثم يتعرض للحديث عن الإمامة حيث يقول: "أَمّا بعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ جَعَلَ الْإِمَامَةَ لِلنَّاسِ عَصْمَةً، وَمَنْجَاةً مِنْ رِيبِ الالتبَاسِ وَنِعْمَةً، بِهَا تَتَمَهَّدُ عِمَارَةُ الْأَرْضِ، وَيَتَجَدَّدُ صَلَاحُ الْكُلِّ وَالبعْضِ؛ وَلَوْلَا هَا ظَهَرَ الْخَلْلُ، وَاخْتَلَطَ الْمَرْعِيُّ وَالْحَمْلُ؛ وَارْتَكَبَ الْمَآتِمُ، وَاسْتَبَحَتِ الْمَحَارِمُ؛ وَاسْتَحْلَّتِ الْمَظَالِمُ، وَانْتَقَمَ مِنِ الْمُظْلُومِ الظَّالِمُ؛ وَفَسَدَ الْإِتْلَافُ وَافْتَرَقَ النَّظَامُ، وَتَسَاوَى الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ<sup>(1)</sup>".

ثم يتعرض للحديث عن صفات رعاة أمرهم والمقصود ( الخليفة ) بأنهم يتصفون بالعدل والتواصل مع الرعية، حيث شعر الناس بفضل إمامتهم من حماية البلاد والذود عنها؛ يقول: "فاختار لأمرهم رعاة أمرهم بالعدل فعدلوا، وبالتواصل في ذات الله والتقطاع فقطعوا في ذات الله ووصلوا؛ ... ونهضوا بأعباء الكفاية والحماية واستقلوا، وألزمهم الاتفاق والانقياد وحضر عليهم الانشقاق والعناد؛ فملكو بازمه العقل قياد الأمور، وأشرفت بسيرتهم المباركة أقصاصي المعمور؛ وشاهد الناس فواضل إمامهم، وتبيّنوا من سيرتهم العادلة على محلهم في الخائف ومقامهم ...."<sup>(2)</sup>.

ويصف قيامه بالخلافة قيام الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم أجمعين - وقد خلدت الإمامة لهم إلى يوم الدين، ويصفه بالأسد الهصور من أبوه المأمون وجده المنصور؛ يقول " وقام بالإمامية مثل ما قام بها الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين، وخلد في عقبهم الإمامة إلى يوم الدين؛ وهو الأسد الهصور، ومن أبوه المأمون وجده المنصور؛ العريق في الخلافة، والحقيقة بالإمامية والإناقة؛ فجمع ما افترق، ونظم الأمور ونسق؛ ومنع الحوزة أن تطرق والملة أن تفترق أو تفرق"<sup>(3)</sup>.

ونستشهد بمثال آخر على رسائل أخذ البيعة بما كتبه (أبو المطرف بن عميرة الأندلسي) يأخذ البيعة على أهل شاطبة من الأندلس لأبي جعفر المستنصر بالله العباسي وقام بعقدها (أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود) صاحب الأندلس، حيث بدأت الرسالة بالتحميدات، ثم تحدث عن (المسودة) الذين أعادوا للأمر رونقه، وحموا حرم المسلمين،

(1) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 9، ص 299.

(2) المصدر نفسه، ص 300.

(3) المصدر نفسه، ص 300.

وأحيوا سنة ابن عمهم سيد المرسلين، فأصبحت الأمور مضبوطة والثغور محطّة،  
والسبيل آمنة<sup>(1)</sup>.

وتحدث عن وضع الرعية قبل بنى العباس، "حيث كان الناس قبلهم قد ركبوا الصُّعب والذُّلول، وامتطوا الحزن، والسُّهول، فوثقوا منهم بطاعتهم، واستخلفوهم على بيعاتهم ..." <sup>(2)</sup>.

يقول في هذه الرسالة: "لَمَّا دعا الناس بالملكة الفلانية حماها الله إلى حجّتهم القوية، وإمرتهم الهاشمية؛ مجاہد الدين، بسيف أمير المؤمنين، جمال الإسلام، مجد الأنام، تاج خواص الإمام؛ فخر ملوكه، شرف أمرائه؛ المتوكّل على الله تعالى أمير المسلمين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود، أسعد الله أيامه ... وقام لذلك متوجّداً لمقام الكريّم، مشمراً عن ساعد التّصميم ماضياً على الهول مضاء الحسام القاضب ... وجعل التوكل على الله سبحانه شريعة منيعة وذریعة معينة؛ وتقدم -أيده الله- بأخذ البيعة على نفسه وعلى أهل الملة قاطبة للقائم بأمر الله سيدنا ومولانا الخليفة الإمام المستنصر بالله أبي جعفر أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آلـهـ الخلفاء الراشدين؛ وكان له في ذلك المرام السعيد، والمقام الحميد ..." <sup>(3)</sup>.

ومن نثره قوله: وكتابي هذا إليكم وقد انفقت الكلمة في وضع رأس الإمارة على كاهله ونصل الإمامة في نصابه، وأعدنا الحق إلى أهله، أصفقنا على بيعة رضى واتفاق وطاعة لعبد الله أمير المؤمنين المتأيد بالله -أيده الله- وطهرنا المنابر من دنس تلك الدعوة استعارة، وهتفنا هتف التبشير، وقامت بها الخطباء على المنابر، وانجلت العناية على فلق الصبح، واقتلت الظلمة عن وضح الشمس، وأزاح الله غصة الشرب، وسجى الإفك، والرمز يكفيكم، والإيماء يغنيكم، ولما استوسق الأمر على منهاجه، واستتم الأمر على أدراجه، هزّنا لكم هزة التذكير ورمينا إليكم باليسير. <sup>(4)</sup>

(1) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 9، ص 304.

(2) المصدر نفسه، ص 304.

(3) المصدر نفسه ، ص 304-305.

(4) العمري، مسالك الأ بصار، ج 11، ص 247-246.

و هذه رسالة في بيعة إمارة كتبها الوزير أبو جعفر أحمد بن عباس ، للمؤيد بالله عبد الله أمير المؤمنين ، حيث وضح فيها أن الجماعة ( المسلمين ) ، قد اتفقوا على بيعة المؤيد أميرا عليهم رضا منهم وطاعة ، وقد هتف الناس بهذه البيعة هتف التباشير ، وقام الخطباء على بيعة على المنابر ، وبهذه البيعة فقد انجلت العناية على فلق الصبح ، واقلعت الظلمة التي كانت تسيطر عليهم فيما قبل ، وأزاح الله عنهم كل أنواع الذل والمهانة ، وتبدل الحال إلى الحسن و الأفضل .

#### 4-2-2 رسائل تنصيب العمال والوزراء والقضاة:

ويشتمل هذا النوع من الرسائل على ذكر من وقع عليه الاختيار لهذا المنصب أو ذاك وأهمها الثقة والأمانة، والجد والاجتهاد، ثم يطلب من أهل البلد أو الناحية المبعوث إليها التزام الطاعة له، وعدم الخلاف عليه، وقد تشمل بعض التوجيهات والتعليمات لصاحب المنصب الجديد<sup>(1)</sup>. ونستشهد على هذا النوع من الرسائل بما كتبه (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضايعي، المعروف بابن الآبار عن الأمير (أبي جميل) إلى أهل ناحية بولالية وال عليهم؛ وهي:

"... واعلموا أنا نرعاكم، كما رعى أوّلنا أوّلأكم؛ وقد عُين لموضعكم كذا وكذا فأنفذوا إلينا بعضكم معجلاً، واستشعروا إنماء الأثراء، وأطراد النصرة، حالاً ومستقبلاً، والحركة الكبرى - يمنها الله - قد شرع في أسبابها، وأتى ما يؤتى بمشيئة الله الفتح القريب من بابها، ولا غنى بما يدار في ذلك عن فلان وقد خوطب بالوصول، ووجه إليكم فلان واليَا عليكم، وثاوياً لدیکم وهو من خبرت كفایته، وارتضيت لجبر أحوالكم سياسته، وشكراً هنا فألوثرتم به هنالكم؛ وقد فوض إليکم من نظر لخاصتکم وجمهورکم، وقلد بما يستقل أتم الاستقلال من تدبير أمورکم؛ وأمضى معه من الأجناد طائفة يحسنون الدفاع والذِياد، ولا يفارقون الجد والاجتهاد؛ ووراء هذا من كريم العناية وجميل النظر، ما يقضي لكم بالفالج والظفر، ويديلكم بالأمانة الشاملة من الذعر والحدر، إن شاء الله تعالى والسلام"<sup>(2)</sup>.

(1) العربي، دراسات في الأدب الأندلسي، ص211.

(2) الفلكشندی، صبح الأعشى، ج7، ص36-37.

بدأ الكتاب بحمد الله عز وجل وبيان عظيم فضله ونيله " الحمد لله الجسيم فضله ، والعظيم نيله ، فاحمدو الله على مايسركم ، واستوزعوه شكرنا خولنا وخولكم " ثم يتحدث فيه عن رعايتهم لهم وحسن اختيار الوالي المناسب والصالح لتولي شؤون أمرهم الذي يأتي على يده النصر القريب ، ثم يتحدث عن صفات الوالي الجديد وهي الكفاية الغالية التي خيرها الخليفة فيه ، وحسن السياسة ، وقد أمضى معه مجموعه من الأجناد الذين يحسنون الدفاع والذياد ولا يفارقون الجد والاجتهد ، في العمل من أجل النصر والظفر، ويحيطكم بالامانه الشاملة من الذعر والحزن ، ثم يختتم الكتاب بالسلام والتوفيق من الله .

ونستشهد هنا أيضاً برسالة وجهها ابن الآبار إلى أهل بلد بولاية قاضٍ؛ وهي:

"... وقد علمت -وصل الله كرامتك- أنَّ الأحكام الشرعية هي ملاك الأمور ونظمها، وعليها مدار الأعمال الدينية ولها تمامها؛ وأنه لا يصلح لها إلا من تجرد عن هواه، وأكثر الحقَّ على ما سواه؛ واتبع حكم نبيه -عليه السلام- في كلِّ ما عمله ونواه، وتجمَّل بالدرأية وحمل الرواية فكانت أظهر حلاه؛ وأتسم بالعدل والاعتدال فيما وليه من ذلك أو تولاه، وكان من أطلق الحقُّ لسانه وقيدَ الورع يمناه ... وشهاد له الاختيار بالأنكafاف عن كل سابق وغائب، وعن ارتكاب الشنيات إلى السَّنَين اللاحب؛ وذلكم "فلان" أدام الله كرامته وتوفيقه ... والوصية بتنقى الله فهي التي تعصم العامل بها وتنجيه؛ فقد وصَّى بها الله من اختاره من خلقه لإقامة حقه وارتضاه، فقال تعالى: (ولقد وصينا الذين أتووا الكتابَ من قبلكم وإياكم أَن انفوا الله). فلتقوه أدام الله كرامتك بنفوس منبسطة، وقلوب مبتهجة مغبطة، وأهواه على التظاهر...<sup>(1)</sup>.

يفتح الكتاب بالحديث عن أهمية الأحكام الشرعية التي هي ملاك الأمور ونظمها، وعليها تدور الأعمال الدينية، ثم يتحدث عن صفات من يقوم بهذا العمل فعليه التجرد عن هواه، ويتبع الحق ولا شيء غير الحق، وعليه إتباع السنة النبوية الشريفة في كل أعماله، ويتجمل بدرأيه الكافية، وان يتسم بالعدل والاعتدال، وان يكون طلق اللسان بالحق، وان يشهد له بكل هذا مع الابتعاد عن ارتكاب الشنيات، ثم يذكر في نهاية الكتاب اسم الوالي الجديد الذي يتمتع بهذه الصفات .

---

(1) الفلكشندى، صبح الأعشى، ج 7، ص 304.

ومنها أيضاً ما كتب بولاية وزارة، ونستشهد هنا بما كتبه أبو المطرّف بن عميرة؛ وهو: "مكتوبنا هذا بيد فلان أدام الله علاءه، وحفظ عناته وغناءه؛ يجد به مكان العزة مكيناً، ومورد الكرامة عذباً معيناً، وسبيل الحرمة المتأكدة واضحاً مستيناً؛ ويقلد وزارتنا تقدلاً تقويض وإطلاق، ويلبس ما خلع عليه منها لبسة تمكُّن واستحقاق، وينزل من رتبتها العليا منزلة شرفها ثابت وحماها باق؛ ويتوسّع الدار المخزنية التي يسكنها بخلافة توسيفاً يملّكه إياها أصحَّ تملك، ويفرد فيها من غير تشارك؛ إن شاء الله تعالى والسلام"<sup>(1)</sup>. يشير الكاتب إلى مكانة وأهمية هذا المنصب الذي كلف بالإناطة به وهو ولاية الوزارة، لما لها من أهمية كبيرة ومميزة في الدولة الإسلامية؛ فهي رتبة علياً، وشرف ثابت لمن يتولاها.

#### 4-2-3 رسائل التهاني:

وفي هذا النوع من الرسائل تتم التهنئة من السلطان لنظيره بفتح أو نحوه، ويتسم هذا النوع عادة من الرسائل بالطول والإسهاب، مع مدح صاحبه، وإضفاء النعوت المتعددة عليه، ثم تختتم الرسالة بالتهنئة بالأمر المعنى مع الدعاء لصاحب مرة أخرى<sup>(2)</sup>. ومن الأمثلة على هذا النوع من الرسائل ما كتبه ابن الخطيب عن ابن الأحمر (الغني بالله) إلى أبي علي الناصر ابن السلطان أبي الحسن المريني بفاس، عندما أرسله والده إلى ناحية من النواحي لعمارتها وإصلاح حالها، مهنياً له بما أجراه الله على يديه من الصلاح، افتتحت الرسالة بمخاطبة الأمير بالعديد من الألقاب، والسلام الكريم، ثم يتحدث عن موضوع الرسالة وهي التهنئة على حسن الصنيع بالعمل على عمارة وإصلاح النواحي، ثم يضمن كتابه بما يكتبه له من الحب، والسؤال عن أحوال هذه النواحي، ثم يطلب منه أن يعلم بما لديه في هذه النواحي من الصنائع المتتجدة، ثم يختتم الرسالة بالدعاء له بالسعادة والحفظ؛ وهو: "الأمير الأجل، الأعز، والأسمى، الأطهر، الأظهر، الأنسى، الأسعد، الأرضى، المؤيد، الأمضى، الأفضل، الأكمل، أبو علي الناصر ابن محل أبينا الذي نعظمه ونجله، ونوجب له الحق الذي هو أهله؛ السلطان

(1) القلقشندى، صبح الأعشى، ج 7، ص 306.

(2) العربي، دراسات في الأدب الأندلسي، ص 212.

الجليل الكذا أبو الحسن ابن السلطان المؤيد ... سلام كريم، برعميم؛ تتأرج الأرجاء من طيب نفحته، ويسرق نور الود الأصيل على صفحته، يخص أخوتكم الفاضلة وإمارتكم الحافلة؛ ورحمة الله وبركاته.

... فكتبنا إليكم هذا الكتاب نهنئكم بما سناه الله لمجدكم الرفيع، من حسن الصنيع؛ ونقرّ ما عندنا من الود الكريم، والحب الصميم، ونستفهم عن أحوال أخوتكم لنكون من علمها على السنن القويم؛ وحتى لاتزال الأسباب متصلة ، والمودة جديدة مقبلة ؛ ولو لا العوائق المانعة ، والشقة البعيدة الشاسعة ، والأمواج المترامية المتدافعه ؛ لم نغب المخاطبة ، ولوصلنا المراسلة والمكاتبة ؛ ومجدكم يقبل الأعذار الصحيحة بمقتضى كماله ، ومعهود أفضاله ؛ ... والله تعالى يصلح بكم الأحوال ؛ ويسكن الأحوال، وibilgكم من فضله الآمال. وغرضنا أن تعرّفونا بما لديكم من المتزيدات، والصناعات التجددات، وبما عندكم من أحوال محلّ أبيينا وصل الله عوائد النصر لسلطانه، وتتكلّف بإعلاء أمره ، وتمهيد أوطانه . وقد كتبنا إليه صحبة هذا كتاباً غرضنا من إخوتكم الطاهرة ، أن يصل إلى حظرته العلية تحت عنايتكم ووصائكم ، والرعاية التي تليق بذاتكم ؛ ... وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم، ويحفظ ولاءكم الكريم ووئكم؛ والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته ...<sup>(1)</sup>.

ونستشهد هنا أيضاً بما كتبه أبو المطرف بن عميرة إلى المتوكل بن هود، عن نفسه، يهنهئه بوصول هدية الخليفة العباسى إليه من بغداد؛ يقول فيه:

"... وحين صدور رسول دار السلام، ومثابة أهل الإسلام؛ ومقدّع لجلاله، ومصدّع إقرار الرسالة؛ ومعه الكتاب الذي هو غريب، أنس به الدين الغريب وبعيد الدار نزل به النصر القريب، وأية بأدلتها الصادقة لتبطيل الشبهة الأفكة وسکينة من ربنا وبقية مما ترك آل نبينا تحمله الملائكة - أطمأنّت القلوب، وحصل المطلوب، ودرت أخلف الإيناس وارتّفع الخلاف بين الناس ...<sup>(2)</sup>.

(1) الفلكشندى، صبح الأعشى، ج 7، ص 56-59.

(2) المصدر نفسه، ص 98.

#### 4-2 رسائل البشارات:

وفي هذا النوع من الرسائل يتم فيه شرح الأمر الذي يبشر به، والذي يكون غالباً فتح حصن أو انتصار في معركة، أو موت عدو، حيث يورد فيها الصعوبة في فتح الحصن أو الانتصار في المعركة، مع تمجيد البطولة وذكر الأبطال في المعركة، ومن ثم يطلب فيها أن ينشر الخبر بين الناس<sup>(1)</sup>.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الرسائل ما كتبه أبو المطرّف بن عميرة عن ابن هود (الأمير أبو محمد عبدالله بن هود) في البشارة بفتح حصن؛ وهو:

"كتابنا إليكم - أطلع الله عليكم من البشائر أورها. جبيناً، وأوضحتها صبحاً مبيناً - من فلانة في يوم كذا. سلام عليكم فإني أحمد الله الذي تكفل بنصر من ينصره، ونصلى على سيدنا محمد الكريم محدثة الزاكي عنصره ... وما زلنا منذ كان النزول على هذا الحصن نتعرّف فيه من مخايل النجح، ودلائل الظفر والفتح؛ ما أعطانا فتلّج اليقين بأننا نقسم عروته، ونفرع ذرّوته، ولم يزل العزم يذلّ شمامسة، ويقلّ ناسه ... وأمّن الله من هذا المعقل الفذ في المعاقل، وقتل الضائين لامتناعهم والحسام إن شاء الله تعالى في يد القائل؛ وقد صعدت رياتنا على السور، وسعدت إدارتنا بالعزم المنصور، ويشيد الله من هذا الفتح الجليل أقصى الفتوح بعلوٍ، وأشجاها للعدو، وأدلّها على نجح عملٍ مستأنفٍ وبلغ أملٍ مرجوٍ ... وعرّقناكم بهذا الخبر الذي هو غذاء للروح، والمنبي عن فتح الفتوح: لتشكروا الله عليه شكرًا، وتوفّوه حقه إذاعةً له ونشرًا ... واكتبوا من خطابنا هذا نسخاً إلى الجهات ليأخذ منها كلُّ بحظه، وينعم القريب والبعيد بحاله معناه وجزالة لفظه؛ أعناننا الله وإياكم على شكر إحسانه الجزييل، ولا أخلٌ من لطفه العميم ونظره الجميل، بمنه والسلام"<sup>(2)</sup>.

يفتح الكتاب بالإشارة بما أطلعه الله عليهم بهذا الفتح العظيم ، ثم حمد الله عز وجل الذي تكفل بنصر من ينصره ، ثم الصلاة على النبي العربي ، ثم يتحدث في الكتاب عن كيفية فتح هذا الحصن ، والصعوبات التي واجهتهم حتى تمكنا بعون الله من فتحه ،

(1) العربي، دراسات في الأدب الأندلسي، ص213.

(2) الفلكشندی، صبح الأعشى ، ج7، ص37-38.

وإعمال السيف في الأعداء ، ورفع راية الإسلام فوقه ، ثم يطلب أن يكتب أكثر من نسخة من هذا الكتاب حتى توزع على أكثر الجهات الإسلامية حتى يعلموا بعظيم هذا الفتح ، ويختتم الكتاب بشكر الله على إحسانه الجزيلاً .

#### 4-2-5 رسائل المجاوبة على الكتب:

وفيها يتم الرد على الرسائل الواردة من الحكماء المجاورين، وتتسم هذه الرسائل عادة بالطول إلى حد الإملال، ثم ينتقل إلى وصف الكتاب الوارد وإظهار محسنه وبلامته، وما احتواه من معاني الود والإخلاص، ويختتم بالرد على الكتاب الوارد إلى السلطان<sup>(1)</sup>.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الرسائل ما كتبه أبو المطراف بن عميرة عن بعض ملوكهم في جواب كتاب ورد عليه بطااعة بلد؛ يقول فيه:

"قد وصل كتابكم - وصل الله معونتكم وكلاءتكم- تذكرون ما تقرر عندكم هنالك من أحوال تلك الجهة، وبasherتموه من أمورها؛ وأنتم عندنا بمحل الصدق، ومكان الإثمار للحق. وقد رسمنا لكم أن تثبتوا في أهل تلك الجهات كلها حميد الرأي فيهم، وحسن القبول لإنابتهم، وقصد الرفق بخاصتهم وعامتهم، وأنا قد تقبلنا أوبتهم، واغفرنا زلتهم؛ وأولئكم المتشربون بسبب الذمام، عرّفوه أنكم رغبتم في شمول الصفح عنهم، والإقالة لما كان منهم ... وإن كان أطيب لنفسهم أن يصلهم مكتوب بذلك عرفتمونا، ووجهناه إليكم، وأقيموا أنتم هنالكم أياماً خالل ما يصلكم من متلاقل الأحوال ما تطالعون به، وتخاطبون بما تعتمدونه إن شاء الله. أدام الله كرامتكم ..." <sup>(2)</sup>.

ومن الأمثلة الأخرى نستشهد بما كتبه الوزير أبو جعفر أحمد بن عباس<sup>(3)</sup>: قرأت الرقعة الكريمة التي ناولتنيها اليـد العـزيـزة وكـأنـ الـبـدرـ مدـ إـلـيـ يـداـ تـخـتـمـتـ بالـنجـومـ

(1) العربي، دراسات في الأدب الأندلسي، ص214.

(2) الفقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص110-111.

(3) الوزير الكاتب أبو جعفر احمد بن عباس وزير زهير الصقلي ملك المرية، كان حسن الكتابة، جميل الخط، مليح الخطاب، غزير الأدب، قوي المعرفة، مشاركاً في الفقه، حاضر الجواب، جماعاً للدفاتر. حتى بلغت أربعينية الف مجلد، وبلغ ماله خمسينية الف مقال جغرافية، وكان مقتله بيد باديس بن حبوس ملك غرناطة، انظر المقربي، «فتح الطيب»، ج3، ص535.

الزاهر، أو الدهر أعطاني أمانا من خطوبه الزاهرة، وعاينت وشيا منمنما وأبصرت ربطا مسهما، وطفقت التمس المجازاة وأروم المباراة، فإذا شاوي حسير، وباعي قصير، وفي ملجم ولسانى مفحى، إلاني تعاطيت مباراة أسد العرين وهو خادر، وموج البحر وهو زاخر..<sup>(1)</sup>  
وهذه رسالة كتبها الوزير أبو جعفر أحمد بن عباس ردا على رسالة قد وصلته، ويوضح فيها قيمة هذه الرقعة وأهميتها عنده ويصف صاحب الرقعة بأنه ذو يد عزيزة، وكأنه البدر الذي مد إليه يداً إمتلأ بالنجوم الزاهرة، وكأنه الدهر الذي أعطاه أمانا من خطوبه الزاهرة، ثم يصف الرقعة بأنها، وشيا منمنما، وربطا مسهما، ويقول بعد أن قرأت هذه الرقعة، التمstiت مجازة ومبرارة هذه الرقعة الكريمة، فإذا باعى قصير، وفي ملجم، ولسانى مفحى، لأنى أردت مباراة أسد العرين وموج البحر الزاخر، وهذه الصفات تدل على مدى موهبة وقدر صاحبه على الكتابة حتى أنه لا يستطيع مجاراته فيها.

ومن الأمثلة الأخرى نشهد بما كتبه الوزير الرئيس أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر<sup>(2)</sup>، كتاباً ردا على كتاب قد وصله ومنه قوله: ووافاني لك كتاب كريم، كما طرز البدر النهر، وكما بلل القطر الزهر، طوق الحمام، وألبسي ظل الغمام، وأثبتت لي فوق النجم منزله، وأراني الخطوب نائية ومحترلة، فوضعته على رأسي إجلالاً ولثمت كل سطر احتفاء واحتفالاً، وفتحته وأخذت منه للسعادة فألا.<sup>(3)</sup>

يصف الكاتب هذا الكتاب بالعديد من الصفات الجميلة، فهو كالبدر الذي يطرز بجماله النهر، وكالقطر الذي يبلل الزهر فيعطيه أجمل المناظر، وكالطوق الجميل الذي طوقه، وكالغمامنة التي أظلته من حر الشمس، وبهذا الكتاب جعلت لي منزلة عالية، وأزالت عنه المصائب، ثم يقول وضعت هذا الكتاب على رأسي إجلالاً لما فيه من كلام جميل، والتثمت كل سطر فيه لما فيه من معانٍ جميلة، وعندما فتحته فقد فتحت لي أبواب السعادة.

(1) العمري، مسالك الأ بصار، ج 11، ص 247.

(2) محمد بن احمد بن سحاق، كانت وفاته سنة 507هـ أو 508هـ ببلنسية، وكان أبوه أبو بكر من أعلام التدمير، بلغت وفاته قرطبة سنة 455هـ، وأل طاهر كانا ذوي بيت عامر وعدد واخر يفتخرون بالعروبية ويتسمون في قيس عيلان، انظر ابن بسام، الذخيرة، ق 3، م 1، ص 24.

(3) العمري، مسالك الأ بصار، ج 11، ص 248.

## 4-2-6 رسائل الشكر:

ويتم فيها إسداء الشكر على صنيع سابق للشخص الذي يتولى الحكم، وقد تكون موجهة إلى سلطان دولة أخرى قدم صنيعاً إلى أهل دولته، ويعبر في الرسالة عن جزيل شكره وامتنانه على هذا الصنيع، وقد حفل التاريخ الأندلسي بالعديد من هذه الرسائل، وخصوصاً في سنوات القحط التي مرت بها الأندلس في العصور الأخيرة من تاريخ المسلمين فيها، وقد عبر ابن الخطيب في رسالة وجهها على لسان السلطان إلى ملك المغرب عندما بعث بطعماء إلى أهل الأندلس في سنة قحط، فبعث إليه يشكره على صنيعه هذا، وسوف يتم عرض الرسالة في الحديث عن نثر ابن الخطيب في الفصل الرابع إن شاء الله.

ومن النماذج على هذا النوع من الرسائل نستشهد برسالة بعث بها أبو الميمون عن بعض أهل دولتهم إلى الناصر لدين الله أحد خلفائهم، يشكر فيها الخليفة على نعم قد أسدتها لهم، وقد بدأ الرسالة بألقاب عديدة أضفها على الخليفة، يقول منها:

"المقام الأعلى، المقدس، المكرم، الأمامي، الظاهر، الزكي، مقام الخليفة المؤيد بنصر الله، الإمام الناصر لدين الله" كلاماً الله جلالهم، وفيأ ظلالهم ... كتب عبد المقام الأعلى، والندي الذي أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان واحتوى على الفضائل واستولى، من موضع كذا حماه الله تعالى ... وردت لك بهذه الجهة انقطاع المواساة، وامتناع الألسن بالمكابدة لشطاف العيش والمقاساة؛ وإلى المقام الأعلى الأسى نفرع حين نفرع، ونذهب حين نرجو ونرهب، ونلجا فلا تؤخر طباتنا ولا ترجا ... والتضرع في إدرار ما جزر من تلك المنة، وغيض من فيض تلك النعمى؛ وينهى من رغبته في بركة تلك الأدعية، التي هي للخيرات كالأوعية؛ ما يرجوه بشفاعة تأكُّد الامتنان، و مجرد عوارض الرأفة والحنان والرب تعالى يبقى المقام الأعلى والنصر له مظاهر، والخير لديه متظاهر، والسعادة لولييه ناصر، ولعدوه قاهر ، بحول الله تعالى وقوته لأربَّ غيره، ولا خير إلا خيره؛ والسلام<sup>(1)</sup>.

---

(1) الفلاشندي ، صبح الأعشى ، ج6، ص532-533.

## 4-2-7 الرسائل الوصفية:

تبعد هذه الرسائل التي عادة ما تكون مترفة بتلك الفتوحات العسكرية والإنتصارات العظيمة التي حققتها الجيوش الأندلسية، في البلدان المفتوحة، وتقدم وصفاً كاملاً للمعركة والجيوش وشجاعة القادة والجنود فيها، كما تقدم وصفاً للمدن والحسون من مناعة الأسوار، وقوة الدفاع عنها. ومن الأمثلة على هذا النوع من الرسائل، رسالة كتبها ابن الخطيب عن سلطانه ابن الأحمر إلى عجلان سلطان مكة شرفها الله تعالى وعظمها، يخبره فيها فتحهم للعديد من المدن والحسون في الأندلس، ثم يقدم وصفاً لكل مدينة وحسن من مناعة الأسوار، وكثرة الجموع فيها، وخيرات هذه المدن والحسون التي أصبحت في يد المسلمين، ثم يصف ما كانت عليه الجيوش الإسلامية من شجاعة، عندما تهاجم هذه المدن والحسون، فتسفك دماء الأعداء؛ يقول فيها:

"... إِنَّا كَتَبْنَا لِكُمْ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ عَزِيزٌ تَحْبَبُ الْأَسْوَاءَ [يَجْنَنُهَا] السَّاتِرَةُ ، وَرَعِيَّةٌ تَجْمَعُ الْأَهْوَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ وَالْقُلُوبَ الْمُتَنَافِرَةَ - مِنْ حَمَارِيَ غَرْنَاطَةِ دَارِ الْمُلْكِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْأَنْدَلُسِ - حَرَسَهَا اللَّهُ وَوَفَرَ جَمْعَ حَامِيَّتِهِ الْمُتَاغِرَةِ - ... وَلَا زَالَتْ سَحَابَ رَحْمَةِ اللَّهِ الْحَائِطَةُ لِهَا الْغَامِرَةُ، تَظَلَّلُ جَمْعَ جَهَادِهَا الظَّافِرَةُ، وَتَجُودُ رَمْ شَهَادَهَا النَّاخِرَةُ، وَنَعَمُ اللَّهُ تَحْطُرُكَابَ الْمُزِيدِ فِي نَوَادِيهَا الْحَامِدَةِ الشَّاكِرَةِ<sup>(1)</sup> ...".

وبعد مقدمة طويلة تحدث فيها عن أهمية الجهاد في الأندلس، وكيف يتم تعليم الأطفال على الجهاد، وتعلم القرآن، وشرح له وضع الإسلام في تلك البلاد، ومن ثم يصل إلى الحديث عن فتح المدن والحسون في تلك البلاد؛ حيث يقول:

فَفَتَحْنَا مَدِينَةَ (بِرْغَةَ) الْفَاصِلَةَ كَانَتْ بَيْنَ الْبَلَادِ الْمُسْلِمَةِ، وَالشَّجَاعَةِ الْمُعْتَرَضَ فِي نَحْرِ الْكَلْمَةِ؛ وَتَبَعَّنَهَا بَنَاتُ كُنَّ يَرْتَضِعُنَ أَخْلَافَ دُرَّتِهَا، وَيَتَعَلَّقُنَ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ بَارِزَتِهَا. ثُمَّ نَازَلْنَا حَسْنَ (آشَ) رَكَابَ الْغَارَاتِ الْكَافِرَةِ، وَمَسْتَقَرَ الشَّوَّكَةِ الْوَافِرِ فَرَفَعَ اللَّهُ إِصْرَهُ التَّقِيلِ، وَكَانَ مِنْ عَثَرَةِ الدِّينِ فِيهِ الْمَقِيلُ.

---

(1) الفلاشندي ، صبح الأعشى ، ج 7، ص 49-50.

ثم قصدنا مدينة (الجزيرة) بنت حاضرة الكفر، وعرىن الأسود الغلب وكناس  
الظباء والعفر؛ فاستبتحناها عنوة أضرمت البلاد ناراً، ودارت بأسوارها المنيعة سواراً،  
واستأصلنا أهلها قتلاً وإسراً، وملأت الأيدي من نقاوة سبي تعددت آلاته، وموفور غنم  
شذت عن العباره أوصافه.<sup>(1)</sup>

ويتابع حديثه عن وصف الفتوحات الإسلامية للمدن والحضر، حتى يصل إلى مدينة (جيان) وشهرتها المعروفة في المعمورة، وهي مدينة غنية، ففتحتها الجيوش الإسلامية عنوة عن مقاتلاتها، ودكت أسوارها، وأضرمت النار فيها، وعقرت أشجارها؛  
يقول:

"ثم كادت الحركة إلى مدينة جيّان وشهرتها في المعمورة، وشیاع وصفها المشهور،<sup>(2)</sup> تُغنى عن بسط مالها من الأمور؛ ففتحها الله على يدينا عنوة وجعلت مقاتلتها نهباً للسيوف الرقاق، وسيبها ملكة للاسترقاء، وأهلة مبنيها البيض درية للمحاق، واستولت على جميعها أيدي الهدم والإحراء، ثم دُكَّت الأسوار، وعقرت الأشجار واستخلفت على خارجها النار ...".

وَثُمَّ يَكْمِلُ حَدِيثَهُ عَنْ هَذِهِ الْفَتْوَحِ بِفَتْحِ مَدِينَةِ (أَبَدَّة)، وَمَرْتَبَةِ (قَرْطَبَةِ) الَّتِي هِي أَهْمَّ  
الْمَدَنِ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَدَارَ النَّعْمُ الْوَافِرُ، حَتَّى كَادَ الْجَيْشُ أَنْ يَفْتَحَهَا لَوْلَا عَوَانِقُ الْأَمْطَارِ؛  
بِقُولِ:

"وَغَزَوْنَا بَعْدُهَا مِنْ دِيْنِهَا أَبْدَهَا الْكَبْرِيَّ، وَلَدَتْهَا ذَاتُ الْمَحْلِ الْأَسْرِيَّ؛ وَكَانَتْ أَسْوَهُ لَهَا فِي التَّدْمِيرِ، وَالنَّتْبِيرِ وَالْعَفَاءِ الْمَبِيرِ. ثُمَّ نَازَلَنَا مَدِينَةُ قَرْطَبَةُ وَهِيَ أُمُّ هَذِهِ الْبَلَادِ الْكَافِرَةِ، وَدَارَ النَّعْمُ الْوَافِرَةُ، وَذَاتُ الْمَحَاسِنِ السَّافِرَةُ؛ فَكَدَنَا نَسْتَبِحُ حَمَاهَا الْمَنْيَعُ، وَنَشَتَّتُ شَمْلُهَا الْجَمِيعُ، وَنَحْتَفِلُ بِفَتْحِهَا الَّذِي [هُوَ لِلَّدِينِ أَجْلٌ] صَنَعْ، لَوْلَا عَوَانِقُ أَمْطَارِ، وَأَجْلُ مَنْتَهٍ إِلَى مَقْدَارِ، فَرَحَلَنَا عَنْهَا بَعْدِ اِنْتِهَاكِ زَلْزَلِ الطَّوْدِ، وَوَعَدْنَاهَا الْعُودِ ..."<sup>(3)</sup>.

ويختتم الرسالة بالدعاء إلى السلطان، يقول:

(1) القاشندي، صبح الأعشى، ج 7 ، ص 51.

(2) المصدر نفسه، ص 51-52.

(3) المصدر نفسه، ص 52.

" وهو سبحانه يتولّكم بما تولّى به من أعزّ شعاره وعظمها، ورعى وسائله واحترمها؛ ويصل أسباب سعدكم، وينفعكم بقصدكم. والسلام الكريم ... " <sup>(1)</sup>.

ومن الأمثلة الأخرى نستشهد بما كتبه إلى المنصور بن أبي عامر يخبره بخبر السيل الذي سال فعفي آثاره وهذا أسوارها واحتمل ديارها، وقد كان ورد كتابه مستقهماً عن خبره، ومنتهى عبره.

"وردني أيده الله كتابة الكريم مستقهماً عما طاربه إليه الخبر عن السيل الحافل الذي غظمه الضرار، وقد كنت أخذنا في الإعلام ، بحوادثه العظام فإنه أذهل الأذهان ، وشغل البيان إذ أقبل يملأ السهل والجبل ، والجنوب كما اضطجعت والعيون كما هومت للنوم وهجعت ، فمن ماض قد استتبه ، وناج قد حزبه ، وفازع قد أثكله ، والبرق يجب فؤاده ، والودق ينسرب مزاده ، والكل قد استسلم للقدر ، واعتصم بالله تعالى عزوجل من وزر ، حتى أرانا الله آية إعجازه وبراهينه ، وغيب الماء لحينه ، وطلع الصباح على معالم قد غيرها ، ولم يبق إلا خبرها ، وآكام قد حدرها لا ينقضي منها عجب لنا ، ولا يسمع بمتلها في الزمان الغار ، فالحمد لله على وافي دفعه وتلاقي غوثة ونفعه لا إله إلا هو". <sup>(2)</sup>

بدأ الكاتب كتابه بالإخبار عن وصول كتابه أعزه الله، إليه مستقهماً عن هذا الخبر، ثم يبدأ بوصف هذا السيل العظيم الذي سال بمرسية، فقد أذهل الأذهان من عظمته، وشغل البيان، فقد أقبل هذا السيل العظيم على مرسيه وقد ملأ السهل والجبل من عظمته، وقد وصل مرسيه في بداية الليل عندما اضطجعت الجنوب وهو متوجه إلى العيون للنوم، فبدأ البرق يضرب والودق ينسرب، وفي هذه اللحظة قد استسلم الكل لأمر الله عزوجل، وقد اعتصم أهل مرسية بالله تعالى، حتى أجاب الله دعاء واعتصام أهل البلد، فظهرت آية الله في أن غيض الماء، وطلع الصباح، وقد غير السيل المعالم، ولم يبقى منها شيء، واحتمل ديارها، ثم تختتم الرسالة بحمد الله عزوجل على وافي دفعه وتلاقي غوثة.

(1) الفلكشندى، صبح الأعشى، ج 7 ، ص 53.

(2) العمري، مسالك الأ بصار، ج 11، ص 249-248.

#### 3-4 الرسائل الإخواتية:

وهي تلك الرسائل التي بين الأصدقاء مصورة ما يكمن في قلوبهم اتجاه بعضهم البعض من مشاعر وعواطف وهي ما يكتب به الرئيس إلى المرؤوس والمرؤوس إلى الرئيس والنظير إلى النظير<sup>(1)</sup>. وتدور هذه الرسائل بين الإخوان والأصدقاء ، ومنها أيضاً الرسائل التي يرسلها الكاتب إلى من يريد أن يخطب موته، أو يلتمس منه أمراً من الأمور<sup>(2)</sup> ، ولها موقع خطير من حيث تشتراك الكافة في الحاجة إليها. والكاتب إذا كان ماهراً، أذب معانيها، ولطّف مبانيها، وتسهل له فيها ما لا يكاد أن يتسهل في الكتب التي لها أمثلة ورسوم لا تتغير ولا تتجاوز<sup>(3)</sup>.

ولأدباء الأندلس وكتابه في الإخوانيات رسائل كثيرة أجادوا فيها واحتفلوا بأساليب متنوعة منها القصير والطويل<sup>(4)</sup>، وطرقوا فيها مواضع شتى مثل (الشفاعات والتعازي، والاعتذار والاستعطاف، والمدح والدعاء، والمداعبة، والتبيشير بمقدم صديق، وطلب الحاجة...).

#### 1-3 الشفاعات:

وهي رسائل أنشأها الأدباء والغاية منها العفو عن إخوانهم والأخذ بأيديهم والشفاعة لهم عن ذنوب ارتكبوها ، ويصدر هذا النوع من الرسائل عن ذوي الرتب، والمنازل والأقدار، الذين يتسلل بجاههم إلى نيل المطلوب ودرك الرغائب<sup>(5)</sup>.

ويحتاج الكاتب في هذا النوع من الرسائل إلى التلف، وإيادعهما من الخطاب ما يخرج به الشافع عن صورة المثقل على المشفوع إليه بما كلفه إياه، ويؤدي إلى بلوغ غرض المشفوع له ونجاح مطلبه، ويجب أن تسلك هذه الرسائل مسلك الإيجاز

(1) الفلاشندي، صبح الأعشى ، ج9، ص5.

(2) عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص454.

(3) الفلاشندي، صبح الأعشى ، ج9، ص5.

(4) عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص454.

(5) الفلاشندي، صبح الأعشى ، ج9، ص124.

والاختصار، وأن يسلك به مسلك الرّقّاع القصار المجملة، لا الكتب الطوال المفصلة؛ وأن يرجع فيما يودعه إلى قدر الشافع والمشفوع فيه<sup>(1)</sup>.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الرسائل، الرسالة التي كتبها أبو المطرّف ابن عميرة إلى بعض الفقهاء شافعاً موصيّاً، يقول فيها:

"المحلُّ الأعلى - ضاعف الله أنوار هدایته، وأبقى على الجميع آثار عنایته - مستودع الكمال، ومشروع الآمال؛ ومقدّع أرباب السؤال، ومصعد الصالح من الأعمال، وإن فلاناً من أمره كذا وكذا"<sup>(2)</sup>.

تبدأ هذه الرسالة بالدعاء إلى صاحب الأمر بالهداية والبقاء، فهو مستودع الكمال، مشروع الآمال، الناطق بالحق، المبتعد عن الباطل، ومن ثم يطلب منه ما يريد.

ونستشهد هنا برسالة أخرى لنفس الكاتب في صدر شفاعة ، يبدأ الرسالة بـ دعاء لصاحبيها بالبقاء حرماً يتحمّاه الأنام ، وعلماً تتضاعل له الأعلام ، ثم يتحدث عن صفاتـه الحسنة ، والعمل على مساعدة العباد بعبارات في غاية الروعة والجمال ، حتى يصل في نهاية الكتاب إلى ذكر الموضوع الذي يريد الشفاعة فيه ؛ يقول:

"أبقى الله المحلُّ الأعلى حرماً يتحمّاه الأنام، وعلماً تتضاعل له الأعلام؛ ولا زالت آراؤه الناجحة، تستمدّها العقول، والإفهام، ومساعيه الصالحة، يشكّرها الله والإسلام. إنَّ مجدًا سامي الكواكب بمثواه، وسارِي الفَرَّ السواكب في جدواه؛ لداعٍ إلى استلام كفَّه العالية، ولا يستنهم على وصفه الذي له حقيقة الأولية؛ وكيف لا وقد أجار من الدهر المخيف، وصار قبلة كلِّ داخلٍ تحت التكيف؟ يعيد متى أخطأها صلاة الأمل، ويرى الاجتهاد في طلبها من راحة العمل؛ وإنَّ الأمر كذا وكذا- إلى غير ذلك من أنواع الدعاء"<sup>(3)</sup>.

### 4-3-2 التعازي :

ويشمل مثل هذا النوع من التعازي؛ التعزية بالبنات، والأب، والأم، والأخ، والزوجة . والمكاتبـة بالتعزية واسعة المجال، لما تتضمنه من الإرشاد إلى الصبر،

(1) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 9، ص 124-125.

(2) المصدر نفسه، ص 153.

(3) المصدر نفسه، ص 150.

والتسليم إلى الله جلت قدرته، وتسليمة المعزى عما يسلبه بمشاركة السابقين منه، والتسليم بحسن العوض في الجزاء عنه<sup>(1)</sup>.

ويتطرق بعد ذلك إلى ذكر مناقب الميت، من أخلاق كريمة، وصفات حميدة، ويمكن القول إن التعازي، هي ذكر الصفات الحميدة والحسنة عند الميت سواء كان ذلك شرعاً أم نثراً.

وأصدق التعازي ما كان ينم عن عاطفة صادقة تجاه أهل الفقيد ، ويجب على المعزى أن يظهر الصفات الحميدة في الشخص المتوفى ، وأن يدعو الله أن يصبر أهل المتوفى على هذه المصيبة .

## 1- التعزية بالأب:

وأول أنواع التعازي التعزية بالأب ، ومن الأمثلة على هذا النوع من التعازي ما كتبه ابن أبي الخصال معزياً بوزير ، فقد بدأ ابن أبي الخصال الرسالة بالدعاء إلى المتوفى بدخول الجنة التي هي مطلب كل مؤمن صادق ، ثم يتبع رسالته بعبارات الأسف والأسى على فقدانه ، فهو عين زمانه ، وعمدة أخوانه ، ثم يختتم رسالته بالدعاء للمتوفى بالغفران ، وإن الموت هو نهاية كل حي سواء أكان من الأحياء أو الأعداء ؛ حيث يقول: "... وله في كل عنق ختم؛ في الوزير الفقيه الشهيد أبيك كان، -رحمه الله- وأكرم مثواه، وجعل الحسنى التي أعدها لأوليائه مقره ومأواه؛ فأسفت كل الأسف لفقدانه، وقد كان عين زمانه، وعمدة إخوانه؛ تغمده الله بغرانه، ونقله إلى رضوانه؛ وتلك - أعزك الله - غاية الأحياء، وسبيل الأعداء والأحياء ... وإنك بفضل الله تستد مسد، وتبليغ في كل فضيلة حضره السابق وشده، وتعذر للأيام من الجد والاعتزام ما أعدد ... جعلنا الله من المتحابين في خلله، والمتقلبين في ظلاله، وأمننا من الزمان واختلف أحواله؛ بمنه والسلام"<sup>(2)</sup>.

## 2- التعزية بالأم:

بعد فقدان الأم أصعب من فقدان الأب ، لأن الأم هي التي حملت ووضعت ، وسهرت على تربية أولادها التربية الإسلامية الصحيحة ، وفقدان الأم يرث الألم والأسى

(1)القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص80.

(2)المصدر نفسه، ج9، ص86.

والحزن ، وبسماع وفاة الأم يضم الناعي الذي كان يسمع ، ويرق القلب حزناً ، وتتهرّ  
العيون دمعاً ، ويتصدّع القلب ، وتنتعّب النفوس وتشعر باليأس ، ومن الأمثلة على ذلك

نستشهد بما كتبه أبو محمد بن عبد البر المغربي<sup>(1)</sup> : يقول:

"مَا ماتَ مَنْ أَنْتَ بَعْدَهُ خَلَفٌ      وَالْكُلُّ فِي الْبَعْضِ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ"

"... فِيَا أَسْفِي لِخُطْبٍ ضُعْضَعَ رَكْنَ الْجَدِّ وَكَانَ وَثِيقَاً، وَصَوْحَ رَوْضَ الْفَضْلِ وَكَانَ وَرِيقَاً؛  
وَنَغْصَ حَسْنَ الصَّبْرِ وَلَمْ يَزِلْ صَدِيقَاً، وَتَرَكَ الْعَبْدُ خَلِيقَاً بِهَذَا الْقَوْلِ وَمُثْلَهُ مَعَهُ حَقِيقَاً؛ فَاهْ  
لَدِينُ وَمَرْوِعَةُ فَقْدَا فِي قَرْنِ، وَعَلَى صَوْنٍ وَعَفَافٍ أَدْرَجا فِي كَفْنِ، وَحَصَانٌ رَزَانُ لَا  
تَعْرِفُ بِوَصْمَةٍ وَلَا تَزَنُ؛ لَقَدْ أَصْمَّ بِهَا النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعُ، وَأَرْقَ مَا شَاءَ الْفَؤَادُ وَأَرَاقَ  
الْمَدْمَعُ؛ وَلَمْ يَبْقَ قَلْبًا لِلصَّبْرِ إِلَّا صَدَعَهُ، وَلَا أَنْفًا لِلْسُّلُوْنِ إِلَّا جَدَعَهُ؛ وَلَا بَابًا لِلتَّعْزِيْزِ إِلَّا  
أَرْتَجَهُ... وَلَا عَدَاكِمَ فِي صَرْوَفِ الْمَنَايَا الْمُخَيْفَةِ سَلَمُ؛ لَكِنَّ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ تَعْمَّ الْحَرْقَةُ،  
وَتَسْتَولِي عَلَى الْوَقْتِ الْفَرْقَةَ<sup>(2)</sup>.

### 3- التعزية بالبنت:

تَعْدُ الْبَنْتُ فَلَذَةُ الْكَبْدِ ، وَأَنْيَسَةُ الرُّوحِ ، الْبَارَةُ بِوَالِيْهَا ، الْحُنُونَةُ عَلَيْهِمْ ، الْقَائِمَةُ  
عَلَى رَاحْتِهِمْ قَدْرُ الْمُسْتَطَاعِ ، الَّتِي تَكُونُ عَتْقَاً لِوَالِدَاهَا مِنَ النَّارِ إِذَا أَحْسَنَ تَرْبِيَتِهَا ،  
وَالْمَعْزِيُّ بِالْبَنْتِ يَدْعُو فِي رِسَالَتِهِ إِلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ عَلَى هَذَا الْمَصَابِ الْجَلِيلِ ، وَالْدَّعَاءُ  
إِلَى الْبَنْتِ الْمَتَوْفِيَ بِالرَّحْمَةِ وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ وَرِيحَانَهَا ، وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى التَّعْزِيَّةِ بِالْبَنْتِ مَا  
كَتَبَهُ ابْنُ أَبِي الْخَصَالِ مَعْزِيًّا؛ يَقُولُ: "الشِّيخُ فَلَانُ عَزَّاهُ اللَّهُ عَلَى احْتِسَابِهِ، وَجَعَلَ الثَّوَابَ  
الْمَرْتَبُ أَفْضَلَ اقْتِنَاهُ وَاِكْتِسَابِهِ. وَمَعْزِيُّهُ عَنْ فَلَذَةِ كَبْدِهِ، وَمَسَاهِمُهُ فِي أَرْقَهِ وَسَهْدِهِ ،  
وَأَلْفَاتُ فِي عَضْدِ صَبْرِهِ الْجَمِيلِ وَجَلْدِهِ؛ فَلَانُ. فَأَنِّي كِتَبْتُهُ - كِتَبَ اللَّهُ لَكُمْ خَيْرًا يَذْهَبُ  
جُزُّكُمْ، وَحَسَنُّ مَنْجَاكُمْ بِالْتَّفَدِيِّ الْجَمِيلِ وَمَنْزِعُكُمْ - عِنْدَمَا وَصَلَنِي وَفَاهُ ابْنُوكُمُ الْمَرْحُومَةُ

(1) أبو محمد عبدالله بن أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر، كان أبوه أبو عمر بن عبد البر من كبار علماء الأندلس، ونشأ ابنه أبيها، كاتباً، بارعاً، مات قبل أبيه بعد سنة 450 هـ، وله رسائل عن المعتصم افتتن بها معاصره، وكانت المعتصم بن عباس يفتقر له لولا أن توس إليه أبوه أبو عمر يوسف فنجا وما كاد ينجو، ويقال إن ابن زيدون ألب عليه المعتصم، انظر الأصفهاني العماد، خريدة القصر، وجريدة العصر، تحقيق الأستاذين عمر الدسوقي، علي عبدالعظيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة- القاهرة، ق4، ج2، ص13.

(2) الفلكشندى، صبح الأعشى، ج9، ص87-88.

نفعها الله بإيمانها، وتلقاها بروح الجنة وريحانها ... ولا يحزن لذهب من ذهب من ذوي أنسه؛ فاحمد الله عز وجل إذ رجحت ميزانك، وضمنت لك يوم المعاد جنانك؛ والله عزو جل يرزقنا احتساباً جميلاً وصبراً، ويؤنسك وقد اختار لك الصهر قبراً، ويعظم لك ثواباً جزيلاً على مصابك وأجرأ، ويعم فقيدتك بالرحمة ...<sup>(1)</sup>.

#### 4- التعزية بالأَخْ:

والأَخُ شقيق الروح ، والرفيق الصادق الدائم ، المحب للخير والداعي له ، الذي يقاسمه منامه وطعامه وشرابه ، ففي هذا النوع من الرسائل تظهر صفات الرجولة والكرم والشجاعة ، وسداد الرأي في الأخ المتوفى ، الذي لم تتجب النساء مثله ، ثم يدعو أهل الميت إلى الصبر والسلوان على ما أصابهم من ألم ، والله هو القادر أن يرفع عنهم هذا الحزن والأسى على فقدان الأخ ، ومن الأمثلة على هذا النوع من رسائل التعزية (بالأخ) نورد هذا المثال ، وهي رسالة بعثها الكاتب أبو محمد بن عبد البر معزياً فيها بوفاة (أخ)؛ يقول :

"... أَسْفَاً لِلْمَصَابِ الَّذِي عَمَّ وَغَمَّ، وَأَسْمَعَ نَعِيَهُ فَأَصْمَمْ؛ وَقَالَ لِلْفَرَحِ: كَفَّ مِنْ عَنَانِكَ، وَلِلتَّرَحِ انتَظِرْ لَأَوَانِكَ؛ بَوْفَاهَ [الْفَرَدُ] الَّذِي فِي رَأْسِهِ نُورٌ، وَسَدَادُ الْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَسَدَادُ التَّغُورِ؛ وَالْفَذُّ الَّذِي شَهَدَ الرِّجَالَ بِفَضْلِهِ؛ وَعَقْمُ النِّسَاءِ فَمَا تَجِيءُ بِمِثْلِهِ؛ أَبِي فَلَانَ صَنُوكَمْ، السَّابِقُ الَّذِي لَا يَجَارِي، وَالشَّارِقُ الَّذِي لَا يَسْارِي؛ وَالْغَيْثُ الَّذِي عَمَ الْمَنِيلَ وَالْمَسْتَيْلَ، وَاللَّيْثُ الَّذِي وَرَدَ الْفَرَاتَ زَئِيرَهُ وَالنَّيلَ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ... فَصَبِرَاً فَالْمَنُونُ غَايَةُ الْمُمْسِينَ وَالْمُصْبِحِينَ وَالنَّبَأُ الَّذِي يَعْلَمُ ذُوقًاً وَلَوْ بَعْدَ حِينَ؛ وَهُوَ تَعَالَى الْمَسْؤُلُ أَنْ يَرْقَعَ بِمَكَانِكُمْ هَذَا الْخَرْقُ الْمُتَّسِعُ، وَيَصِلَّ بِجَنَابِكُمْ ذَلِكَ الشَّمْلُ الْمَنْصَدِعُ"<sup>(2)</sup>.

ومن الأمثلة الأخرى على رسائل التعزية بالأَخْ نستشهد برسالة ابن أبي الخصال الذي بعثها معزياً، حيث حث فيها على الصبر، وجميل الاحتساب؛ يقول:

"الشيخ فلان أبقة الله يتلقى الأرزاء بحسن الصبر، وجميل الاحتساب، ويتقاصل بالتعزى مرتب الأجر، ومنتظر الثواب، معزّيه في أخيه الكريم علينا، العظيم مصابه الفادح لدينا؛ فلان؛ فإني كتبته -كتب الله لكم صبراً تجدون ذخره ، وواجب لكم عزاء تحملون يوم

(1) الفلكشندى، صبح الأعشى، ج 9، ص 85-86.

(2) المصدر نفسه، ص 88-89.

القيامة شأنه وأمره ، عندما وصل من وفاة الشيخ أبي فلان أخيكم رحمة الله تعالى ما كدر العيش ونعشه ، وجسم جرع الحمام المقطوعة وغضبه ؛ فانا الله وأنا إليه راجعون !! استسلاما لقدر وقضائه ، وأخذنا فيما يدنى ويقرب من إرضائه ؛ وما نحن إلا بنو الأموات الذين يدرجوا ، وسنخرج من الدنيا كما قبلنا خرجوا ؛ جعلنا الله جميما من ينظر لميعاده ، و يجعل التقوى خير ما أو عاه بجداه ؛ وسلك بنا نهج هدایته وطريق رشاده . وهو جل وعلا يجزل لكم على مصابكم ثوبا عمياً موفرها ، و يجعل فقیدكم بين أيديكم يوم القيمة نورا ؛ ويأقيه في دار الفردوس ملكاً كبيراً وصبورا ؛ ولو لا كذا لسرت إليكم لأعزكم شفاهها ، وأحدثكم عن ضلوع احرق هذا المصاب حشاها ؛ لكن امثال أمره المطاع ، حمل على البدار إلى ما أمر به والإسراع ؛ والله عز وجل يدين لنا بكم الإمتاع وبنمه وكرمه ، والسلام .<sup>(1)</sup>.

## 5- التعزية بالزوجة:

الزوجة رفيقة الدرب ، المقادمة له في مسؤولياته، الساهرة على خدمته ، المحافظة على بيته وأولاده ، فهي الزوجة والأم، وإن القلب ليصدع وإن العين لتدمع على فراق الزوجة الصالحة الطاهرة التي تخاف الله في زوجها وبيتها ، التي تقدم للمجتمع الجيل المسلم المثابر ، المجاهد في سبيل قيمه وإعلاء كلمة الله، فهي ترث الألم والحزن والحسرى في نفس زوجها وأولادها ، ومن رسائل التعزية بالزوجة رسالة أبي محمد بن عبد البر<sup>(2)</sup> الذي بعثها معزيًا بزوجة؛ يقول:

"... وقد نفذ القدر الذي ماله رد، ولا منه بد؛ بوفاة فلانة أحقها الله رضوانه، وأسكنها بفضله المرجو جنانه؛ فإنّا الله وإنّا إليه راجعون!! .. وعند الله نحتسبها عاقلة معدومة المثل، مفقودة الدين والعفة في هذا الجيل؛ متحلية من دعاء الفقراء، وثناء الصالحة، بالعزّة الشادخة والتحجّيل ... ولو لا أنّ التعازي مما أطّرد به العمل، وسنّة الصالحون

(1) الفلاشندي، صبح الأعشى، ج 9، ص 89.

(2) هو ذو الوزارتين الكاتب أبو محمد عبدالله بن الحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر النمري، من أهل الأدب البارع والبلاغة الرائقة، والتقدم في العلم والذكاء، عمل في بلاط المعتصم بن عباد، غير أنه نقم عليهم فأضطر إلى عزله، حتى كانت وفاته سنة 458هـ، انظر ابن خاقان، فلاذ العفيان، ج 2، ص 538.

الأول، لما سلك سبيله معكم وأنتم ممن قدر الأمور قدرها، وعلم أنَّ الحياة ولو طالت فالموت أثراً لها وإذا لم تكن من الموت بُدْ ... أن يكون الثواب جزيلاً، والجزاء حسناً جميلاً<sup>(1)</sup> ، ومن الأمثلة الأخرى على هذا النوع من الرسائل، نورد مثالاً آخر وهو ما كتبه ابن أبي الخصال؛ يقول:

"الشيخ الأجل فلان - أنس الله وحشته، وجدد على فقييده رحمته. معزٍّه عن أهله الهاكمة وسكنه؛ ومساهمه بأوجب حزن في القلوب وأسكنه . فلان : فانا كتبناه عن دموع تصوب وتتسرب ، وضلوع تخفق من وجبيها وتتضطرب ، وانس يشد منا ويتحجب ... بموت فلانة رحمة الله التي أودعت في جوانحنا من الثقل ما أودعت، ورضت أكبادنا بمحابها وصدّعها، عزَّانا الله جميعاً فيها ، وأولاها نعيمًا في الفردوس الأعلى وترفيها ، واعقّبنا من الوحشة آنسا ، وعمر بالرحمى جدثاً مباركاً ورمضاً ؛ ... وجعلنا كلاًّ من يردع عن الانحطاط إلى الدنيا نفساً، بمنه وكرمه"<sup>(2)</sup>.

ويرى الباحث أن رسائل التعزية قد جاءت على نفس الوثيرة، من ذكر مناقب الميت، والدعاء له، ونزول الصبر والسلوان على أهله، ومن ثم تختتم الرسائل بالدعاء للميت ولأهله، واحتوت الرسائل على عاطفة صادقة، تتمّ عن مدى الحزن والأسى على المصاب، ومشاركة أهله أحزانهم والتخفيف عنهم من شدة المصاب .

### 4-3-3 رسائل الاعتذار والاستعطاف:

وتتمثل في تلك الرسائل التي تدور حول الاعتذار والاستعطاف، والاعتذار يكون عن أمر معين حدث مع الشخص، والاستعطاف في الصفح عن هذا الشخص ويحتاج هذا النوع من الرسائل إلى حسن تأت: لما تشتمل عليه من إيجاب حقوق الخدمة، ومن أسلفوه من مدعي الخدم، وما يتبع هذا من التوصل والاعتذار الذي يسلُّ السخائم من القلوب، وتنزل الأوغار من الصدور، ويطلع الأنس وقد غرب، كما ينبغي على الكاتب في هذه

(1) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 9 ، ص 90-91.

(2) المصدر نفسه، ص 91.

الرسائل أن يستعمل فيها فكره، ويوفيها حقها من جودة الترتيب واستقاء المعاني، وأن يذهب إلى استعمال الألفاظ الجامعة لمعاني العذر، الملوحة بالبراءة مما قرن به<sup>(1)</sup>.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الرسائل نستشهد هنا برسالة ابن زيدون الجدية التي وجهها إلى ابن جهور، يخاطب الكاتب ابن جهور بسيده ومولاه ، وهو المعتمد عليه ، والمعتد به ، يدعوه بالعزم والأمل ، والثبات على العهد ، حتى يصل الكاتب إلى الاعتذار والاستعطاف من سيده بأن لا يسلبه لباس النعمة ، وأن لا يغض عنه الطرف لحمايته ، الكاتب في هذه الرسالة يتساءل عن الذنب الذي أرتكبه ولم يسعه العفو عنه ، فإن يكون بريئاً فأين العدل ، وأن يكون مسؤلاً فأين الفضل ، ثم يعرض الكاتب في الرسالة العديد من القصص القرآنية ، والأخطاء أو الذنوب المرتكبة التي يستحق فاعلها العقاب ، فالكاتب في هذه الرسالة لا يرى بأنه أرتكب خطأً يوجب عليه الذنب ، فيطلب من سيده العفو والسامحة له عن ذنبه ويستعطفه ويعتذر منه بطريقة سلسة وبعبارات قوية ، يظهر فيها براعته من كل ذنب ، يقول:

"يا مولاي وسيدي الذي ودادي له، واعتدادي به، واعتمادي عليه- أبكاك الله ماضي حد العزم، وأرى زند الأمل، ثابت عهد النغمة- إن سلبتي أعزك الله لباس إنعمك، وعطلتني من حل إيناسك، وغضبت عني طرف حمايتك؛ بعد أن نظر الأعمى إلى تأملي لك، وسمع الأصم شائي عليك، وأحسّ الجماد باستنادي إليك؛ فلا غرو قد يغض بالماء شاربه، ويقتل الدواء المستشفى به، ويؤتى الحذر من مأمنه، وتكون منية المتنمّي في أمنيته ... والعتب محمود عواقبه، والنبوة غمرة ثم تتجلى، والنكتة "سحابة صيف عن قريب تقشع" وسيدي إن أبطأ معذور.

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً ففاعله اللاتي سررنَ الْوَفُ  
فليت شعري ما الذنب الذي أذنبتْ ولم يسعه العفو؟ ولا أخلو من أن أكون بريئاً  
فأين العدل؟ أو مسؤلاً فأين الفضل؟ وما أراني إلا لو أمرتُ بالسجود لآدم فأبيت  
واستكترت، وقال نوح: "اركب معنا" فقلت: "سأوي إلى جبل يعصمني من الماء" وتعاطيت  
فعقرت، وأمرت بناء صرح لعلي أطلع إلى إله موسى، وعكفت على العجل، واعتدت

---

(1) الفلاشندى، صبح الأعشى، ج 9، ص 165.

في السبت، وشربت من النهر الذي ابتلى به جنود طالوت، وقدت الفيل لأبرهة، وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة، وتأنلت في بيعة العقبة، ونفرت إلى العير ببدر، وانخذلت بثلث الناس يوم أحد، وتخلّفت عن صلاة العصر في بني قريظة، وجئت بالإفك على عائشة، وأبيت من إمارة أسامة، وزعمت أن خلافة أبي بكر كانت فلتة، ورويت رحبي من كتبية خالد، ومزقت الأديم الذي باركت يد الله فيه، وضحيت بالأسمط الذي عنوان السجود به. وكتبت إلى عمر بن سعد [أن] مع جمع بالحسين، وبذلت لقطام ثلاثة ألف وعبدًا وقينةٌ وضربَ علىٰ بالحسام المخنْمٌ ...<sup>(1)</sup>

### اختطاب المودة:

وفي هذا النوع من الرسائل يقصد إلى بعث المودة بين شخصين لم تقم بينهما علاقة سابقة، أو إحياء علاقة قديمة لحقها بعض الفتور نتيجةً لبعد المسافات وانقطاع الاتصال<sup>(2)</sup>. ويجب أن يقدر الخطاب فيها على أن يصل المرغوب في عشرته إلى الانحراف في سلك أحبائه، والانحياز إلى أهل ولائه ويعتمد على قصده، في الالتحاق بوده، ويدل على المماحصة، والصفاء والمغالطة، وينبغي أن يذهب الكاتب في هذه الرقاع مذهبًا لطيفاً، ويحسن التوصل إلى الإفصاح عن أغراضها: ليأخذ بجامع القلوب، ويعين على نيل المطلوب<sup>(3)</sup>.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الرسائل ما كتبه أبو القاسم محمد بن عبد الله بن الجد<sup>(4)</sup>، من رسالة خاطب بها ذا الوزارتين أبي بكر المعروف بابن القصيرة<sup>(5)</sup>—وقد قربت بينهما المسافة ولم يتفق اجتماعهما ، يتحدث الكاتب في الرسالة عن الظروف التي لم

(1) النويري، نهاية الأربع، ج 7، ص 290-295.

(2) العربي، دراسات في الأدب الأندلسي، ص 217.

(3) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 9، ص 155.

(4) هو أبو القاسم بن الجد، محمد بن عبد الله، كان من أهل التفنن في المعرفة والتقدم في الآداب والبلاغة، وله حظ جيد من الفقه والتكلم في الحديث، كان يفتى ببلدة لبلة، توفي سنة 515هـ، انظر ابن سعيد، المغرب، ج 1، ص 341.

(5) هو ذو الوزارتين أبي بكر محمد بن سليمان الكلاعي، المعروف بابن القصيرة، كاتب المعتمد بن عباد، ثم كتب ليوسف بن تاشفين أمير المؤمنين، رئيس البلاغة في وقته، توفي سنة 508هـ، انظر ابن خاقان، فلائد العقيان، ج 2، ص 305.

تسمح له بلقائه ، على العلم بأنه كان يحب هذا اللقاء ويتمناه ، ثم يختتم الرسالة بذكر صفاتـه الحميدة ، والدعاء له بأن يجعل لياليـه أـسـحـارـ وـمـسـاعـيـهـ أـنـوـارـاـ :

لـمـ أـزـلـ أـعـزـكـ اللهـ -ـ اـسـتـنـزـلـ قـرـبـكـ بـرـاحـةـ الـوـهـ،ـ عـنـ سـاحـةـ النـجـمـ؛ـ وـأـنـصـبـ لـكـ شـرـكـ المـنـىـ،ـ فـيـ خـلـسـ الـكـرـىـ،ـ وـأـعـلـلـ فـيـهـ نـفـسـ الـأـمـلـ،ـ بـضـرـبـ سـابـقـ المـثـلـ:

ما أَقْدَرَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِي عَلَى شَحْطٍ مَنْ دَارَهُ الْحَزْنُ مَنْ دَارَهُ صُولُ

فـماـ ظـنـكـ بـهـ وـقـدـ نـزـلـ عـلـىـ مـسـافـةـ يـوـمـ [ـوـطـالـمـاـ نـفـرـ عـنـ حـبـالـةـ نـوـمـ]ـ،ـ وـدـنـاـ حـتـىـ هـمـ بـالـسـلـامـ،ـ وـقـدـ كـانـ مـنـ خـدـعـ الـأـحـلـامـ،ـ وـنـاهـيـكـ مـنـ ظـمـئـيـ وـقـدـ حـمـتـ حـولـ الـمـورـدـ الـخـصـرـ،ـ وـذـمـمـتـ الـرـشـاءـ بـالـقـصـرـ،ـ وـوـقـفـ بـيـ نـاهـضـ الـقـدـرـ،ـ وـوـقـفـ بـيـ عـيـرـ بـيـنـ الـوـرـدـ وـالـصـدـرـ؛ـ فـهـلـأـ وـوـصـلـ ذـلـكـ الـأـمـلـ بـيـاعـ،ـ وـسـمـحـ الـزـمـنـ بـاـجـتمـاعـ؛ـ وـطـوـيـتـ بـيـنـنـاـ رـقـعـةـ الـأـمـيـالـ،ـ كـمـ زـوـيـتـ مـرـاحـلـ أـيـامـ وـلـيـالـ،ـ وـمـاـ كـانـ عـلـىـ الـأـيـامـ لـوـ غـفـلـتـ قـلـيـلاـ،ـ حـتـىـ أـشـفـىـ بـلـقـائـكـ غـلـيـلاـ،ـ وـأـتـسـمـ مـنـ رـوـحـ مـشـاهـدـتـكـ نـفـساـ بـلـيـلاـ ...ـ لـاـ زـالـتـ أـيـادـيـكـ بـيـضاـ،ـ وـجـاهـكـ عـرـيـضاـ؛ـ وـلـيـالـيـكـ أـسـحـارـ،ـ وـمـسـاعـيـكـ أـنـوـارـاـ<sup>(1)</sup>.

وـمـنـ الـأـمـلـةـ عـلـىـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ الرـسـائـلـ مـاـ كـتـبـهـ أـبـوـ عـبـدـ اللـهـ مـحـمـدـ بـنـ الـخـيـاطـ<sup>(2)</sup>ـ إـلـىـ الـحـاجـبـ الـمـظـفـرـ،ـ بـدـأـ الـكـاتـبـ كـتـابـهـ بـالـدـعـاءـ لـلـحـاجـبـ الـمـظـفـرـ بـأـنـ يـحـجـبـ عـنـهـ أـعـيـنـ الـمـصـائـبـ وـيـبعـدـهـ عـنـ الـحـادـثـاتـ،ـ ثـمـ يـصـفـ وـقـعـ الـكـتـابـ عـلـيـهـ وـمـاـ تـرـكـ فـيـ نـفـسـهـ مـنـ شـوـقـ وـحـنـينـ؛ـ وـمـنـهاـ:

"ـحـجـبـ اللـهـ عـنـ الـحـاجـبـ الـمـظـفـرـ أـعـيـنـ النـائـبـاتـ،ـ وـقـبـضـ دـونـهـ أـيـديـ الـحـادـثـاتـ.ـ وـجـاءـ مـنـهـ:ـ وـرـدـ لـهـ كـتـابـ كـرـيمـ جـعـلـتـهـ عـوـضـ يـدـهـ الـبـيـضـاءـ فـقـبـلـتـهـ،ـ وـلـمـحـتـهـ بـدـلـ غـرـتـهـ الـغـراءـ،ـ فـأـجـلـلـتـهـ؛ـ كـتـابـ أـلـقـىـ عـلـيـهـ الـحـبـرـ حـبـرـهـ،ـ وـأـهـدـىـ إـلـيـهـ السـحـرـ فـقـرـهـ؛ـ أـنـذـرـ بـبـلـوـغـ الـمـنـىـ،ـ وـبـشـرـ بـحـصـولـ الـغـنـىـ؛ـ تـخـيـرـ لـهـ الـبـيـانـ فـطـبـقـ مـفـصـلـهـ،ـ وـرـمـاهـ الـبـيـانـ فـصـادـفـ مـقـتـلـهـ؛ـ وـوـصـلـ مـعـهـ الـمـمـلـوكـ وـالـمـمـلـوكـةـ الـلـذـانـ سـمـاـهـمـاـ هـدـيـةـ،ـ وـتـنـزـهـ كـرـمـاـ أـنـ يـقـولـ عـطـيـةـ؛ـ هـمـةـ تـرـجمـ السـمـاـكـينـ،ـ

(1) النويري، نهاية الأرب، ج 7، ص 304-305.

(2) في الأصل ابن الخياط، وهو تصحيف ، وهو أبو عبدالله محمد بن سليمان الرعيني بن الحناظ البصیر ، كان أبوه يبيع الحنطة بقرطبة فنسب اليها، كفله بنو ذکوان وشب تحت رعايتهم، وكان أعشى الحملة، ثم اصابه العمى من كثرة القراءة، فأصبح متقدماً في الآداب والبلاغة والشعر، ومدح الملوك والوزراء، وبخاصة الأمير محمد بن القاسم بن حمود، وكانت بينه وبين الوزير أبي عامر بن شهيد مناقصات نظماً ونشراءً، برع في المنطق حتى إتيه في دينه ونفي عن قرطبة، توفي سنة 430هـ، انظر الأصفهاني العماد، خريدة القصر وجريدة العصر، ف 4، ج 2، ص 223.

ونعمة تملأ الأذن والعين؛ وما حرّك -أيده الله- بكتابه ساكناً بمحده، ولا نبه نائماً عن قصده؛ كيف وقد طلعت الشمسُ التي صار بها المغرب شرقاً، وهبَّت الريح التي صار بها الحرمان رزقاً؛ صاحبُ لواء الحمد، وفارس ميدان المجد<sup>(1)</sup>.

وهنالك نوع آخر من هذه الرسائل خوطب به أصحاب المؤلفات الأدبية الأندلسية، وهو يتضمن شيئاً من نتاج منشئه لإثباته في تلك المؤلفات، وقد يكون صاحب المؤلف هو الذي ابتدأ الكتابة إعلاماً بالمشروع الذي يعتزم القيام به<sup>(2)</sup>.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الرسائل ما كتبه أبو عبد الله بن أبي الخصال من جواب لابن بسام - وكان قد كتب إليه يسأله إنفاذ بعض رسائله ليضمنها كتابه الذي ترجمه بالذخيرة، يشير ابن أبي الخصال بكتابه لابن بسام بقيمة وقدر كتاب الذخيرة فيخالف أن لا تكون رسائله بالقدر المطلوب فيوضع ابن أبي الخصال الأوضاع التي أنشأ بها رسائله ، وهذا الكلام هو تواضع من عالم كبير مثل ابن أبي الخصال ، ويشير الكاتب في كتابه إلى وصول كتابه إليه الذي يحتوي على الكلام البلigh فكتب:

"وصل من السيد المسترق، والمالك المستحق - وَصَلَ اللَّهُ أَنْعَمَهُ لِدِيهِ، كَمَا قَصَدَ الْفَضْلُ عَلَيْهِ - كِتَابَهُ الْبَلِigh، وَاسْتَدْرَاجَهُ الْمَرِيجَ، فَلَوْلَا أَنْ يَصْلَدَ زَنْدَ اقْتِدَاهُ، وَيَرِدَ طَرْفَ افْتِنَاهُ؛ وَتَقْبِضَ يَدَ انبساطِهِ، وَتَغْنِي صَفَقَةَ اغْتِبَاطِهِ؛ لِلَّزْمَتِ مَعَهُ قَدْرِيَّ، وَضَنْ بَسَرَهُ صَدْرِيَّ؛ لِكَنَّهُ بِنَفْثَهُ سَحْرَهُ يَسْتَنْزِلُ الْعَصْمَ فَتَجْبُ وَيَقْتَدِ الصَّعْبُ فِي صَحْبٍ، وَيَسْتَدِرُ الصَّخْورَ فَتَحْلِبُ؛ وَلَمَّا جَاءَنِي كِتَابُ ابْنِتَاهُ، وَقَرَعَ سَمْعِي نَدَاهُ، فَزَرَعْتُ إِلَى الْفَكِّ، وَخَفَقَ الْقَلْبُ بَيْنَ الْأَمْنِ وَالْحَذْرِ؛ فَطَارَتِنِي الْفَقْرُ أَوْبَدَ قَفْرَ، وَشَوَّارَدَ عَفْرَ ... وَلَوْلَا دَرُوسَ مَعَالِمِ الْبَيَانِ، وَاسْتِيَلاءِ الْعَفَاءِ عَلَى هَذَا الْلِسَانِ؛ مَا فَازَ لِمَثْلِي فِيهِ قَدْحٌ، وَلَا تَحْصَلُ لِي فِي سُوقِهِ رِبْحٌ؛ وَلِكَنَّهُ جُوْ خَالٌ، وَمَضْمَارٌ جَهَالٌ؛ وَأَنَا أَعْزَكَ اللَّهَ أَرْبَأْ بِقَدْرِ الذَّخِيرَةِ، عَنْ هَذِهِ النُّفُّ الْأَخِيرَةِ، وَأَرَى أَنَّهَا قَدْ بَلَغَتْ مَدَاهَا، وَاسْتَوْفَتْ حُلَاهَا؛ وَإِنَّمَا أَخْشَى الْقَدْحِ فِي اخْتِيَارِكَ، وَالْإِخْلَالُ بِمَخْتَارِكَ؛ وَعَذْرًا إِلَيْكَ - أَيْدِكَ اللَّهُ - إِنِّي خَطَطْتُ وَالنَّوْمُ مَغَازِلُ، وَالْقَرُّ نَازِلٌ؛ وَالْرِّيحُ تَلْعَبُ بِالسَّرَّاجِ، وَتَصُولُ عَلَيْهِ صَوْلَةُ الْحَجَاجِ<sup>(3)</sup>.

(1) النويري، نهاية الأرب، ج 7، ص 306.

(2) العربي، دراسات في الأدب الأندلسي، ص 218.

(3) النويري، نهاية الأرب، ج 7، ص 303-304.

#### 4-3-4 رسائل العتاب:

وهي تلك الرسائل التي تدور حول عتاب الكاتب للمخاطب في أمر ساءه منه، أوجب عتابه له، وتتبادر صور العتاب بين اللين والرقة والقسوة، وذلك بحسب نفسية الكاتب وحالته والغرض الذي استثاره فدجع رسالته فيه<sup>(1)</sup>، وفيها تتنقى الكلمات بعنابة لأحياء رسم الصداقة الذي تعرض لبعض الفتور، ويببدأ هذا النوع من الرسائل عادة بالحديث عن عهد الصداقة المنصرم وتذكر أيامه ولادته<sup>(2)</sup>.

ومن الأمثلة على رسائل العتاب رسالة أبي حفص عمر بن برد الأصغر الأندلسي يعتاب بعض إخوانه ، يتساءل الكاتب في كتابه عن أسباب إقصاء بهجة الود، وإذبال زهرة العهد ، وقطع الصلة والجفاء ، فيشير الكاتب إلى هذه المعاني بالألفاظ في غاية الروعة والجمال من حيث التصوير الفني الذي يعطي الكتاب قوة وتأمل في المعنى ، وفي نهاية الكتاب يطلب ابن برد من صديقه أن يقدم له السبب الرئيسي للجفاء ، فيعودا كما كانوا أو تكون القطيعة بينهما ؛ يقول :

"أظلم لي جوُّ صفائك، وتوعرت عليّ طرق إخائك؛ وأراك جلد الضمير على العتاب، غير ناقع الغلة من الجفاء؛ فليت شعري ما الذي أقصى بهجة ذلك الود وأذبل زهرة ذلك العهد؛ عهدي بك وصلتنا تفرق من اسم القطيعة، وموذتنا تسأل عن صفة العتاب ونسبة الجفاء، واليوم هي آنسُ بذلك من الرضيع بالثدي، والخليل بالكأس؛ وهذه ثغرة إن لم تحرسها المراجعة، وتذك فيها عيون الاستبصار توجهت منها الحيل على هدم ما بنينا، ونقض ما اقتينا؛ وتلك نائحة الصفاء، والصارخة بموت الإخاء؛ لا أستند أعزك الله من الكتاب إليك - وأن رغم أنفُ القلم، وانزوت أحشاء القرطاس، وأجر فم الفكر، فلم يبقَ في أحدهما إسعاد لي على مكاتبك، ولا بشاشة عند محاولة مخاطبتك - لقارص عتابك، وقوارع ملامك [التي أكلت أفلامك]، وأغضبت كتبك، وأضجرت رسالك، وضميري طاوِ لم يطعم تجنباً عليك، ونفسني وادعة لم تحرك ذنباً إليك، وعقدي مستحكم لم يمسه

(1) القيسي، أدب الرسائل ...، ص101.

(2) العربي، دراسات في الأدب الأندلسي، ص223.

وهن فيك؛ وأنا الآن على طرف الإخاء معك، فإما أن تبهرني بحجّة فأتصل عنك، وأما أن تقى بحقيقة فأستديم خلتك، وإما أن تلزم على يأسك فأقطع حبلي منك ...<sup>(1)</sup>.

### 4-3-5 رسائل التهاني:

كتب التهاني من الكتب التي تظهر فيها مقدّير إفهام الكتاب، ومنازلهم من القناعة ومواعدهم من البلاغة. وهي من ضروب الكتابة الجليلة النفيسة، لما في التهنئة البليغة من الإفصاح بقدر النعمة، والإبانة عن موقع الموهبة، وتضاعف السرور بالعطية<sup>(2)</sup>. وتبدأ غالباً بالكثير من التحميدات، والأدعية ثم تذكر وقع خبر النعمة - محل التهنئة على نفس الكاتب، مع سرد النعوت المتعددة لباعتها، ثم يعرج على التهنئة بها وتنمي دوامها أو تكرارها أو إصابة غيرها، وتختم الرسالة بالدعاء والسلام<sup>(3)</sup>.

وأغراضها ومعانيها متشعبّة لا تقف عند حد<sup>(4)</sup>، ومن الأمثلة على ذلك رسالة أبي القاسم محمد بن الجدّ، لمن رزق بمولود ، يصف الكاتب المولود بالعديد من الصفات ، فهو نجم سعادة طلع في الأفق ، وغضن سناء تفرع من دوحة علا ، ثم يصف حال الناس عند قدوم هذا المولود ، بأن تهالك الوجوه بقدومه ، وقدمت الوفود تهنئ ، ثم يختتم الكاتب كتابه بالدعاء بأن يكون المولود على خلق عظيم يفخر به والده ويتربي بعزم وجهه ؛ يقول فيها:

"إن أحق ما انبسط فيه للتهنئة لسان، وتصرّف في ميادين معانيه بيان وبيان؛ أمل رجيّ فتائب زماناً، واستدعي فلوى عنانا؛ وطاردته الأمانيّ فأتعابها حيناً، وغازلتنه الهمم فأشعرها حيناً؛ ثم طلع غير مرتفب، وورد من صحبة المناجح في عسكر لجب؛ وكان كالمشير إلى ما بعده من مواكب الآمال، والدليل على ما وراءه من كواكب الإقبال؛ أو كالصبح افترت عن أنوار الشمس مbasمه، والبرق تتبع إثر وميضه غماماته. وفي هذه الجملة ما دلّ على المولود، المؤذن بتراالف الحظوظ وتضاعف السعوض. فياليه نجم سعادة،

(1) النويري، نهاية الأربع، ج 7، ص 307-308.

(2) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 9، ص 5.

(3) العربي، دراسات في الأدب الأندلسي، ص 220.

(4) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 9، ص 5.

طلع في أفق سيادة؛ وغصن سناء، تفرّع من دوحة علاء. لقد تهلهلت وجوه المحاسن باستهلاكه، وأقبلت وفود الميمانيين لاستقباله؛ ونظمت له قلائد التمائم، من جواهر المكارم ... فأمّا وقد اهتزّ في أيّكة السيادة قضيب، ونشأ من نبتة النّجابة نجيب، فأخلق بذلك المنبت أن تعاوده نصرته، وترفّ عليه حبرته .. وهو المسؤول أن يهبك منه صنعاً يحسن في مثله الحسد، ويتمني لفضله النّسل والولد، بعزّته<sup>(1)</sup>.

#### 4-3-6 المدح والدعاء:

ويتمثل هذا النوع من الرسائل في المدح والدعاء إلى الشخص المخاطب بالكتابية، وتفتتح في الغالب بالدعاء، ولا تخلو أي رسالة سواء أكانت سلطانية أو أخوية من أسلوب المدح والدعاء إلى المخاطب، المدح يكون بذكر الصفات الحميدة في الشخص المخاطب من حسن الأخلاق والكرم والشجاعة، والحلم، والحكمة وجميع الصفات المحببة للأشد خاص، والداعاء، عادة ما يكون، بطول العمر والتقدم والتعظيم، والحياة السعيدة. ومن الأمثلة على رسائل المدح والدعاء ما كتبه أبو المطراف ابن عميرة، حيث بدأت الرسالة بالدعاء للمخاطب بالتقديم والتعظيم، ثم أخذ يمدحه بما عنده من موهبة الكتابة والبلاغة، حتّى يصل في مدحه بأن جعله إمام أئمتها، يقول:

"أطال الله بقاء الأخ السرى الكريم، الحرى بالتقديم والتعظيم؛ أوحد فرسان الإحسان، وواحد عقبان البيان، ولا زال قلمه جالي بدائع السحر، جالب بضائع الشر، مغبوط السبق، عند كلّ جياد الكلام، مبسوط الرّزق، في حال إملاق الأقلام، إن ذكرت- أباك الله- البلاغة فمن على موردها يساجلك، أو قيل في شريعتها بُنيت على خمس فإنما هي أناملك، صفوها متجر من معينك، وشاؤها لا مطعم فيه لغير يمينك، وشاؤها تستوفيه في هيئة متهل ... فهنيئاً لها أن كنت سابق غايتها، وسائق رايتها، وبشرى لمهرقٍ وشته براعتك ، ومشته براعتك، لقد أوتى من الحسن ما تشتريه القلوب بحبّاتها، وتشتهيه النفوس أكثر من حياتها؛ وإن الأمر كذا وكذا<sup>(2)</sup>.

(1) النويري، نهاية الأربع، ج 5، ص 133-134.

(2) الفقيشدي صبح الأعشى، ج 8، ص 149.

ومن الأمثلة الأخرى على رسائل المدح والدعاء ما كتبه أبو محمد بن عبد البر، إلى بعض أرباب الأقلام؛ يقول:

"أبقي الله الشيخ في عزّة تالدة طارفة، وسعادة لا تزال طارقة بكلّ عارفه؛ ولا زال فاقده مخيماً من رفده بروض ناصر، ومحوماً من مجده على مسيرة سمع وقرة ناظر؛ والأمر كذا وكذا<sup>(1)</sup>".

#### 4-3-7 رسائل الطلب:

حفلت رسائل الطلب بمكانة كبيرة بين الرسائل الأخوية شبه الرسمية. وفي هذا النوع من الرسائل يسلك الكاتب مسلك الشاعر في طلب الرفد والعطاء، حين يصف خصال الممنوح الحميدة، لذا فإنّه يغلب على هذه الرسائل طابع المديح، وتتسم بالبراعة والصياغة<sup>(2)</sup>.

وقد حفل التاريخ الأندلسي بالعديد من هذه الرسائل التي جاءت متتalaة في كتب الأدب، وقد حفل كتاب صبح الأعشى، للقلقشندى، بمجموعة من هذه الرسائل التي يراد منها طلب حاجة معينة، وتتأتى أغلب هذا النوع من الرسائل بطبع المدح ومن ثم يصل إلى طلب الحاجة، وفي بعض الأحيان لا يصرح بهذا الطلب مباشرة ولكن قد يعتريه بعض الغموض.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الرسائل ما كتبه ابن أبي الخصال إلى بعض الكتاب يسأله حاجة، حيث بدأت الرسالة بالمدح للشخص المخاطب كما هو الحال عليه في هذا النوع من الرسائل، حتى يصل إلى طلب الحاجة، ولم يذكر ابن أبي الخصال في الرسائل نوع الحاجة، أو ربما لم يوردها القلقشندى كاملة؛ يقول فيها<sup>(3)</sup>:

"معظم الشيخ الأجل أبي فلان، ومجله المكبر له فلان، أعلى الله قدركم وأوزع أولياءكم شكركم، أياديكم أدام الله كرامتكم أوكف من الغمام، ونعمكم ألزم للأعناق من أطواق الحمام، وإنّ وليكم ومعظمكم يحتاج إلى كذا وكذا:

(1) القلقشندى صبح الأعشى، ج 8، ص 149.

(2) القيسي، أدب الرسائل، ص 104-105.

(3) القلقشندى، صبح الأعشى، ج 8، ص 157.

كما كتب [بعضهم] من فلان إلى الشيخ الحافظ الأكرم أبي فلان: أدام الله كرامته بتقواه، فالكتاب إليكم كتب الله لكم أحوالاً صالحة، وخيرات عليكم غادية رائحة، من موضع كذا، والبركات متوافرة، والخيرات متظاهرة، والحمد لله تعالى، وإن الأمر كذا وكذا<sup>(1)</sup>.

ولم تكن رسائل الطلب من شخص إلى مسؤول أو صديق وحسب، بل جاءت بعض الرسائل من نوع أخرى، حيث دارت بعض رسائل الطلب بين الابن وأبيه يطلبه حاجة معينة، وقد أورد القلقشندي في صبح الأعشى، رسالة في هذا النوع، حيث كتب بعض الأشخاص إلى والده، وقد بدأت الرسالة ببيان فضل الوالد بأنه متকفل بتعليمه، وفضله في حسن أدبه، ثم يدعو إلى والده بطول العمر، حيث يصبح على نفسه صبغة العبد بدل الابن، ثم يتتابع الرسالة بأن يبيث فيها شوقه وحنينه إلى والده، الواضح من الرسالة إن الابن كان بعيد عن والده، بسبب الدراسة، ويختتم الرسالة بطلب الحاجة التي يوريدها؛ يقول فيها:

"إلى مولاي المعظم وأبي، المتوكّل بتعليمي وحسن أدبي، أبقاء الله ناظراً إليّ بعين رضاه، وأعانني على الجري في برّه على حكم الشرّاع القويم ومقتضاه؛ من ابنك المعظم لك، بل عبده، المتطلع إلى ما يصل من الأنباء الكريمة من عندك، المواصل المسعي في شكرك وحمدك، فلان: بأبي كتبه كتب الله لكم ليانا من العيش وخفضاً، وجمع بعد الانفراق بعضاً مّا وبعضاً؛ ويسر لي بطوله منته أن يصفح عنّي وأن يرضي، من موضع كذا، ولا جيد إلا نعم من الله عزّوجلّ تراوح وتغادي، وتجري الخواتم منها على حكم المبادئ، وسوق إليكم يعمر أبناء ضلوعي وفؤادي، ويحسم عنّي قطبيعي دمعي الهتون وسهادي؛ والله جلّ وعزّ ييسر انقضاب غربة النّوى، ويريح النفوس من حرق اللّوعة ولأعج الجوّي؛ والأمر كذا وكذا<sup>(2)</sup>."

ويرى الباحث في نهاية الحديث عن الرسائل الإخوانية، أنها جاءت في المواضيع التي تدور بين الأصدقاء، وتدل على صدق العاطفة فيها، وعلى طابع المودة والمحبة التي تجمع بين الأخوة في رسائلهم المختلفة.

(1) القلقشندي صبح الأعشى، ج 8، ص 157.

(2) المصدر نفسه، 157-158.

#### 4-4 خصائص الرسائل

تنوعت المكاتبات في الأندلس بين المكاتبات الرسمية والإخوانية، وكانت تسير جنباً لجنب مع نظيرتها في المشرق، حيث قد كتب الأندلس كتاب المشرق في جميع فنون النثر الأدبي كما مر سابقاً، وقد فصلنا بالحديث عن أنواع المكاتبات الأندلسية سواء أكانت الرسمية أو الأخوية، وسوف ندرس في هذا الجزء من الدراسة خصائص الرسائل، والتعرف على أسلوب أهل الأندلس في مراسلاتهم ومكاتباتهم.

فقد كان لكل نوع من أنواع المكاتبات الرسمية والإخوانية التي تصدر عنهم أسلوب خاص متعارف عليه عند كتاب الأندلس، فهناك مصطلحات وألقاب يخاطب بها كل شخص حسب مكانته في الدولة؛ فالكتب التي توجه إلى الملوك والسلطانين تختلف بطريقتها عن الكتب الموجهة إلى الوزراء وكذلك الفقهاء وأرباب السيف والوظائف الدينية والديوانية فلكل مقام ألقاب يخاطب بها الشخص.

ولن نكتفي بدراسة المكاتبات الرسمية، بل سندرس أيضاً المكاتبات الأخوية، لنتعرف على أسلوب الكتاب في اختيار الألفاظ والألقاب التي يستخدمونها في مخاطباتهم فيما بينهم، أكانت كتاباً صادرة أو كتاباً واردة في كتاب "صبح الأعشى"؛ لأنَّه جمع بين طياته العديد من المكاتبات الأندلسية الرسمية والأخوية.

#### 4-4-1 الرسائل الرسمية:

وسنقوم في هذا الجزء بدراسة فواتح المكاتبات الرسمية مثل "فواتح المكاتبات" القديمة، والكتب الواردة عن صاحب الأندلس، والكتب الصادرة عن الموحدين بالأندلس، والكتب الصادرة عن إتباع ملوك الغرب إليهم والمختار منهم، في الأوجبة الصادرة عن ملوك الغرب، وفي كتب العهود، وما يكتب لأرباب الوظائف الحكومية.

##### 1- الرسائل الواردة عن صاحب الأندلس:

والرسم في ذلك أن يكتب "الأبواب الشريفة" ويصفها، ثم يقول: "أبواب السلطان الفلاني" ويصفه، ويدرك ألقابه، ثم يدعو له، ثم يقول: "سلام كريم" ويصفه. من فلان،

ويذكر السلطان المكتوب عنه، ثم يقول: أما بعد حمد الله، ثم يأتي بخطبة في المعنى تشمل على التحميد، ثم ينخرط في سلك المقصود إلى آخره<sup>(1)</sup>.

ومن الأمثلة عليها ما كتبه ابن الخطيب عن السلطان (أبي الحجاج<sup>(2)</sup>) صاحب غرناطة إلى السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، يشير فيه إلى حادثة الفرنج بالأسكندرية سنة (767هـ) يقول فيه:

"الأبواب الشريفة التي تعنو لعزّة قدرها الأبواب، وتعتزم إلى نسب عدتها الحكمة والصواب؛ وتناویها الأقطار البعيدة مفترضة بولائها ... أبواب السلطان الكبير، الجليل الشهير، الظاهر، الأوحد، الأسعد ... الملك المنصور أبي الفتوح شعبان، ابن الأمير، الرفيع المجادة، الكريم البنوة والولادة الظاهر، الكبير، الشهير ... الأمير أبي عليّ حسين، ابن السلطان الكبير، الشهير، ملك الإسلام والمسلمين ... أبي عبد الله محمد بن قلاوون، الصالحي أبقاء الله، وفق الصباح يشهد بكماله، وخدمة الحرمين الشريفين طراز مذهب على حلّة أعماله ... سلام كريم، برّعيم ، كما استودعت الرياض أسرارها ... أما بعد حمد الله جاعل قلادة الإسلام على الدوام آمنة الأنخدام والانتشار .. والصلوة والسلام على سيدنا محمد رسوله نخبة الأكونان ..."<sup>(3)</sup>

ويختتم بالدعاء حيث يقول فيه: "... ويبقىكم للإسلام ركناً شديداً، وظلاً مديراً، وسماءً مدراراً، ما استأنفت البدور إداراً، وعقب الليل نهاراً، والسلام<sup>(4)</sup>.

## 2- الرسائل الصادرة عن خلفاء الموحدين، أتباع المهدى بن تومرت:

تفتح المکاتبة الصادرة عن خلفاء الموحدین غالباً بلفظ "من فلان إلى فلان" ويقال فيها: "من أمير المؤمنین فلان" ويدعى له بما يناسبه "إلى فلان" ويدعى له بما يليق به، ثم

(1) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 8، ص 106-107.

(2) يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر الانصاري الخزرجي ،أمير المسلمين بالأندلس،أبو الحجاج ،تولى الملك بعد أخيه بوادي السقائين من ظاهر الخضراء ضحوة يوم الأربعاء ثالث عشر ذي الحجة عام 733هـ وسنه 15 عاماً وثمانية أشهر،أمه أم ولد،وكانت له ثلاثة أولاد كبيرهم محمد أمير المسلمين من بعده،انظر المقرى،نفح الطيب،ج 5،ص 80.

(3) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 8، ص 107-109.

(4) المصدر نفسه، ص 115.

السلام، والبعدية والتحميد، والصلاحة على النبي صلى الله عليه وسلم، والترضية عن الصحابة، ثم عن إمامهم المهدي، ثم المقصود بالكتاب، وتختم بالسلام<sup>(1)</sup>.  
ومن الأمثلة على ما كتب عن عبد المؤمن: خليفة المهدى إلى أبي عبد الله محمد بن سعيد، يقول فيه:

"من أمير المؤمنين أيده الله بنصره، وأمده بمعونته؛ إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن سعد وفقه الله، وسيّره لما يرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فالحمد لله الذي له الاقتدار والاختيار، ومنه العون لأوليائه ... والصلاحة على محمد نبيه الذي انبعثت بمبعثه الأضواء والأنوار، وعمرت بدعوته الإنجاد والأغوار ... وعلى آله وصحبه الذي هم الأكرام الأبرار، والمهاجرين والأنصار والرضا عن الإمام المعصوم، المهدى المعلوم؛ القائم بأمر الله حين غيرته الأغيار، وتقدم الامتعاض له والانتصار ... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته<sup>(2)</sup>".

#### أن تفتح الرسالة بلفظ "أما بعد"

ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه أبو الميمون عن المستنصر بالله: أحد خلفائه إلى بعض نوابه، وقد نقض العهد على بعض المهاجرين من النصارى؛ يقول:  
"أما بعد حمد الله الأمر بالوفاء بالعهود، والصلاحة على سيدنا محمد المصطفى الكريم سيد الوجود، وعلى آله وصحبه ليوث البأس وغيوث الجود؛ والرضا عن الإمام المعصوم، المهدى المعلوم؛ الآتي بالنعت الموجود في الزَّمْن المحدود، وعن خلفائه الواصلين بأمره إلى التَّهَائِم والنَّجُود، والدعاء لسيدنا الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين بسعد تذلُّ له النواصي، ويهدى الأقطار القواصي... والسلام عليكم ورحمة الله"<sup>(3)</sup>.

#### 3- في الرسالة الصادرة إلى خلفاء الموحدين بالمغرب:

##### 1- أن تفتح الرسالة بالداعاء، وهي على ضربين:

وفي هذا النوع من المكاتبة تفتح بالداعاء المناسب للحال، ويخاطب المكتوب إليه بأمير المؤمنين. ومن الأمثلة على هذه المكاتبة ما كتبه القاضي الفاضل عن السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن: أحد

(1) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 6، ص 443.

(2) المصدر نفسه، ج 6، ص 443-445.

(3) المصدر نفسه، ص 445-446.

خلفائهم في سنة (585هـ) يستجشه على الروم الفرنج الفاقدون بلاد الشام والديار المصرية، يقول فيه:

"فتح الله بحضره سيدنا أمير المؤمنين، وسيد العالمين، وقسم الدنيا والدين؛ أبواباً الميامن، وأسباب المحسن؛ وأحلَّه من كفایته في الحرم الآمن، وأنجز من نصرة الحق ما الله له ضامن، وأصلح به كلَّ رأى عليه الهوى رائِن؛ ومكَّن له في هذه البسيطة بسطة ..."<sup>(1)</sup>.

**الضرب الثاني: (أن تكون الرسالة صادرة عن بعض الأتباع)**

وتفتح المكاتبة هنا بالدعاء بطول البقاء، ويعبر المكتوب عنه عن نفسه بلفظ الإفراد، وعن الخليفة بأمير المؤمنين، ونستشهد على هذا النوع من المكاتبة بما كتبه أبو الميمون عن بعض أهل دولتهم إلى بعض خلفائهم جواب كتاب ورد بالكشف عن عامل ثغر شقرة؛ يقول فيه:

"أطَّالَ اللَّهُ بقاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَنَاصِرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِفَضْلِهِ الْعَمِيمِ؛ وَلَا بَرَحَتْ مَصَالِحُ الْعَبَادِ بِبَالِهِ الْكَرِيمِ جَائِلَةً مَاثِلَةً، وَسَيِّرَتْهُ الْحَمِيدَةُ لِدَانِيهِمْ وَقَاصِيهِمْ شَامِلَةً كَافِلَةً، وَلَا زَالَ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ بِالْقَسْطِ قَائِمًاً، وَعَلَى مَا يَنْفَعُ النَّاسَ<sup>(2)</sup> مَحَافِظًاً.

2- أن تفتح الرسالة بألقاب الخليفة نفسه ثم يؤتى بالصدر معتبرًّا عن المكتوب عنه بالعبد، ويختتم الكتاب بالسلام، وهو على ضربين:

**الضرب الأول: "أن يوصف الخليفة بالمقام"**

ومن الأمثلة على هذا النوع من المكاتبة نستشهد بما كتبه أبو الميمون عن بعض أهل دولتهم إلى الناصر لدين الله أحد خلفائهم؛ يقول فيه:

"المقام الأعلى، المقدّس، المكرّم، الأمامي، الطاهر، الزَّكِيُّ، مقام الخليفة المؤيَّد بنصر الله، الإمام "الناصر لدين الله" كلاً الله جلالهم، وفيأً ظلالهم، وبواً وفود الصُّعود وجود الظهور والصُّعود مواطئهم المقدّسة وجلالهم. عبدهم المتقلب في نعمتهم، المتقرب إلى الله عز وجل بالمناصحة في خدمتهم ..."<sup>(3)</sup>.

---

(1) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 6، ص 526-527.

(2) المصدر نفسه ، ص 530-531.

(3) المصدر نفسه، ص 532-533.

## **الضرب الثاني: أن يعبر الخليفة بالحضره**

ومن الأمثلة على هذه المكاتب نستشهد بما كتبه أبو المطرف بن عميرة عن صاحب أرغون من الأندلس إلى المستنصر بالله أحد خلفائهم، يستأنفه في وفادة صاحب أرغون من الأندلس أيضاً على أبواب الخلافة مغاضباً لأهل مملكته؛ يقول:

"الحضره الإماميه المنصورة الأعلام، الناصره للإسلام، المخصوصه من العدل والإحسان بما يجلو نوره متراكم الإظلام؛ حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين، أبي يعقوب ابن سادتنا الخلفاء الراشدين، ... نشأة أيامها الغرّ، وربّي إنعامها المواهب على الحمد والشكر، المشرف باستخدامها الذي هو نعم العون على التقوى والبر، عبدها وابن عبدها فلان ..."<sup>(1)</sup>.

### **4- في الرسائل الصادرة عن أتباع ملوك الغرب إليهم**

#### **1- أن تفتح الرسالة بأما بعد:**

وتفتح هذه المكاتب بلفظ "أما بعد، ويخلص إلى المقصود من الكتاب، ويختتمه بما يناسب المقام؛ ومن الأمثلة على هذا النوع من فواتح المكاتب، نستشهد بما كتبه أبو المطرف بن عميرة إلى المتوكل بن هود، عن نفسه؛ يقول فيه:

"أما بعد، فكتب العبد - كتب الله لل مقام العلي الناصري المتوكلي مجدًا يحلُّ الكواكب وجداً يغلُّ الكتائب ... وبإقبال الركاب السعيد إلى هذه ينزل به من سماء العلياء محكم حكمه، ويصل به إلى الأنام فضل من الله ونعمه؛ ويقتضي دين على الأيام، لا يبقى معه عسرة، ويوجد جبر للإسلام، لا يكون بعده كسره، وشفاء لقلوب الأولياء هو للأعداء حسرة"<sup>(2)</sup>.

2- أن تفتح الرسالة بالخطاب بلفظ "سيدي" أو "مولاي" مع حرف النداء أو دونه. ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه ابن الخطيب عن نفسه إلى السلطان أبي عنان بن السلطان أبي الحسن المريني؛ يقول فيه: "مولاي! فاتح الأقطار والأمسار، فائدة الأزمان والإعصار، أثير هبات الله الآمنة من الاعتصار، قدوة أولى الأيدي والأبصار، ناصر الحق عند قعود

(1) الفقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص534.

(2) المصدر نفسه، ص98-99.

الأنصار ... مولاي! هذه تلمسان قد أطاعت، وأخبار الفتح على ولدك الحبيب إليك قد شاعت ...<sup>(1)</sup>.

### 5- في الأجوبة الصادرة عن ملوك الغرب:

وتفتح هذه المكاتب عادة بلفظ "قد" ونحوها. ومن الأمثلة على هذا النوع من المكاتب ما كتبه أبو المطرف بن عميرة عن بعض ملوكهم في جواب كتاب ورد عليه بطاعة بلد؛ يقول منه:

"قد وصل كتابكم - وصل الله معونتكم وكلاءتكم - تذكرون ما تقرّر عندكم ..."<sup>(2)</sup>.

### 6- ما يكتب لأرباب الوظائف من أصحاب السيف

تفتح هذه المكاتب الخاصة بأصحاب السيف من الوظائف الحكومية بألفاظ خاصة تختلف عن فواتح مكاتب الملوك والسلطانين كما مر سابقاً، فالغالب على فواتح هذه المكاتب الموجهة لأصحاب الوظائف الحكومية بأنّها تبدأ بعبارة (هذا ظهير كريم). ومن الأمثلة على مكاتب أصحاب السيف نستشهد بما كتبه ابن الخطيب بنيابة السلطنة بالحضره؛ يقول:

"هذا ظهير كريم، منزلته في الظهائر منزلة المعتمد من الظهراء، ومحله من الصكوك، الصادرة عن أعظم الملوك، محل أولى الريات، الخافقة العذبات، والآراء ... أمر به فلان لصدر أدائه، وحسامه المشهور على أعدائه؛ وولته الذي خبر صدق وفائه .. شيخ شيوخ المجاهدين، وقائد كتائب المنصورة لغزو الكافرين والمعتدين ...")<sup>(3)</sup>.

### 7- ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية من أصحاب الأقلام:

وتفتح المكتبة أيضاً بلفظ "هذا ظهير كريم" ومن الأمثلة عليه، نسخة ظهير بقضاء الجماعة بالحضره، وهو "هذا ظهير كريم أنتج مطلوب الاختيار قياسه، ودل على ما يرضي الله عز وجل التماسه ... أمر به، وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه؛ أمير المسلمين أبو الحاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر - أيد الله أمره، وخلد فخره -

(1) الفقشندي، صبح الأعشى، ج6 ص99-102.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص110.

(3) المصدر نفسه، ج11، ص6.

لقاضي حضرته العلية ... قاضي الجماعة، ومعرف الأحكام الشرعية المطاعة، الشيخ أبي الحسن ابن الشيخ أبي محمد ابن الحسن وصل الله سعادته...<sup>(1)</sup>.

8- في الرسائل الصادرة عن الملوك ومن في معناهم إلى خلفاء بنى أمية بالأندلس:

تفتح المكاتبنة إليهم في العادة بالدعاء بطول البقاء، مع الإطناب في الإطراء في شأن الخليفة ومدحه والثناء عليه والدعاء له، والخطاب فيه للخليفة بأمير المؤمنين منعوتاً بمولاي وسيدي ونحو ذلك، ومن الأمثلة على هذا النوع من المكاتببات ما كتبه أبو المطرف بن المثنى من إنشائه عن المنصور إلى هشام بن الحكم؛ يقول فيه:

"أطال الله بقاء أمير المؤمنين! مولاي وسيدي وسيد العالمين، وابن الأئمة الراشدين؛ عزيزاً سلطانه، منيراً زمانه؛ ساميةً أعلامه، ماضيةً أحكامه؛ ظاهراً على من نواه، قاهر لمن عاداه؛ كما يحب -أيد الله أمير المؤمنين مولاي وسيدي على أحسن ما يكون عليه"<sup>(2)</sup>.

#### 4-4-2 الرسائل الإخوانية:

وستتعرف في هذا الجزء أيضاً على أساليب المكاتببات الأخوية في الأندرس وكيف تفتح هذه المكاتببات.

1- الرسائل الإخوانية الصادرة:

سنقوم بدراسة فواتح المكاتببات الأخوية الصادرة من صديق إلى صديقه، وما هي أهم الألفاظ التي تفتح بها هذه المكاتببات.

أن تفتح المكاتبنة بالدعاء: أما بطول البقاء كما كتب أبو محمد عبد الله بن محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر:

"أطال الله بقاء سيدي الأعلى، ومفزعني في الجلي، متممةً عليه النعم، ميسرةً لديه الحمم؛ أقول بدءاً أيدك الله: لقد أعشى الناظرين سناك، كما أعيما الطالبين مسعاك..."<sup>(3)</sup>.

أن تفتح المكاتبنة بلفظ "كتابي" ومن الأمثلة على هذا النوع من فواتح المكاتببات الأخوية نستشهد بما كتبه أبو المطرف بن عميرة إلى بعض العلماء؛ يقول فيه:

(1) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 6، ص 21.

(2) المصدر نفسه، ج 8، ص 524.

(3) المصدر نفسه، ص 148.

"كتابي إلى سيدتي - حفظه الله مقيماً وسائراً، وأنقاه لغزr البيان ساحراً، وعن وجه الإحسان سافراً؛ ولا زالت آدابه تشرق وتزور ساهراً، ومحاسنه كالشمس إذا لم يلق نورها ساتراً ...."<sup>(1)</sup>

أن تفتح المكاتبـة بكتابـة عن المكتوب إلـيـه من لقب ونحوـه، كما كتبـ في ذلك أبو المـطرف ابن عـمـيرـة لـبعـض الرؤـسـاء؛ يقولـ فيهـ<sup>(2)</sup> :

"الـجـنـابـ الرـئـاسـيـ أـدـامـ اللهـ اـعـتـلاءـهـ، وـحـرـسـ مـجـدهـ وـسـنـاءـهـ."

### أن تفتح المكاتبـة بالـتحـيـةـ والـسـلامـ

وـمنـ الـأـمـثـلـةـ عـلـىـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ فـوـاتـحـ المـكـاتـبـاتـ الـأـخـوـيـةـ نـسـتـشـهـدـ بـمـاـ كـتـبـهـ أـبـوـ

المـطـرفـ ابنـ عـمـيرـةـ؛ـ يـقـولـ فيهـ:

"تـخـصـ الـابـنـ مـحـبـةـ وـقـعـةـ، وـالـعـبـادـ اـعـتـدـادـاـ بـجـانـبـهـ وـثـقـةـ، حـفـظـ اللهـ نـجـابـتـهـ؛ـ وـجـعـلـ لـدـاعـيـ

الـسـيـادـةـ تـلـبـيـةـ وـإـجـابـتـهـ، تـحـيـةـ الإـجـالـ وـالـتـكـرـمـ، وـالـمـوـدـةـ الـخـالـصـةـ الـمـتـحـكـمـةـ وـرـحـمـةـ اللهـ

وـبـرـكـاتـهـ ..."<sup>(3)</sup>.

وـتـفـتـحـ المـكـاتـبـةـ أـيـضاـ بـالـأـفـاظـ أـخـرـىـ مـتـلـ "ـالـكـنـاـيـةـ عـنـ المـكـتـوبـ،ـ أـوـ بـلـفـظـ مـنـ فـلـانـ،ـ

أـوـ بـلـفـظـ إـلـىـ فـلـانـ"<sup>(4)</sup>.

### 2- في الأجويةـ:

أنـ يـفـتـحـ الـجـوـابـ بـورـودـ الـكـتـابـ وـوـصـولـهـ اـبـتـداءـ .ـ وـمـنـ الـأـمـثـلـةـ عـلـىـ فـوـاتـحـ كـتـبـ

الـجـوـابـ نـسـتـشـهـدـ بـمـاـ كـتـبـهـ أـبـوـ الـخـصـالـ؛ـ يـقـولـ فيهـ:

"ـوـرـدـ كـتـابـكـ فـيـ أـمـرـ فـلـانـ يـفـرـضـ الـحـمـلـ عـلـيـهـ فـيـ النـفـوذـ لـوـجـهـتـهـ،ـ وـالـتـقـدـمـ إـلـىـ رـتـبـتـهـ وـلـيـسـ

عـنـدـيـ إـلـاـ عـونـ وـإـنـجـادـ،ـ وـطـاعـةـ وـانـقـيـادـ ..."<sup>(5)</sup>.

(1) الفقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص ،150-151.

(2) المصدر نفسه ، ص152.

(3) المصدر نفسه، ص156.

(4) المصدر نفسه، ص157.

(5) المصدر نفسه، ص158.

أمّا بالنسبة لخواتم المكاتبات، فإننا نستنتج أن أغلب خواتم هذه الكتب الرسمية والإخوانية فتحتختم بالدعاء أو السلام، أو التودد والمحبة والاحترام.

#### 5-4 العهود

العهد رسالة ديوانية يدّبّجها كاتب الرسائل على لسان الخليفة لمن اختاره لولاية الخلافة من بعده، وتعرف حينئذ "بعهد الولاية". وتنكتب أحياناً على لسان الخليفة أو الأمير بالأمان لتأثير أو خارج على الدولة، أو لدولة مجاورة زالت أسباب الخلاف معها، وتعرف حينئذ "بعهد الأمان"<sup>(1)</sup>. أو لعقد اتفاق بين المتنازعين وتعرف حينئذ "بعهد الدعوة للصلح". وسنركز على العهود بأنواعها الثلاثة؛ "عهد الولاية، وعهد الأمان، وعهد الصلح والدعوة إليه".

#### 1-5 عهد الولاية: في أصل مشروعيتها:

الأصل في ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهم، إنه قيل لعمر عند موته "ألا تعهد؟ فقال: أتحمل أمركم حياً وميتاً؟ إن استخلفت فقد استخلف من هو خير مني (يعني أبا بكر): وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم". ثم ذكر القلقشندى قصة استخلاف أبي بكر رضي الله عنه لعمر بن الخطاب<sup>(2)</sup>.

وفي كتابة عهد الولاية، يجب على الكاتب في كتابة العهد مراعاة أمور وهي:

- 1- براعة الاستهلال بذكر ما يتყق له: من معنى الخلافة والإمامية واشتقاقهما، وحال الولاية، ولقب العاهد والمعهود إليه، ولقب الخلافة.
- 2- إن ينبه على شرف رتبة الخلافة، وعلوّ قدرها، ورقة شأنها، ومسيس الحاجة إليه الإمام، ودعایة الضرورة إليه.

(1) القيسي ، أدب الرسائل ...، ص117.

(2) القلقشندى، صبح الأعشى، ج9، ص349.

3- إن ينبع على اجتماع شروط الإمامة في المعهود إليه حين صدور العهد بها من العاہد.

4- أن ينبع على اجتهاد العاہد وتروي نظره في حقيقة المعهود إليه.

5- أن يشير إلى تقدم الاستخارة على العهد، وأن استخارته أدته إلى المعهود إليه.

6- أن ينبع على أن عهده إليه بعد مشورة أهل الاختيار وراجعتهم في ذلك، وتصويبهم له، خروجاً من الخلاف<sup>(1)</sup>.

وكان كتاب العهود "عهد الولاية" يبدأ بكتاب العهد بأهمية الإمامة والخلافة للناس عامة، وبيان خوف الخليفة من أن يلقى ربّه، دون تحديد ولی عهده من بعده، ومن ثم يتعرضون لوصف صفات ولی العهد، الصفات الكريمة والحميدة التي اجتمعت في ولی العهد، ومن ثم يختتم العهد، بموافقة من اختاره الخليفة ولیاً له، كما مر سابقاً في عهد الولاية الوارد.

ومن الأمثلة على عهد الولاية نستشهد بما كتبه الوزير أبو حفص بن برد عهد الناصر لدين الله عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر العامري، عن المؤيد بالله هشام بن الحكم الأموي، الخليفة بالأندلس ، بعد إنعام النظر ، والإطالة في الاستخارة ، فإذا وجده مناسباً لولاية العهد صرخ به إلى الناس عامة ، ولا تكون ولاية العهد إلى لمن تتتوفر فيه الصفات الحميدة من كرمه ، وشرف مرتبيه ، وعلو منصبه ، وتقاه وعفافه ، ومعرفته وحزنه ، محبأً ومسرعاً لعمل الخير ، جاماً للمؤثرات ، مستولياً على الغaiات ، سابقاً في الحلبات ؟ منه:

" هذا ما عهد هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين إلى الناس عامة، وعاهد الله عليه من نفسه خاصة وأعطى به صفة يمنيه بيعة تامة؛ بعد أن أنعم النظر وأطال الاستخارة وأهمه ما جعل الله من الإمامة، وعصب به من أمر المؤمنين، واتقى حلول القدر بما لا يؤمن، وخاف نزول القضاء بما لا يصرف، وخشي إن هجم محظوم ذلك عليه، ونزول مقدوره به، ولم يرفع لهذه الأمة علمًا تأوي إليه، وملحًا تتعطف عليه، أن يكون يلقي ربّه تبارك وتعالى مفرطاً ساهياً عن أداء الحق إليها ... بعد اطراح الهوى والتحرّي للحق،

---

(1) الفلاشندی، صبح الأعشی، ج 9، ص 351-352

والتزلف إلى الله جل جلاله بما يرضيه. وبعد أن قطع الأواصر، وأسخط الأقارب؛ فلم يجد أحداً أجر أن يوليه عهده، ويفوّض إليه الخلافة بعده: لفضل نفسه، وكرم خيمه، وشرف مرتبته، وعلو منصبه؛ مع نقاه وعفافه، ومعرفته وحزمه ونقاوته؛ من المؤمن العيب، الناصح الجيب "أبي المطرّف عبد الرحمن بن المنصور" أبي عامر محمد بن أبي عامر وفقه الله؛ إذ كان أمير المؤمنين - أيده الله - ابتلاه واختبره، ونظر في شأنه واعتبره؛ فرأه مسارعاً في الخيرات، سابقاً في الحلبات؛ مستولياً على الغايات، جاماً للماهرات ... وأشهد من أوقع اسمه في هذا، وهو جائز الأمر، ماضي القول والفعل، بمحضر من ولـي عهـد المؤمنـونـ أبيـ المـطـرفـ عبدـ الرـحـمـنـ ابنـ المنـصـورـ وـفـقـهـ، وـقـبـولـهـ ما قـلـدـهـ، وـإـلـزـامـهـ نـفـسـهـ ماـ أـلـزـمـهـ ...<sup>(1)</sup>.

ومن الأمثلة الأخرى على عهد الولاية، ما كتبه أبو المطرّف ابن عميرة الأندلسي يأخذ البيعة على أهل شاطبة من الأندلس "لأبي جعفر المستنصر بالله العباسي" قام بعقدها أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود أمير الأندلس، ثم أخذ البيعة بعد ذلك عليهم لنفسه وأن يكون ابنه ولـي عهـدـهـ فقدـ اثـبـتوـاـ الـبـيـعـةـ فـيـ أـعـنـاقـهـمـ، وـقـدـ اـشـهـدـواـ اللـهـ عـلـىـ أـنـفـسـهـمـ بالـبـيـعـةـ لهـ وـلـابـنـهـ منـ بـعـدـهـ ثـمـ رـفـعـواـ أـيـدـيـهـمـ إـلـىـ اللـهـ بـالـلـوـفـاءـ بـهـذـهـ الـبـيـعـةـ بـعـدـهـ؛ وـهـيـ:

"... من أن يطلبوه بعقد البيعة لابنه الواثق بالله المعتصم به أبي بكر محمد بن مجاهد الدين، سيف أمير المؤمنين، على أن يكون ولـي عهـدـهـمـ مـدـةـ وـالـدـهـ مـدـ اللهـ فيـ حـيـاتـهـ، وـأـمـيـرـهـمـ عـنـ الأـجـلـ الذـيـ لـاـ بـدـ مـنـ موـافـاتـهـ؛ فـأـمـضـىـ لـهـمـ ذـلـكـ مـنـ اـنـفـاقـهـمـ، وـأـثـبـتوـاـ عـلـىـ مـاـ شـرـطـتـهـ بـيـعـتـهـ فـيـ أـعـنـاقـهـمـ ... وـوـلـدـهـ المـأـخـوذـ لـهـمـ الـبـيـعـةـ بـعـدـ بـيـعـتـهـ، وـأـشـهـدـواـ اللـهـ عـلـىـ أـنـفـسـهـمـ، وـكـفـىـ بـذـلـكـ اـعـتـزـاماـ وـالتـزـاماـ، وـشـدـ لـمـاـ أـمـرـ بـهـ وـإـحـكـاماـ: وـ(ـمـنـ نـكـثـ فـإـنـماـ يـنـكـثـ عـلـىـ نـفـسـهـ)، (ـوـمـنـ يـفـعـلـ ذـلـكـ يـلـقـ (ـأـثـاماـ)). وـهـمـ يـرـفـعـونـ دـعـاءـهـمـ إـلـىـ اللـهـ تـضـرـعـاـ وـاسـتـسـلـاماـ، وـيـسـأـلـونـهـ عـصـمـةـ وـكـفـاـيـةـ اـفـتـاحـاـ وـاـخـتـنـاماـ؛ اللـهـمـ إـنـاـ قدـ أـنـفـذـناـ هـذـاـ عـقـدـ اـفـتـادـهـ وـاـهـتـمـاماـ، وـقـضـيـنـاـ حـقـهـ إـكـمـالـاـ وـإـتـمـاماـ، وـأـسـلـمـنـاـ وـجـهـنـاـ إـلـيـكـ إـسـلـامـاـ؛ فـعـرـقـنـاـ مـنـ حـيـرةـ وـبـرـكـتـهـ نـمـاءـ وـدـوـامـاـ، وـاـكـلـاـنـاـ بـعـيـنـكـ حـرـكـةـ وـسـكـونـاـ وـيـقـظـةـ وـمـنـامـاـ: {ـوـهـبـ لـنـاـ مـنـ أـزـوـاجـنـاـ}

---

(1) الفلاشندي ، صبح الأعشى ، ج 9 ، ص366-367، التويري، نهاية الأرب، ج23، ص408.

وذرياتنا قرّة أعينٍ واجعلنا للمتقين إماماً} إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ مِنْهُى الرَّغْبَاتِ، وَمَجِيبُ الدُّعَواتِ،  
وَإِلَهُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ<sup>(1)</sup>.

وكان الكتاب وهم يكتبون هذه العهود، يركزون على اتفاق الناس على هذا العهد والزامهم بعدم نكثه والغدر فيه، مع الاستشهاد من القرآن الكريم على عدم نكث العهود، والذي ينكث عهده، يلقى الإثم والعقاب، كما ورد في العهد السابق. وكان الكتاب يسترسلون ويطنبون في بيان صفات ولی العهد وخصاله الحميدة، ويختتمون العهود بتاريخ كتابتها<sup>(2)</sup>.

#### 4-5-2 عهد الأمان:

أما عهود الأمان فقد كانت من الأغراض الرئيسية التي تتناولها كتاب الرسائل الديوانية، بسبب كثرة الفتن والثورات التي قامت في أنحاء مختلفة من الأندلس<sup>(3)</sup>. وقد ورد في كتابي "صبح الأعشى، ونهاية الأرب" إشارات إلى عهود أمان مختلفة أعطاها الخلفاء والأمراء إلى الثائرين والخارجين على الدولة، وسنطروح في هذا المجال بعض الأمثلة على عهود الأمان.

وكان الكتاب يركزون في كتابة هذا النوع من العهود، على بيان قوة وعصمة الدولة على الثائرين والعاصبين، وبيان أسباب العصيان على الدولة، ثم يركزون على حسن السياسة عند الثائر الذي يرى في النهاية عدم قدرته على مجابهة الدولة، فيقرر العودة إلى الطاعة.

ومن الأمثلة على هذا النوع ما كتبه أبو جعفر عمر بن برد الأصغر. في عهد أمان كتبه لمن عصى وعاود الطاعة ، ويشير الكاتب فيه إلى أن الغلبة لهم (أي الدولة) ، ويطلب من عصا أن يعود إلى الطاعة دون عقد أو شرط ، حتى لا يكون هناك سبب لسفك دمه ، ويصف الكاتب سياسة من قبلهم بأنها خرقاء ، لأنه غاب عن ترغيبه وترهيبه فقد عدم مخافتتهم إلى الخروج على الدولة والطغيان وطلب السيادة ، ثم يطلب منه العودة

---

(1) الفقشندي، صبح الأعشى، ج 9، ص 305-308.

(2) القيسي، أدب الرسائل ...، ص 118.

(3) المصدر نفسه، ص 118 .

إلى الطاعة بعد أن يمعن النظر في أمره ، فإن عاد إلى الطاعة فامان الله له وأن لم يعد عليه مواجهة مصيره؛ يقول فيه:

"أما بعد، فإن الغلبة لنا والظهور عليك جلباك إلينا على قدمك، دون عهد ولا عقد يمنعنا من إراقة دمك، ولكن بما وهب الله لنا من الإشراف على سرائر الرّيادة والحفظ لشروع السياسة؛ تأمّلنا من ساس جهتك قبلنا فوجدنا يد سياسته خرقاء، وعين حراسته عوراء، وقدم مداراته شلاء، لأنّه غاب عن ترغيبك فلم ترجمه، وعن ترهيبك فلم تخشه، فأدتك حاجتك إلى طلاب المطامع الدنيّة، وقلّة مهابتك إلى التهالك على المعاصي الوبية وقد رأينا أن تظهر فضل سيرتنا فيك، وتعتبر بالنظر في أمرك، فمهمنا لك الترغيب لتأنس إليه، وظللنا لك الترهيب لتفرق منه، فإن سوت الحالتان طبعك، وداوى التفاف والنار عودك، فذلك بفضل الله عليك، وبإظهاره حسن السياسة فيك؛ وأمان الله تعالى مبسوطٌ منا، وموثيقه باللوفاء معقودة علينا، وأنت إلى جهتك مصروف، وبعفونا والعافية منا مكتوف، إلا أن تطيش الصنّيعة عندك فتخلع الرّيبة ، وتمرق من الطاعة، فلسنا بأول من بغي عليه، ولست بأول من ترأت لنا مقاتلته من أشكالك إن بغيت، وانفتحت لنا أبواب استئصاله من أمثالك إن طلبت"<sup>(1)</sup>.

#### 4-5-3 عهد الصلح والدعوة إليه:

وتنتم في هذا النوع من الرسائل الدعوة إلى الصلح بين أطراف متنازعة، أو دعوة أهل ناحية من النواحي للدخول في صلح مع الحاكم، وتبدأ الرسالة بالدعاء يتالف القلوب، والتغير من الانشقاق والخروج على الجماعة، ثم تعرض بنود الصلح والإغراءات التي يقدمها الخليفة أو الحاكم لدخول المنشقين تحت لواء دولته، وتختم الرسالة كالعادة بالدعاء والسلام<sup>(2)</sup>. وهو قريب من عهد الأمان الذي يعطى في الغالب للثائرين على الدولة.

ومن الأمثلة على هذا النوع من العهود الموجهة إلى الممالك النصرانية في محاولة عقد الصلح معها رسالة أبي المطرف بن عميرة التي كتبها عن جميل زيان، إلى ملك قشتالة من بلاد الأندلس في مراودة الصلح ، حيث يبدأ الكتاب بالدعاء إلى الملك بإدامه

(1) النويري، نهاية الأرب، ج 7، ص 306-307.

(2) العربي، دراسات في الأدب الأندلسي، ص 216.

عزم وكرامته ، ثم يذكر مكان صدور هذا العهد من مدين مرسيه ، ثم يحمد الله عز وجل ، ويسأله شكره وإحسانه وفضله ، ثم يتحدث عن أسباب عهد الصلح وما يجلبه عليهم من الخير والأمان ، ثم يطلب في الكتاب من ملك قشتالة أن يبعث مجموعة مما يرتضيه للصادقة على هذا العهد ، ويختتم كتاب العهد بالسلام ؛ يقول فيه:

"كتابنا إليكم - أسعدكم الله برضاه، وأدام عزتكم وكرامتكم بتقواه- من مرسيه، ونحن نحمد الله الذي لا شيء كمثله، ونلجمأ إليه في أمرنا كلّه، نسأل الله أن يوزعنا شكر إحسانه وفضله - وعندها لجنابكم المرفّع تكراة نستوفيها، ومبررة ننتهي إلى الغاية فيها، وعلمنا بمحلكم الشهير، وكتابكم الخطير، يستدعي الزيادة من ذلكم ويقتضيها؛ وقد كان من فضل الله المعتمد، وجميل صنعه في انتظام الكلمة في هذه البلاد، ما اكتنفه العصمة، وكملت به النعمة والمنة وتيسّر بمعونة الله فتح أقر العيون، ورضيه الإسلام والمسلمون، وكانت مطالعتكم به مما آثرنا تقديمها، ورأينا أن نحفظ من الأسباب المرعية على التفضيل الجملة [حديثه وقديمه] وحين ترجحت مخاطبتك من هذا المكان، وموافقتكم في هذا الشأن ... ويدرك من قصدنا ما نولع به ونعني؛ وهو فلان في ذكر السلم ومحاولتها، ما يتّأدى من قبله على الكمال بحول الله تعالى. وإن رأيتم إذا انصرف من عندكم، أن توجّهوا زيادة إلى ما تلقونه إليه من رجالكم وخاصّتكم؛ في معنى هذا العهد وإحكامه، ومحاولته وإبرامه؛ فعلتم من ذلك ما نرقب أثره، ونصرف إليه من الشكر أوفاه وأوفره، إن شاء الله تعالى: وهو الموفق لا رب سواه، والسلام الأتمُ عليكم كثيراً"<sup>(1)</sup>.

ومن الأمثلة الأخرى على عهد الصلح والدعوة إليه، نستشهد بما كتبه الفقيه أبو عبد الله ابن ... أحد كتاب الأندلس، عن بعض ملوك الأندلس من المسلمين من أتباع "المهدي بن تومرت" القائم بدعة الموحدين، مع "دون فراند" صاحب قشتالة من ملوك الفرنج بعد الصلح على مرسيه من بلاد الأندلس؛ يقول فيه:

"هذا عقدنا بعد استخارة الله تعالى واسترشاده، واستعانته واستتجاده؛ نيابةً عن الإماراة العليّة بحكم استنادنا إلى أوامرها العالية، وآرائها الهدية عقدها - والله الموفق - لقشتالة مع فلان النائب في عقده معنا عن مرسليه إلينا، الملك الأجل الأسى المجل دون

---

(1) الفلاشني، صبح الأعشى، ج 7، ص 116-117.

فراند" ملك قشتالة، وطليطلة، وقرطبة وليون، وبلنسية - أدام الله كرامته وميزته بتقواه - حين وصلنا من قبله كتاب مختوم بطابعه المعلوم له المتعارف عنه، تفويفاً منه إليه، في كل ما يعقد له وعليه.

وعاقدنا على أن يكون السّلّم بيننا وبين مرسله المذكور لعامين اثنين، أولهما شهر المحرّم الذي هو أول سنة تاريخ هذا الكتاب، الموافق من الأشهر العجمية شهر ذي القعده، على جميع ما تحت نظرنا الآن من البلاد الراجعة إلى الدّعوة المهدية ... وثغورها، مواسطها وأطرافها ... ومن هذه المهدنة أن لا يتسبّب إلى الحصون بالغدر ولا بالشّرّ، ولا يتجاوز النصارى حدود بلادهم وأرضهم بشيء من البناء، ولا يصل من بلد قشتالة مدد لمخالفاً، ولا معونة لمفاتننا ...

وعلى ما تضمّنه هذا الكتاب أمضى فلان -أعزه الله- بحكم النيابة، عن الأمر العالى -أسماه الله- هذا العقد الصّالحيّ، وأشهد بما فيه على نفسه وحضره المفصل طور المذكور ... و الله الموفق لما يرضاه، ومقدم الخير والخيره فيما قضاه، بمنه والسلام<sup>(1)</sup>. وقد وضح كاتب هذا العهد شروط عقد الصلح الواردة في العهد، تحديد مدة العهد "بعامين" ، ومن شروط العهد الواردة في الكتاب أن لا يتسبّب إلى الحصون الأندلسية بالغدر ولا بالشرّ ، ولا يتجاوز النصارى حدود بلادهم وأرضهم بشيء من البناء ، ولا يصل من قشتالة مدد ومعونة لأى مخالف للدعوة المهدية في الأندلس ، وتم التوقيع في نهاية الكتاب على جميع ما جاء فيه ، كما ورد في الكتاب العديد من المدن الأندلسية الواقعة في هذا العهد.

ومن الأمثلة الأخرى أيضاً على عهد الصلح، نورد ما كتبه الفقيه المحدث أبو الريبع ابن سالم من كتاب الأندلس، بين ملکين متكافئين دون تقرير شيء من الجانبين، في عقد صلح على بلنسية وغيرها من شرق الأندلس؛ يقول فيه:

"وبعد، فهذا كتاب موادعة أمضى عقدها والتزمها، وأبرم عهدها وتممه؛ فلان لملك أرغون، وقومط برجلونة، وبرنسب مقت بشلي، حافظة (?) بن بطرة، بن أدفونش، ابن ريموند، أدام الله كرامته بتقواه له خاتماً وعنواناً، المعهود صدوره في أمثالها من

---

(1) الفلاشندي، صبح الأعشى، ج 14، ص 24-26.

المراءضات الصُّلْحَيَّة تضرعاً وإعلاناً، متضمناً من الإحالة في عقد المسالمة عليه، والتفويض في إبرام أسبابها والتزام فصولها وأبوابها إليه ... وموافقة منه على ما يحفظ حق المسلمين ويؤكيه، جنواً منه إلى ما جنح إليه من ذلك متقاضيه ... فأجلى ذلك على إمضاء عهد السلم لملك أرغون على بلنسية وكافة جهاتها أطرافاً وواسط، وثغوراً وبسائط؛ وكذلك شاطبة ودانية، وما ينتظم معهما من أحوازهما ويرجع إلى حكم بلنسية وحالها من الجهة النائية والدانية؛ لمدة عامين اثنين، ... وألزم نفسه مع ذلك وصول كتاب هذا الملك الذي تولى النيابة عنه في هذا العقد، مصرحاً بالتزامه وإمضائه فيه عمله، وفقاً ما تضمنه كتابه الذي أرسله، وأشهد مع ذلك زعماء دولته وكبراء القائمين عليه، تحقيقاً لمعناه، وتوثيقاً لمبناه، إن شاء الله تعالى<sup>(1)</sup>.

ومن الأمثلة الأخرى ما كتبه أبو المطرف بن المثنى عن المنصور إلى هشام بن الحكم يخبره بجريان الصلح بينه وبين الموفق، بعدما كان بينهما من عداوة؟ يوضح الكاتب إن سبب النزاع والعداوة بينهم الشيطان ، فقد نزع بين المرء وصديقه ، والأخ وشقيقه ، فكان نتيجة الاستجابة للشيطان أن حل التشتت والتبعيد والتقريب ، والمسلمون يعودون إلى التجامل والتالف والإنصاف والتحابب ، وتحل المحبة بدل البغضاء ، فيصبح الأخوة أليفي تناصر ، وحليفي تظاهر ، وهذا كله في ظل أمير المؤمنين؛ يقول فيه: "... وبعد - أبقي الله أمير المؤمنين - فإن كتابي إليه سلف معرباً عن النزعة التي كانت بيبي وبين الموفق مملوكة، وقد يم نزع الشيطان بين المرء وصديقه والأخ وشقيقه؛ وضرب ساعياً بالتشتت والتشغيب، والتبعيد والتقريب، بين الأب الحاني الشقيق، والابن البر الرفيق؛ ثم يعود ذovo البصائر والنھى، وأولوا الأحلام والحجا، إلى ما هو للشحنة أذهب، وبالتجامل أولى وأوجب. وكتابي هذا وقد نسخ الله بيننا آية الافتراق، بالاتصال والاتفاق؛ ومحاسمة التباين والخلاف، وبدوا التالف والإنصاف ... وصرنا في القيام بدعة أمير المؤمنين مولانا وسيدي رضيعي لبان، وشريكه عنان؛ وأليفي نى ولا سعة؛ من إطلاع أمير المؤمنين مولاي وسيدي من ذلك على الجلية وإعلامه بالصورة ...".<sup>(2)</sup>

(1) الفقشندي ، صبح الأعشى ، ج14 ، ص26-29.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص524-526.

## الخاتمة:-

لقد صورت الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي مظاهر الأدب الأندلسي الذي جاء منوعاً بين النثر والشعر، وسلطت الضوء على هذا الأدب الذي يحمل بين طياته من ارسوا قواعد هذا الأدب الذي جاء في أغلبه مسايراً للأدب العربي في المشرق .

ودرست في هذه الرسالة " الأدب الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي ، وكانت الغاية المرجوة من هذه الدراسة إلقاء الضوء على الأدب الأندلسي فيها فأكثر الدارسين والمؤرخين لم يعتمدوا على دراسة الأدب الأندلسي في هذه الموسوعات، وإنما اقتصرت دراساتهم على جوانب أخرى .

وتبيّن ليّ أن الصلة كانت وثيقة بين الأدب الأندلسي والموسوعات الأدبية في العصر المملوكي ، فبدا الأدب الأندلسي واضحاً فيها . أما الشعر الأندلسي فقد جاء قليلاً فيها ، فقد اقتصرت على ذكر نماذج من الشعر الأندلسي .

أما النثر الأندلسي في الموسوعات جاء قليلاً، واقتصرت على ذكر نماذج من النثر الأندلسي .

كما سلطت الضوء على علماء الأدب الأندلسي " الشعرا و الكتاب " فتعرضت لذكر بعضاً من آدابهم . كما سلطت الضوء على فنون النثر الأندلسي ، فحوت بين طياتها العديد منه .

كما ركزت الموسوعتان الأدبيتان " صبح الأعشى، نهاية الأرب " على الشعراء الأندلسين من الأمռاء والحديث عن مخطوطات من أشعارهم وكما ركزت موسوعة العمري " مسالك الأ بصار " على ذكر الشاعر ابن زيدون، وحوت بين طياتها مخطوطات من شعره الذي جاء منوعاً في أغلب موضوعات الشعر، والتركيز على أشعار شعراء الأندلس التي جاءت عبارة عن أبيات متتالية في طياتها.

كما ركزت الموسوعتان الأدبيتان " صبح الأعشى، نهاية الأرب " على كاتبين من كتاب الأندلس وهما (ابن أبي الخصال، وابن الخطيب) حيث اتخذهما الفقشندی نموذجاً للنثر الأندلسي، كما ركزت موسوعة " مسالك الأ بصار " على كاتب واحد من كتاب الأندلس " ابن عربي " كما ذكرت بعض المخطوطات النثرية المتتالية في صفحات الموسوعات لكتاب آخر.

ولمست من استقرائي للأدب الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي؛ أن الأدباء الأندلسيين اتكوا على المورث الأدبي، فنسجوا كتاباتهم النثرية والشعرية تقليداً للأدباء في المشرق العربي فجاءت في أغلبها مسايرة للأدب في المشرق تتطور بتطوره.

كما جاء الأدب الأندلسي مسايراً للأدب المشرقي، حيث لا يشعر القارئ بأن هناك فرقاً بين أدب المشارقة والمغاربة، بل جاء مكملاً للأدب المشرقي في جميع المجالات.

كما اتفق الأدب الأندلسي مع معايير العصر الأندلسي، فعلى سبيل المثال ، كانت المقطوعات الأدبية أكثر ملائمة لروح عصرهم للتعبير عن بعض الموضوعات ، كوصف المدن ، المعارك ، الطبيعة، أما الصورة الشعرية فقد تأثرت واستمدت من حياتهم اليومية التي كانوا يعيشونها ، فجاءت تعبيراً صادقاً لمشاعرهم وعواطفهم .

كما أن الموسوعات الأدبية المملوكية لم تحفظ لنا نصوصاً أندلسية قد ضاعت ولم نجدها في المصادر الأندلسية.

وكل ما يمكن قوله إن الأدب الأندلسي ، قد اتسع مجاله في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي ، فقد صورت العديد من جوانبه. ولهذا آمل أن تكون دراستي سبيلاً مضاء تساهم إلى حد ما في إماتة اللثام عن الأدب الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي ، ويغدو واضحاً في هذه الموسوعات .

## المراجع

ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضايعي المعروف  
بابن الأبار (595-658هـ/1199-1260م)،(د.ت) الحلة  
السيراء ، الجزء الأول والثاني، حققه وعلق حواشيه حسين مؤنس،  
الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة .

ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضايعي المعروف ببابن  
الأبار (595-658هـ/1199-1260م) ، (1375هـ/1956م) التكميلة  
لكتاب الصلة ،عني بنشره ،وصححه، وافق على طبعه السيد عزت  
العطار الحسني، مكتب الثقافة.

الأصفهاني العmad ،(ت597هـ)، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق عمر  
الدسوقي و علي عبدالعظيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة-  
القاهرة،القسم الرابع الإسلامية.

أدهم علي ،(د.ت) صقر قريش عبد الرحمن الداخل قصة حياته السرية العامرة  
ودراسة تحليلية لمؤسس الدولة الأموية في الفردوس المفقود، تقديم  
عباس محمود العقاد، دار الهلال .

بدر أحمد ،1988 صقر قريش عبد الرحمن الداخل ، الطبعة الأولى ، طلاس  
للدراسات والترجمة والنشر.

بو طالب ، عبدالهادي ،(1960م) وزير غرناطة لسان الدين محمد بن الخطيب  
السلماني ، نشر دار الكتاب ، الدار البيضاء ، طبعة الثانية .

الإدريسي،الشريف،1998 المغرب وارض السودان ومصر والأندلس مأخوذة  
من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،طبع في مدينة ليدن بمطبع  
بريل.

أمين، أحمد أمين،(د.ت) ظهر الإسلام، يبحث في الحياة العقلية في الأندلس من  
فتح العرب لها إلى خروجهم منها، ويتكلم في الحركات الدينية واللغوية

**والنحوية والأدبية والفلسفية والتاريخية والفنية** ، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، الجزء الثالث.

ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (542هـ)، (د.ت) **الذخيرة في محسن أهل الجزيرة** ، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة. بيروت - لبنان. البيومي، محمد رجب البيومي، 1966م **الأصالة في شعر الطبيعة بالأندلس**، مجلة الأديب، العدد (25) .

ابن تغري بردى، جمال الدين أبي المحسن يوسف، المتوفى سنة 874هـ، 1998م **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .  
ابن حمديس ، المتوفى سنة 527هـ ، (1379هـ-1960م) ، الديوان، صححه وقدم له احسان عباس ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت .

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، 1937م ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، وهو معجم جغرافي تاريخي، جمعه سنة (866هـ)، عنى بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيه. ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبعة التأليف والترجمة والنشر .

الحموي ، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت (662هـ - 1228م) ، (1399هـ - 1979م) **معجم البلدان** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .

ابن خاقان، أبو الفتح بن محمد بن عبد الله القيسى الأشبيلي، الشهير بابن خاقان (529هـ)، (1409هـ-1989م) **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، حققه وعلق عليه، حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الطبعة الأولى.

ابن أبي الخصال، الكاتب الفقيه أبي عبد الله بن أبي الخصال الغافقي الأندلسي، ت (540هـ) (1408هـ-1987م) **رسائل ابن أبي الخصال**، تحقيق محمد رضوان الدّاية، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى.

ابن الخطيب، لسان الدين ابن الخطيب، (ت 776هـ)، (د.ت) الإحاطة في أخبار غرناطة ، حققه وقدم له محمد عبد الله عنان، دار المعارف بمصر.

ابن الخطيب، منوعات ابن الخطيب ، تحقيق الحسن بن محمد السائح، (1398هـ-1978م) المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، مديرية الشؤون الإسلامية، .

ابن خفاجة، ابراهيم ، (ت 533هـ)، (د.ت) الديوان ، تحقيق السيد مصطفى غازي، منشأة المعارف بالإسكندرية.

ابن خلدون، وهو وحيد عصره العالمة عبد الرحمن ابن خلدون المغزى، (ت 808هـ)، (1420هـ-1999م) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت، .

ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (608هـ - 681هـ)، (1977م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه إحسان عباس ، دار صادر بيروت .

ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن ت (633 هـ)، (1954م) المطرب في أشعار أهل المغرب ، حققه مصطفى عوض، الطبعة الأولى، مطبعة مصر - الخرطوم.

الذنون، عبد الحكيم الذنون، (1408هـ-1988م) آفاق غرناطة، بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي ملحق موجز تاريخ الأندلس العربي، الطبعة الأولى ، دار المعرفة نشر وتوزيع طباعة وترجمة، مطبعة الصباح.

الذهبي الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، المتوفى سنة 748هـ. (د.ت) العبر في خبر من عبر، حققها وضبطها على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

الركابي، جودت الركابي، (1378هـ-1959م) الطبيعة في الشعر الأندلسي ، مطبعة جامعة دمشق.

ابن زيدون، ابو الوليد احمد بن عبدالله بن غالب بن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي،(ت463هـ)(د.ت)،**ديوان ابن زيدون ورسائله**،شرح وتحقيق علي عبد العظيم،دار نهضة مصر للطبع والنشر ،الفجالة-القاهرة.

السعيد، محمد مجيد السعيد، 1972م-1392هـ **الشعر في ظل بنى عباد**، الطبعة الأولى ، مطبعة النعمان النجف لأشرف.

ابن سعيد،ابو الحسن علي بن موسى(610-685 هـ)،(د.ت)**المغرب في حل المغرب** ، حققه وعلق عليه، شوقي ضيف، الطبعة الرابعة، دار المعارف. السيوطي،الإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر،المتوفى في عام 911 من الهجرة،1371هـ،1952م **تاريخ الخلفاء** ، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد،مطبعة السعادة بمصر،الطبعة الأولى.

السيوطى،الإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر،المتوفى في عام 911 من الهجرة ،1369هـ،1950م **الوسائل إلى مسامرة الأوائل**،حققه اسعد طاس،مطبعة النجاح بغداد.

الشعراوي، أحمد إبراهيم الشعراوي، (د.ت)**الأمويون أمراء الأندلس الأول**، المطبعة العالمية.

الشكعة، مصطفى الشكعة، 1975م **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، دار العلم للملائين بيروت، الطبعة الثالثة .

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أبيك ،1408هـ - 1988م **الوافي بالوفيات**، تحقيق عبد الأحد - عبد العزيز ، باعتماء أيمن فؤاد سير ، شتو تغارت. ضيا باشا، 1989م **الأندلس الذهابة دول الطوائف ودولة المرابطين وبداية دولة الموحدين**، ترجمة عبد الرحمن أرشيدات، راجعه وحقق صلاح أرشيدات، **الجزء الثاني**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام (14) المملكة الأردنية الهاشمية - عمان.

ضيف، أحمد ضيف، 1998م **بلاغة العرب في الأندلس** ، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة-تونس، الطبعة الثالثة .

ضيف ، شوقي ضيف ، (د.ت) الفن ومذاهبه في النثر العربي ، طبعة ثلاثة مزيدة موسعة، دار المعارف بمصر، مكتبة الدراسات الأدبية (19)  
عنيق ، عبد العزيز عنيق، 1976م الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت .

العربي سالم الشريف، 2003م دراسات في الأدب الأندلسي ، دار شموع الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى .

العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري ، ت (749هـ)  
(د.ت) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق عبد الله بن يحيى السريحي .

عنان، محمد عبد الله عنان، (د.ت) دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى نهاية مملكة غرناطة، العصر الأول.

الفقى، عصام الدين عبد الرؤوف الفقى،(د.ت) تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة.

قارة، حياة قارة، 1995م رسائل جديدة لأبي عبد الله بن أبي الخصال، كلية الآداب، فاس-المغرب، بحث منشور في مجلة دراسات أندلسية، العدد (14-13).

الفالقشندى، أبو العباس أحمد بن علي الفالقشندى (821هـ-1418م)،(د.ت) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ومذيلة بتصويبات واستر اكات وفهارس تفصيلية مع دراسة وافية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

القيسي، فايز عبد النبي فلاح القيسي، 1409هـ - 1989م أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، دار البشير للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان .

الكتاني، أبو عبد الله محمد بن الكتان الطبيب، 1981م-1410هـ كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة ، دار الشروق القاهرة.

الكتبي ، محمد بن شاكر ،(د.ت) 764هـ، (1974م) ، فوات الوفيات والذيل عليها تحقيق احسان عباس ،دار صادر بيروت

مبarak، زكي ،(د.ت) النثر الفني في القرن الرابع، الطبعة الثانية، يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بمصر، الجزء الأول.

مراد حسن ،(1348هـ - 1930م )، تاريخ العرب في الاندلس ، الطبعة الاولى ، المطبعة الحديثة ، القاهرة

مرعشلي، نديم مرعشلي، (د.ت)المعتمد بن عبّاد، بطل جسد مأساة الأندلس وشاعر غنى مجدها المفقود، دار الكاتب العربي،بيروت.

المراكشي ، عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار الشعراء وأعيان الكتاب ، ضبطه وصححه وعلق حواشيه وإنشاء مقدمته ، محمد سعيد العريان، و محمد العربي العلمي ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

المعتمد بن عبّاد ملك إشبيلية(ت488هـ)، 1951م الديوان، جمعه وحققه أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، أشرف عليه وراجعه طه حسين، وزارة المعارف العمومية، الإدارية العامة للثقافة، إدارة نشر التراث القديم، المطبعة الأميرية بالقاهرة .

المقربي، الشيخ أحمد بن محمد المقربي التلمساني(ت1038هـ)، 2004م نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، حققه إحسان عباس، دار صادر-بيروت، الطبعة الأولى .(1968م)

**المعجم الوسيط**،(د.ت) مجمع اللغة العربية ، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبدالقادر ، محمد علي النجار ، وأشرف على طبعه ، عبدالسلام هارون ، المكتبة العلمية ، طهران ، الجزء الأول .

بن مماتي اسعد بن مهذب بن أبي مليح، توفي 606هـ،2001م لطائف الذخيرة، وطرائف الجزيرة، وهو تلخيص لكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لعلي بن بسام، تحقيق وتقديم نسيم مجلی، الهيئة المصرية العامة للطباعة والنشر والتوزيع.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (733هـ-677هـ)، 1980م نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق أحمد كمال زكي، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الهروط، عبدالحليم حسين، النثر الفي عند لسان الدين بن الخطيب، الطبعة الأولى، 2006م - 1426هـ، دار جرير للنشر والتوزيع  
هيكل ، أحمد ، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، طبع بمطبع دار المعارف.

الوائلی، عبدالحكيم،(2000م)،موسوعة شعراء الأندلس،دار أسامة للنشر والتوزيع،الأردن،عمان.

يكن، زهدي يكن، 1975 م المعتمد بن عباد وشعراء عصره، حققه وعلق حواشيه، محمد زهدي يكن، قدم له سامي نسيب مكارم، دار يكن للنشر بيروت.